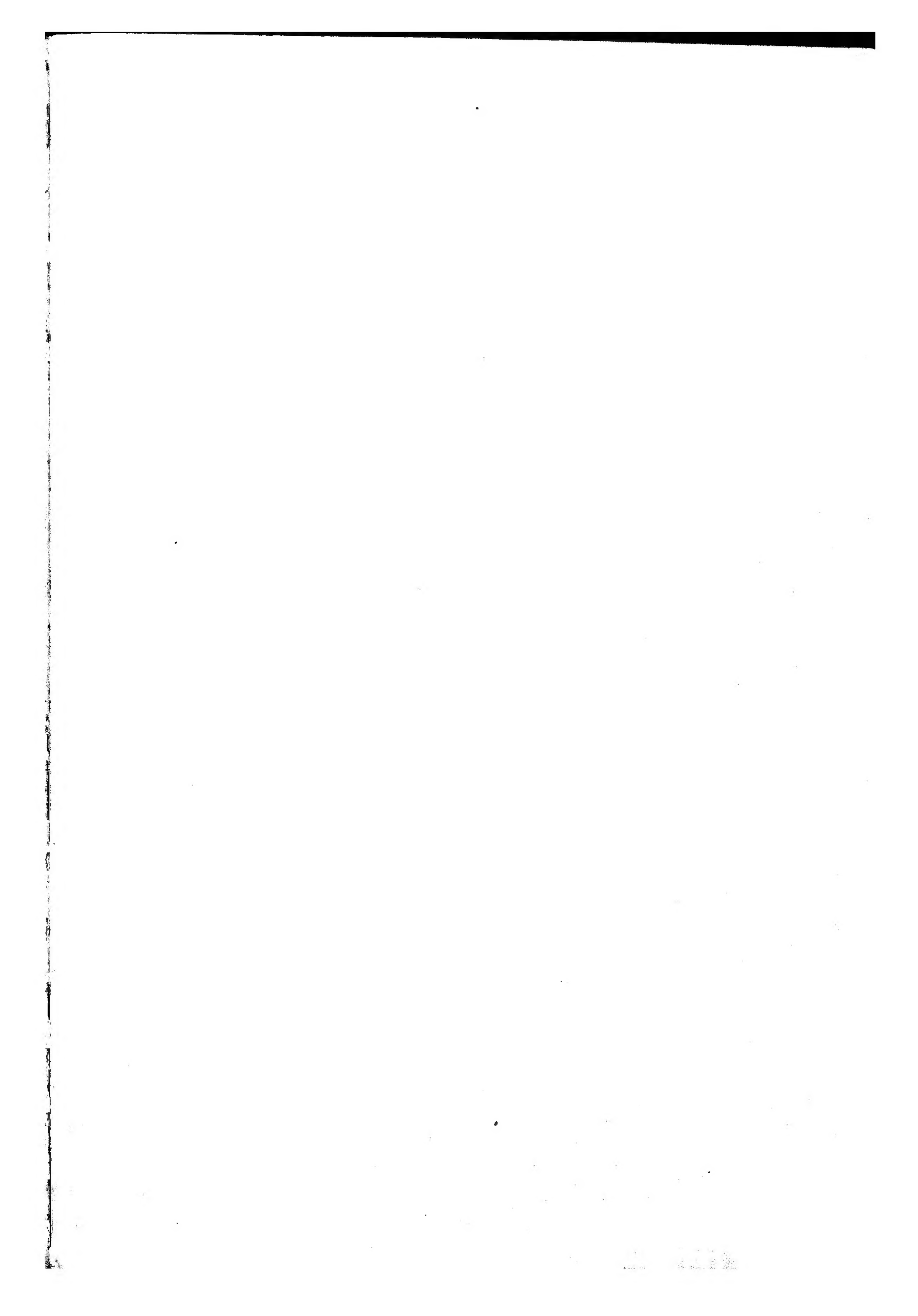


د. سامية مصطفى مسعد

العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية



العلاقات بين المغرب والأندلس
فى عصر الخلافة الأموية

(٣٠٠ - ٣٩٩ هـ/ ٩١٢ - ١٠٠٨م)



تأليف
د. سامية مصطفى مسعد

الطبعة الأولى
٢٠٠٠م



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

مدير النشر: محمد عبد الرحمن عفيفى

تصميم الغلاف : منى العيسوى

الناشر : عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

- ٥ شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون - فاكس ٣٨٧١٦٩٣

ص . ب ٦٥ خالد بن الوليد بالهرم - رمز بريدى ١٢٥٦٧

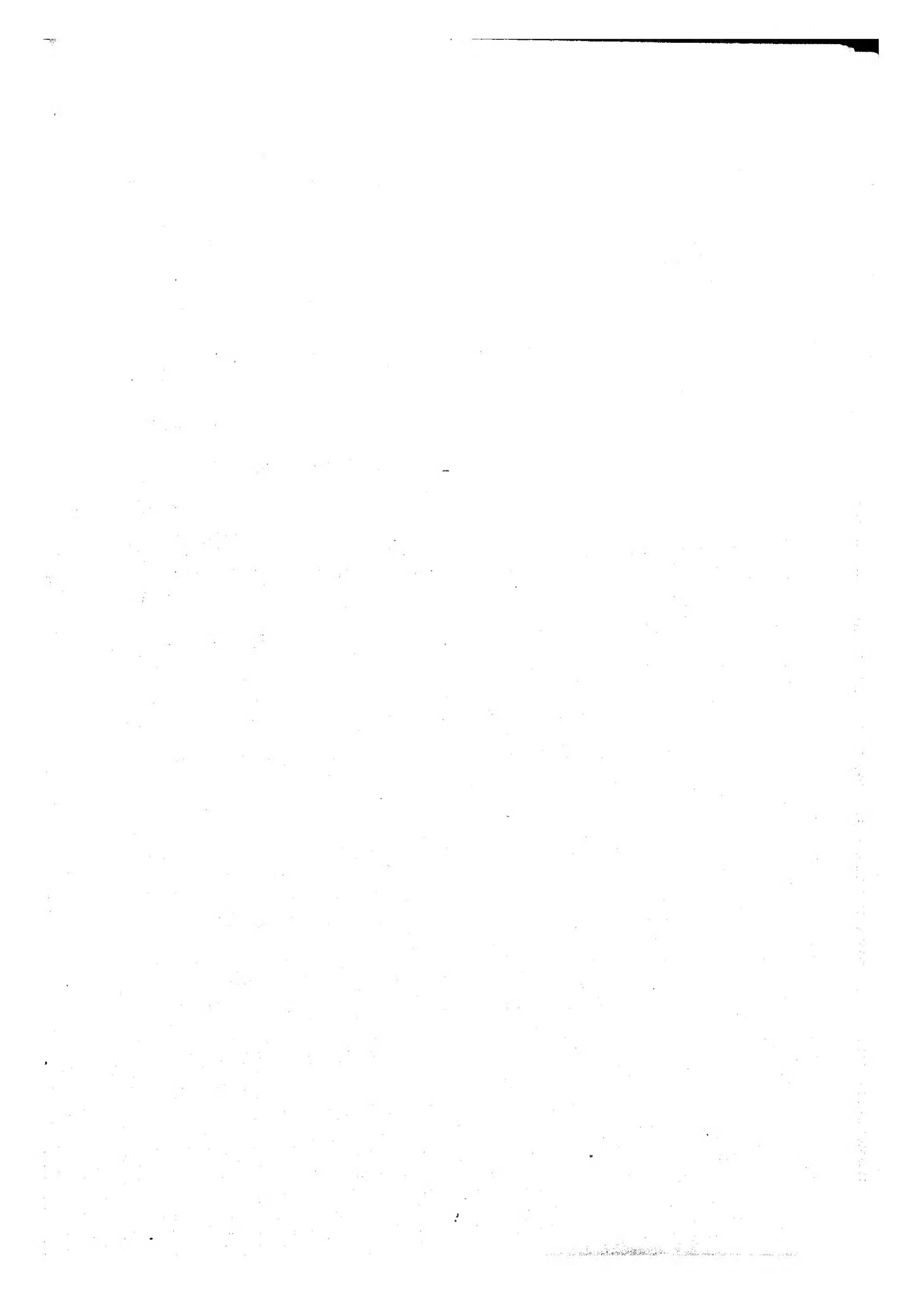
Publisher: ÉIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES
5, Maryoutia St ., Alharam - A.R.E. Tel : 3871693
P . B 65 Khalid Ben - Alwalid - Alharam P. C 12567

فهرس الموضوعات

صفحة

الفصل الثانى:

الفصل الثالث :



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

إن من أمتع الدراسات المتعلقة بالحضارة الإسلامية أن ندرس العلاقات بين الأمصار الإسلامية لنعرف كيف كان الأخذ والعطاء ، فعن طريق هذا الأخذ والعطاء تكامل بناء الحضارة الإسلامية حتى صارت صرحًا شامخًا .

هذه العلاقات ظهرت بصورة واضحة بين القطرين المتجاورين المتكاملين المغرب والأندلس اللذين كونا فى تاريخ الفكر الإسلامى بيئة خاصة متميزة واضحة المعالم.

ولهذا حرصت على أن أستقصى هذه العلاقات الحضارية المتبادلة بين المغرب والأندلس لأتتبع قصة هذا التكامل الحضارى، كما تخيرت عصراً خاصا توثقت فيه هذه الصلات وازدهر فيه التبادل الفكرى، ونضجت الحضارة الإسلامية ، وهو عصر الخلافة الأموية (٣١٦هـ-٤٢٢هـ / ٩٢٨-١٠٣٠م) .

ولكى أخدم هذه الدراسة خدمة علمية حقة قسمت الموضوع إلى أربعة فصول أفردت الفصل الأول لدراسة الأوضاع الداخلية فى القطرين الشقيقين ، الخلافة الأموية فى الأندلس والفاطمية فى المغرب، بل اضطرنى السياق التاريخى إلى أن أتناول تاريخ الخلافة حتى سقوطها فى عام ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م وعرضت بالمقابل لتاريخ المغرب بعد رحيل الفاطميين وقيام الإمارات المغربية المستقلة التى نكبت بغارات عرب بنى هلال.

أما الفصل الثانى فقد خصصته لدراسة العلاقات السياسية بين البلدين، فتحدثت عن محاولات الفاطميين غزو الأندلس، وذلك عن طريق نشر المذهب الشيعى داخل بلاد الأندلس وإرسال دعاتهم لنشر ذلك المذهب وتشجيعهم للثائرين فى الأندلس وفتح أبواب المهدية والقيروان أمام اللاجئين السياسيين الأندلسيين، ثم الصراع بين الفاطميين والأمويين على أرض المغرب الأقصى حتى رحل الفاطميون إلى مصر .

ثم تحدثت عن رد الفعل الأموى ضد مطامع الفاطميين فى بلاد الأندلس والمغرب، وذلك بإرسال دعاتهم وجواسيسهم إلى بلاد المغرب لتزويد حكومة قرطبة بأخبار ما يدبره لهم الفاطميون فى المغرب.

ثم مقاومة المالكية للفاطميين فى المغرب واستقبال الأندلس للاجئين السياسيين واستمالة قواد الفاطميين وتشجيع وتأييد الثائرين على الفاطميين فى بلاد المغرب.

ثم تحدثت عن الصراع البحرى بين الفاطميين فى المغرب والأمويين فى الأندلس.

وفى فترة الحكم المستنصر والمنصور بن أبى عامر تتبعت سياسة الأمويين فى بلاد المغرب خاصة بعد رحيل الفاطميين إلى مصر، حتى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس وقيام الفتنة البربرية .

وفى نهاية هذا الفصل تعرضت لموضوع المهاجرين من القطرين وأثرها فى الأحداث السياسية.

وفى الفصل الثالث عرضت للعلاقات الاقتصادية فتناولت الموضوعات الآتية : أهم المراكز التجارية فى كل من المغرب والأندلس ، ثم تعرضت للطرق التجارية فى كل من المغرب والأندلس ، فالتجارة الداخلية فى الأندلس والمغرب أيضا، ثم تطرقت إلى الأسواق والفنادق والأسعار ، ثم الإشراف على هذه الأسواق فأشرت إلى وظيفة المحتسب وأهميتها ثم وسائل المعاملات داخل هذه الأسواق من عملات أو سفاتج أو صكوك ، ثم الموازين والمكاييل، ثم تعرضت لموضوع التجارة الخارجية بين الأندلس والمغرب، فذكرت أهم الطرق التجارية وخاصة الطرق البحرية التى ربطت بين البلدين، ثم أشرت إلى السلع المتبادلة بينهما .

فى حين خصصت الفصل الرابع للعلاقات الثقافية فتحدثت عن العوامل المؤثرة فى هذه العلاقات من صلات جغرافية ورحلات متبادلة وحواضر ثقافية ثم أشرت إلى تفاصيل هذه العلاقات فتحدثت عن الفقه والمذهب الشيعى والدراسات اللغوية والأدبية والعلوم وبينت كيف أن عصر الخلافة قد قدح زناد الفكر فأظلت البلدين نهضة فكرية حقيقية.

هذا وقد اعتمدت في كتابة البحث على المصادر العربية القديمة بالدرجة الأولى، ثم المراجع العربية الحديثة والأجنبية والمقالات المنشورة فى الدوريات .

ومن المراجع العربية القديمة التى أعانتنى على كتابة هذا البحث مخطوط المجالس والمسايرات لأبى حنيفة النعمان المغربى المتوفى سنة ٣٦٣هـ/ ٩٦٤م . وقد أفدت منه فى دراسة تاريخ الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب وعلاقاتها بالأمويين فى الأندلس خاصة الصراع البحرى فى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى وكتاب المقتبس فى أخبار بلد الأندلس تأليف أبى مروان بن حيان القرطبى ٤٦٩هـ ويعتبر من أعظم مؤرخى أسبانيا الإسلامية فى العصور

الوسطى . وقد امتازت روايته بالدقة والعمق والنظرة التحليلية الصائبة ، كما أمتازت عباراته بالقدرة والمرونة حتى لقب بشيخ الأدب والمؤرخين فى الأندلس .

هذا وقد كتب ابن حيان مؤلفات كثيرة تبلغ الخمسين ، ضاعت كلها تقريبا ولم يبق منها إلا أجزاء يسيرة نذكر منها كتابه المعروف باسم المقتبس فى أخبار بلد الأندلس ويتناول هذا الكتاب تاريخ الأندلس من الفتح العربى حتى أواخر القرن الرابع الهجرى.

هذا وقد وصل إلينا من كتاب المقتبس أربع قطع منفصلة ، القطعة الأولى وتتناول عصر الحكم الربضى وجزء من عصر عبد الرحمن الأوسط وقد نشرها الدكتور محمود على مكى.

والقطعة الثانية وتتناول عهد الأمير عبدالله الأموى ونشرها الراهب الأسبانى ملشور انطونيا ، أما القطعة الثالثة ، فهى تتناول معظم عهد عبد الرحمن الناصر، وقد اكتشفت حديثا فى خزانة القصر الملكى بالرباط وهى لاتزال مخطوطة .

هذا وقد أفدت من القطعة الثانية من هذا الكتاب فى دراسة أحوال الأندلس الداخلية ، والثورات التى انتشرت بها قبيل ظهور عبد الرحمن بن محمد وقيام الخلافة الأموية فى الأندلس.

أما القطعة الرابعة الخاصة بعصر الحكم المستنصر فقد أفدت منها إفادة كبيرة ، خاصة فيما يتعلق بالعلاقات السياسية بين بلاد المغرب والأندلس فى فترة خلافة الحكم المستنصر وسيطرة الأمويين على المغرب الأقصى بعد رحيل الفاطميين إلى مصر.

كما اعتمدت كذلك على كتاب البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى المراكشى (القرن السابع الهجرى) وهذا الكتاب يقع فى أربعة أجزاء الجزء الأول يتحدث عن فتح الفاطميين لأفريقية فى حكم المعز لدين الله الفاطمى وانتقاله إلى مصر .

أما الجزء الثانى فيعالج تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامى حتى وفاة المنصور بن أبى عامر.

وقد أفدت من هذا الكتاب إفادة كبيرة فى إلقاء الضوء على تاريخ المغرب والأندلس، وعلاقة كل منهما بالآخر ، كما أفادنى هذا الكتاب فى التأريخ لأحداث سقوط الخلافة والفتنة البربرية. ويؤخذ على هذا الكتاب أنه ملىء بالخرافات والأخطاء التاريخية ومع هذا فقد أفدت منه فى التأريخ لمدينة فاس خاصة وتاريخ المغرب الأقصى عامة.

وعلى رأس الكتب المغربية التى أفدت منها كتاب سيرة الأستاذ جوزر وتوقيعات الأئمة

الفاطميين لأبى المنصور العزيزى الجوزرى (عاش فى القرن الرابع الهجرى) وكان من المقربين للخلفاء الفاطميين ، ومن هنا تظهر أهمية المؤلف كشاهد عيان ولذا فقد أمدنى ببعض المعلومات الهامة عن تاريخ الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب . ومن الكتب التى أفادتنى فى دراسة الجوانب الثقافية والتاريخية أيضا كتاب المغرب فى حلى المغرب لابن سعيد المغربى المتوفى سنة ٦٨٥هـ ويقع فى جزءين .

ومن الكتب الأدبية التاريخية أيضا كتاب الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنتريني نسبة إلى شنترين فى غرب البرتغال ، (ت ٥٤٢هـ ويعتبر هذا الكتاب موسوعة أدبية تاريخية أفدت منه إفادة كبيرة.

ولايفوتنى هنا أن أشير لبعض كتب التراجم التى أفادتنى فى التأريخ لعلماء المغرب والأندلس وإلقاء الضوء على العلاقات الثقافية التى ربطت بين بلاد المغرب والأندلس عبر الرحلات المتبادلة بين أبناء القطرين الشقيقين .

ومن أهم هذه الكتب كتاب تاريخ علماء الأندلس للمؤرخ القرطبى أبى الوليد ابن محمد الأزدى المعروف بابن الفرضى، المتوفى سنة ٤٠٣هـ قتله البربر فى فتنة الأمويين فى قرطبة.

وكتاب الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم لابن بشكوال المتوفى فى القرن السادس الهجرى.وكتاب قضاة قرطبة وعلماء إفريقية لمحمد بن الحارث الخشنى المتوفى سنة ٣٦١هـ ، وكتاب جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس للحميدى المتوفى سنة ٤٤٨هـ.

أفدت أيضا من كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب لأحمد المقرى (ت ١٠٤١هـ) وهو مؤرخ مغربى من مدينة مقرة من أعمال قسنطينة ، طاف ببلاد المغرب ورحل إلى المشرق، كان المقرى من المعجبين بشخصية المؤرخ الغرناطى لسان الدين بن الخطيب حتى أنه ألف كتاباً تناول فيه تاريخ ابن الخطيب وحياته وإنتاجه العلمى والأدبى من نظم وشعر وتاريخ ، فخرج هذا الكتاب على شكل موسوعة كبيرة عن الأندلس ، نصفها الأول يتضمن التعريف بابن الخطيب .

ويعاب على هذا الكتاب أنه غير منظم فى سرد معلوماته ، وقد يرجع ذلك إلى أن المقرى ألفه بعيداً عن وطنه اعتماداً على مكتبته التى تركها بالمغرب على حد قوله ، على أن هذا الكتاب يعتبر مصدراً أساسياً لجميع الباحثين فى تاريخ المغرب والأندلس .

كذلك استعنت بكتاب الحلة السيراء تأليف ابن الآبار المتوفى سنة ٦٥٨هـ وهذا الكتاب يتناول أخبار المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامى إلى منتصف القرن السابع الهجرى .

وأفدت من كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس فى أخبار ملوك المغرب وتاريخ مينة فاس لأبى العباس أحمد بن أبى زرع والكتاب يتناول تاريخ المغرب الأقصى من سنة ١٤٥هـ إلى ٧٢٦هـ أى أنه يشتمل على تاريخ الدول الخمس التى تداولت حكم المغرب فى هذه الفترة : وهى دولة الأدارسة ، ودولة زناتة من مغراوة وبنى يفرن ، ثم دولتا المرابطين والموحدين وأخيرا دولة بنى عبد الحق أو بنى مرين.

وكانت المؤلفات الجغرافية وكتب الرحالة خير عون لى فى القاء الضوء على صور العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب والأندلس بما تضمنته من معلومات قيمة عن النشاط الزراعى والصناعى والتجارى، وأهم المراكز التجارية فى كل من المغرب والأندلس وما اشتهرت به من منتجات زراعية وصناعية.

كما أمدتنى هذه الكتب بمعلومات وافية عن طرق جباية الضرائب والايرادات المالية فى كل من المغرب والأندلس وعن نظم المعاملات داخل هذه الأسواق .

ومن الكتب التى أفدت منها افادة كبيرة كتاب صورة الأرض لابن حوقل المتوفى سنة ٣٨٠هـ ، وكتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للمقدسى المتوفى سنة ٣٨٧هـ.

ومن المصادر الجغرافية القيمة التى استعنت بها أيضا كتاب المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب لأبى عبيد البكرى المتوفى سنة ٤٨٧هـ.

ومن كتب الحسبة التى رجعت إليها كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لعبد الرحمن بن نصر الشيزرى المتوفى سنة ٥٨٩هـ وكتاب ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب .

وقد أفادتنى كتب الحسبة هذه فى القاء الضوء على وسائل المعاملات المختلفة من عملات وصكوك وسفاتج وموازين ومكاييل ودراسة نشأة الحسبة ووظيفة المحتسب داخل أسواق المغرب والأندلس .

كما أفدت من بعض المراجع العربية الحديثة ومنها كتب أستاذنا الدكتور محمد جمال الدين سرور عن قيام الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب وسياسة الفاطميين الخارجية . وكذلك كتاب دولة الإسلام فى الأندلس تأليف الأستاذ محمد عبدالله عنان وفيه يتحدث عن تاريخ الأندلس الإسلامية من الفتح العربى حتى سقوط الخلافة وقيام دول الطوائف .

كما أفدت أيضا من كتابى قيام دولة المرابطين وكتاب الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية للأستاذ الدكتور حسن أحمد محمود . كما أفدت كذلك من كتب الدكتور أحمد مختار العبادى ومن أهمها كتاب الصقالبة فى إسبانيا وكتاب دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس .

كما أفدت من كتب الدكتور عبد العزيز سالم مثل كتاب تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس وهو يتحدث فيه عن الفتح حتى سقوط الخلافة الأموية وكتاب قرطبة حاضرة الخلافة الأموية فى الأندلس.

وقد أفدت من عدد من المراجع الأجنبية أثبتها فى قائمة المصادر والمراجع واطلعت كذلك على كثير من المقالات المنشورة فى الدوريات وأفدت منها الكثير وقد راعيت فى البحث كتابة أسماء المراجع التى اعتمدت عليها فى هامش كل صفحة ثم رتبتها فى قائمة واحدة حسب الحروف الأبجدية ووضعتها فى نهاية البحث.

الفصل الأول

الأوضاع الداخلية فى بلاد المغرب والأندلس فى عصر الخلافة

١- الأوضاع الداخلية فى بلاد الأندلس

- أحوال الأندلس قبيل ظهور عبد الرحمن- عبد الرحمن بن محمد الأمير - القضاء على الفتن والثورات - إعلان الخلافة الأموية فى الأندلس - الأندلس فى عهد الخليفة عبد الرحمن- الحكم المستنصر وسياسته الداخلية والخارجية - خلافة هشام المؤيد وحجابة المنصور - سياسة المنصور الداخلية والخارجية - خلفاء الحاجب المنصور - سقوط الخلافة الأموية وأسبابه

٢- الأوضاع الداخلية فى بلاد المغرب

- قيام الخلافة الفاطمية - الدعوة - مرحلة الصدام المسلح - خروج المهدى - توطيد سلطان الخلافة - نشوب الثورات - امتداد النفوذ الفاطمى

الأوضاع الداخلية فى عصر الخلافة

النصف الأخير من القرن الثالث الهجرى من أهم الفترات فى تاريخ الأندلس والمغرب، فقد ضعفت الإمارة الأموية فى الأندلس واشتد عدوان النصارى وكادت أمور المسلمين أن تتفرق سدى، إلى أن قيض الله للأندلس عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الأمير الذى خلصها من الضعف وحقق لها الوحدة.

وفى المغرب ضعفت دولة الأغالبة كما ضعفت دولة الأدارسة أيضا، واضطربت أحوال البلاد بالكثير من الفتن والثورات، ثم قدر للمغرب أن تقوم الدولة الفاطمية فيه وأن يشتد أمر عبيدالله المهدى وخلفائه من بعده ، وأن يوحدوا البلاد حتى المحيط الأطلنطى وأن يحققوا لها الأمن والرخاء والاستقرار.

بل فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى ، يمر القطران بتطور مشابه أيضا، فقد سقطت الخلافة الأموية فى الأندلس، ورحل الفاطميون إلى مصر، واشتد الصراع بين الإمارات المغربية التى قامت بعد رحيلها إلى أن ابتليت البلاد بإغارات العرب الهلالية والذين عاثوا فيها فسادا .

وسوف نبدأ بدراسة أحوال الأندلس الداخلية أولا ثم أحوال المغرب الداخلية لنرى ما بينهما من أوجه شبه أو اختلاف .

الأوضاع الداخلية فى بلاد الأندلس

أحوال الأندلس قبل ظهور عبد الرحمن

شهدت الأندلس مرحلة نمو وازدهار حضارى طوال عهد الأمير عبد الرحمن الداخل وخلفائه من بعده حتى وفاة الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦-٢٣٨هـ، ٨٢١-٨٥٢م) حاول بها استعادة ما فقده آباؤه فى المشرق، فقد أحيا اسم الدولة الأموية على شكل إمارة[١] ، بعد انتزاع الأندلس من الولاة الذين تعاقبوا على حكم هذه البلاد[٢]، تعرضت البلاد بعدها لكثير من مظاهر الفوضى والاضطراب والفتن والثورات الداخلية، واستغرقت هذه الفتن نحوا من اثنين وسبعين عاما وهى الفترة التى تعاقب فيها على حكم الأندلس ثلاثة من أمراء البيت الأموى وهم محمد الأول والمنذر وعبدالله [٣].

وخلف المنذر أخوه عبدالله بن محمد سنة ٢٧٥هـ[٤]/ ٨٨٨م وقد بدأ الأمير عبدالله بن محمد حكمه فى ظروف قاسية تمزقت خلالها وحدة الأندلس السياسية بسبب الفتن والثورات التى اجتاحت مدن البلاد، واشتدت هذه الثورات «حتى صار فى كل جهة متغلب ، ولم تزل كذلك طول ولايته[٥] ، فقد فشى أمر الثوار حتى صار فى كل جهة متغلب ، ولم تزل كذلك طول ولايته ، فقد شق الثوار عصا الطاعة واستقلوا بحكم المناطق التى ثاروا فيها، وأمسى النفوذ الأموى لايتعدى قرطبة وضواحيها .

ولقد تنوعت عناصر الثورة وأجناسها ، فمن العرب ثار إبراهيم بن حجاج[٦] فى أشبيلية[٧]

١- عن قيام الامارة الأموية فى الأندلس تفصيليا «راجع أخبار مجموعة ص٨٦ ، ص٩٠ .

٢- الضبى بغية الملتمس ص١٢ .

٣- ابن عذارى، البيان المغرب جـ٢ ص١٥٧ .

٤- الحميدى، جذوة المقتبس ، ابن عذارى، البيان المغرب جـ٢ ص ١٢٠ .

٥- ابن الأثير ، الكامل ، جـ٤ ص١٤٥ .

٦- بنو حجاج من الأسر العربية فى أشبيلية وهم لخميون ينتسبون عن طريق الأمومة إلى القوط ، انظر (عنان دولة الإسلام فى الأندلس جـ١ ، العصر الأول ص٣٣١) .

٧- مدينة بالأندلس ليس بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام «أنظر (الحميرى الروض المعطار ص١٨»=

وقرمونة[١]، وكان من زعماء أشبيلية أيضا، بنو خلدون[٢] وبنو أبي عبده، وخلعت أشبيلية طاعة الأمويين، إذ كان زعماؤها لايرجعون في شيء إلى صاحب الدعوة المروانية ، على حد قول ابن الخطيب [٣]. وغدت أشبيلية منافسا خطيرا لقرطبة [٤]. فأرسل الأمير عبد الله جيشا إلى أشبيلية سنة (٢٨٢هـ / ٨٩٥م) بقيادة ابنه المطرف، ونشبت بين جيش الإمارة بقيادة المطرف بن عبدالله وبين زعماء أشبيلية معركة انتهت بانتصار جيش الإمارة. وفي هذه الموقعة أسر إبراهيم بن حجاج وخالد بن خلدون ، ولكن تم إطلاق سراحهما بعد استسلام المدينة لجيوش الأمير عبدالله، ودخل كل من كريب بن خلدون وابراهيم بن حجاج في طاعة الأمير عبدالله، وتم الاتفاق على إشراك كل من الزعيمين في حكم أشبيلية [٥].

ولقد تمكن إبراهيم بن حجاج من الانفراد بحكم أشبيلية سنة ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م بعد أن دبر مقتل كريب بن خلدون[٦] ، وأصبح سيد أشبيلية بلامنازع ، ولم يلبث أن خلع طاعة الأمويين وتحالف مع الثائر عمرو بن حفصون بسبب عدم تلبية الأمير عبدالله لرغبة إبراهيم بن حجاج في الإفراج عن ولده عبد الرحمن المعتقل في قرطبة[٧] . ولما أفرج عنه عاد إلى الدخول في طاعة الأمير عبدالله من جديد والاستمرار في دفع الأتاوة ، فهدأت الثورة في أشبيلية واستطاع الأمير عبدالله أن يقضي على عناصر الفتنة بها واستقرت أوضاعها إلى حين[٨].

= العذري ، ترجيع الأخبار وتنويع الآثار ص٩٥، ابن غالب فرحة الأنفس ص٢٩٥ ، القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد ص٤٩٧ ، الادريسي ، صفة المغرب ص١٧٨ ، البكري ، جغرفية الأندلس وأوروبا ص١١٢-١١٣) .

١- مدينة بالأندلس ليس بينها وبين قرطبة مسيرة ثلاثة أيام انظر الحميري الروض المعطار ص١٨ .

٢- ابن خلدون العبر جـ٧ ص٣٨٠-٣٨١ .

٣- ابن الخطيب أعمال الاعلام نشر ليفي بروفنسال ص٣٩ .

٤- ابن عذاري ، البيان المغرب جـ٢ ص١٢٦ .

٥- ابن حيان ، المقتبس جـ١ ص١١ .

٦- ابن حيان ، المقتبس جـ١ ص٨٤ .

٧- ابن عذاري ، البيان جـ٢ ص١٢٩ .

٨- ابن حيان ، المقتبس ص١٣١ .

لم تكن أشبيلية المدينة الوحيدة التى اندلعت بها نيران الثورة بل عمت الفتن والثورات أنحاء الأندلس كلها، فقد أعلن ولاة «لورقة[١] وسرقسطة[٢]» استقلالهما، أما بطليوس[٣] ومارِدة[٤] فقد ثار فيها عبد الرحمن بن مروان الجليقى[٥]، وقد أرسل الأمير عبدالله وزيره هاشم بن عبدالعزيز على رأس جيش لاخماد نيران الثورة هناك، غير أن هذا الوزير وجنوده قد أساءوا معاملة الأهالى، إذ يقال أنه أهان عبد الرحمن بن مروان الجليقى، سبه بقوله «الكلب خير منك»[٦] فأخذ أسيرا ثم افتداه الأمير عبدالله بأموال طائلة[٧]، غير أن خطر هذه الثورة استمر حتى عهد عبد الرحمن الناصر[٨].

١- لورقة Lorca تقع فى كورة مرية. وتدمير Tudmer الاسم القديم لكورة مرسية تقع شرق الأندلس شمال المرية، انظر الحميرى الروض المعطار ص٦٢، البكرى، جغرافية الاندلس ص١٢٧).

٢- سرقسطة «تقع سرقسطة فى شرق الأندلس وهى المدينة البيضاء، أعظم مداين ثغر الأندلس» (تاريخ الاندلس ووصفه لاين الشباط «نصان جديدان» تحقيق أحمد مختار العبادى معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ ص١٥٠).

٣- تقع مدينة بطليوس على الحدود الشرقية للبرتغال (انظر الحميرى الروض المعطار ص٤٦).

٤- تقع مدينة ماردة Merda فى جنوب غرب الأندلس (المصدر السابق ص١٢٧ الحميرى الروض المعطار ص١٧٥).

٥- ينتمى إلى أسرة من المولدين أصلها من ولاية جليقة فى شمال البرتغال استطاع أن يفر من قرطبة مع نفر من صحبة، تولى أبوه مروان بن يونس الجليقى حكم ماردة أيام الأمير عبد الرحمن الثانى (٢٠٦-٢٣٨هـ/ ٨٢٢م ٨٥٢م)، وكان ولده عبد الرحمن طموحا لايشعر بالولاء نحو حكومة قرطبة، فانتظم فى سلك الخوارج واشترك فى الثورة ضد الأمير محمد فلما أخمدت الثورة وتم اخضاع ماردة فى ٢٥٤هـ / ٨٦٨م قبض الأمير على عبد الرحمن الجليقى ونقله مع باقى الثوار إلى قرطبة، ثم فر من قرطبة فى ٢٦١ ٨٧٥م حيث غادر قرطبة خفية واستولى على قلعة الحنيش (Alange) تقع على بعد ٢٠ كم جنوب شرق ماردة (البكرى المغرب ص١٢٥، عنان دولة الإسلام فى الأندلس ص٣٠٤).

٦- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص١٠٣-١٠٤.

٧- ابن الخطيب، اعمال الإعلام ص٢٢-٣٣.

٨- ابن سعيد المغربى، المغرب فى حلى المغرب ص٥٢ تحقيق شوقى ضيف.

وكان أشد أولئك الثوار خطرا وأكثرهم عنادا «ابن حفصون» وهو من سلالة بعض أمراء القوط الغربيين واعتنق الاسلام لكنه كان يبطن النصرانية[١]، دخل فى خدمة الأمراء الأمويين مدة ثم لم يلبث أن ثار فى قلعة ببشتر[٢] واستغرقت فتنته اثنين وخمسين عاما من ٢٦٧-٣١٦هـ / ٨٨٠-٩٢١م ودانت له خلالها البلاد الواقعة بين رية[٣] والجزيرة[٤] الخضراء[٥] والبيرة[٦] وضواحى قرطبة واشتدت شوكته واستفحل خطره ولم يستطع الأمير عبدالله القضاء عليه، بل قتل قائده عبد الملك بن مسلمة.

وانتهز عمرو بن حفصون الخلاف الذى نشب بين الأمير عبدالله وبين بنى حجاج فى أشبيلية[٧]، واتصل بهم ليكونوا حلفا ضد الأمير عبدالله بن محمد كما اتصل بالفاطميين[٨].

هذا وقد حشد الثائر عمرو بن حفصون قوات كبيرة فى حصنه المنيع بلاى قرب قبره[٩] (Cabra) للإغارة منها على المدن الأندلسية القريبة من قرطبة، وقد بلغت قوات الثائر عمرو بن حفصون حوالى ثلاثين ألفا فى حين بلغت القوات الأموية حوالى أربعة عشر ألفا[١٠] بالإضافة إلى أربعة آلاف من موالى الأمير عبدالله[١١] .

١- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص١٦٥ .

٢- حصن بالأندلس بينه وبين قرطبة ثمانون ميلا (الحميرى) الروض المعطار ص٣٧) .

٣- كورة من كور الأندلس فى قبلى قرطبة ، نزلها جند الأردن من العرب وهى كثيرة الخيرات (الحميرى، الروض المعطار ص٧٩) .

٤- الجزيرة الخضراء تقع جنوب أسبانيا ، العذرى ص١١٧-١٢٠ .

٥- البكرى، جغرافية الأندلس وأوربا ص٢١٧ .

٦- تقع البيرة Elvira شمال غرب غرناطة (البكرى، جغرافية الاندلس ص١٢٦ ، الحميرى ، نفس المصدر ص٢٩) .

٧- ابن حيان ، المقتبس ص١٢٩ .

٨- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٣٦ .

٩- قبرة «مدينة بالأندلس تقع إلى الجنوب الشرقى من قرطبة على بعد ثلاثين ميلا من قرطبة (الحميرى، الروض المعطار ص١٤٩، البكرى ، جغرافية الأندلس ص١٢٧) .

١٠- ابن حيان ، المقتبس ص١٠٤ .

١١- ابن عبد ربه ، العقد الفريد جـ٤ ص٤٩٨ .

ونشبت بين الفريقين موقعة عند بلاى[1] سنة ٢٧٨هـ / ٨٩١م انتهت بانتصار قوات الإمارة بقيادة القائد عبيد الله بن محمد بن أبى عبده بعد أن فر عمرو بن حفصون وارتدت قواته وتمكنت القوات الأموية من الاستيلاء على أستجة[2] التى سبق أن دخلت فى طاعة الثائر عمرو بن حفصون[3].

غير أنه تمكن من استردادها مرة أخرى سنة ٢٨٤هـ / ٨٩٧م[4]، وعلى الرغم من نجاح قوات الأمير عبدالله فى تتبع أثر ابن حفصون ومحاولة القضاء عليه ونجاح الإمارة الأموية فى مناهضة هذا الثائر إلا أن الأمير عبدالله لم يفلح فى القضاء على تلك الثورة قضاء نهائيا .

وكان من أثر هذه الفتن والثورات المتلاحقة على بلاد الأندلس أن انتشرت الفوضى فى ربوعها ، فخلت الأسواق من الأقوات وارتفعت الأسعار ونفدت خزائن الدولة من الأموال وطمع نصارى الشمال فى استرداد ملكهم .

ولم يستطع الأمير عبدالله أن يتغلب على ما حل بالبلاد من بلاء، وقد أشرفت دولة الأمويين فى عهده على الزوال وامتلأت الأندلس بالفتن وصار فى كل جهة متغلب [5].

١- انظر ابن حيان ، المقتبس ص٩٥ ، ص١٠٥ ، ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص١٢٦-١٢٧ .

٢- أستجة : Estiggi وتقع جنوب غرب قرطبة ، (ابن الكردبوس ص١٤٠، الحميرى الروض المعطار ص١٤ ، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٣٧).

٣- Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne Vol. II. pp. 68-73 .

٤- ابن حيان ، المقتبس ص١٠٩ .

٥- الحميرى ، الجذوة ص١٢ ؛ عن الثورات والفتن الداخلية فى أواخر عصر الإمارة انظر (ابن حيان : المقتبس ص٨ ، ٥٠ ، ٦٩ ، ٩٧ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ جـ٧ ص٢٦٥ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٠٦ ، ٣١٠ ، ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ص١٠٧ ، ١١٢ ، ابن الأبار الحلة السيراء جـ١ ص١٤٧ ، ١٥٤ ، ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص١٢٠، ص١٣١ ، ١٥٢ ، ١٩٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٢٥ ، ٢٩ ، ابن خلدون العبر جـ٤ ص١٣٢ ، ١٣٧) .

R. Dozy : Spanish Islam pp. 316 ; 445 .

عبد الرحمن بن محمد الأمير :

توفى الأمير عبدالله سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م وخلفه حفيده عبد الرحمن بن محمد[١] (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) وكان يكنى أبا المطرف وأمه أم ولد اسمها[٢] مزنة ، توفى والده محمد وهو ابن عشرين يوما[٣]. ونشأ عبد الرحمن يتيما فى كفالة جده الأمير عبدالله الذى شمله بالرعاية والعناية بعد وفاة والده الأمير محمد[٤] قبيل أخيه المطرف[٥] ، وقام جده بتعليمه وتربيته فدرس القرآن والسنة، كما درس الشعر والتاريخ والنحو، وكان الأمير عبدالله «يرشحه لمختلف المهام ويندبه للجلوس مكانه فى أيام الأعياد لتسلم الجند عليه وحينما اشتد عليه المرض برىء إليه بخاتمه إشارة منه باستخلافه »[٦]، «فكان أول من بايعه أعمامه أبان والعاص ومحمد وتلاهم أخوه جده»[٧]، واستمرت البيعة بضعة أيام، «فتتابع الفقهاء

١- الحميدى، الجذوة ص١٢ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ١ ص١٩٧ ص١٩٨ ، الضبى، البغية ص١٧ ، المراكشى ، المعجب فى تلخيص أخبار المغرب الاقصى ص٥٤ ، ٥٥ ، ابن عذارى البيان جـ٢ ص١٥٦ ، ١٥٧، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص٢٨ ، ٣٠ ، ابن خلدون ، ، العبر جـ٤ ص١٣٧ ص١٣٨ ، المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٦٤ ، ١٦٥ .

٢- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص١٥٦ .

٣- المراكشى: المعجب ص٥٤ ، ٥٥ .

٤- الحميدى: الجذوة ، ص١٢ ، ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٣٧ .

٥- كان محمد بن عبدالله أكبر أبناء الأمير عبدالله وولى عهده، فحقد عليه أخوه الأصغر المطرف حيث كان يرى أنه أحق بولاية العهد منه فأخذ المطرف يدس لأخيه ويوغر صدر أبيه عليه فقد اتهمه المطرف بانه يتصل بالثوار وخاصة الثائر عمرو بن حفصون فتوجس الأمير عبدالله منه شرا وأمر باعتقاله وعندما عزم الأمير عبدالله على العفو عنه وإطلاق سراحه بعد أن ثبتت براءته ، قام المطرف بقتله داخل السجن . «عن قتل المطرف لأخيه الأمير محمد انظر (ابن عذارى- البيان جـ٢ ص١٥٦ ، ص١٥٧، ابن خلدون العبر جـ٤ ص١٣٧) .

٦- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٢٩ .

Levi- Provencal ; Una Cronica Anonima de Abd Al Rahman III Al - Nassir Madrid pp. 29-30 .

٧- ابن الخطيب : المصدر السابق ص٣٣ ، ابن عذارى، نفس المصدر جـ٢ ص١٥٨ .

Levi - Provencal Hist. de Musul . T. p. 30 .

والأعيان ورؤساء البيوتات، كما أخرج عبد الرحمن بن محمد الأمناء إلى البلاد لأخذ البيعة، فتتابعت الردود لانجازها من جميع النواحي»[١].

كانت الأندلس عند ولاية عبد الرحمن بن محمد ٣٠٠هـ / ٩١٢م تعانى الأوضاع التى أشرنا إليها، وكان على الأمير الجديد أن يتجه إلى تنظيم شئون البلاد الداخلية والخارجية وأن يواجه جميع الأخطار التى تتعرض لها الأندلس فى الداخل والخارج . وقد أثبتت الأحداث أن عبد الرحمن كان جديرا بحمل هذا العبء[٢] فقد استطاع أن يعيد إلى الأندلس استقرارها ووحدتها الداخلية [٣].

القضاء على الفتن والثورات :

وقد نجح عبد الرحمن فى استخلاص قلعة رباح[٤] التى ثار بها الفتح بن موسى بن ذى النون من زعماء البربر، بعد معركة بين قوات الأمير عبد الرحمن وبين الثائر ابن ذى النون وأتباعه فى شهر ربيع الآخر ٣٠٠هـ[٥] / ٩١٢م، كما استولت جيوش الأمير عبدالرحمن بقيادة بدر الحاجب[٦] على قلعة أستجة فى نفس تلك السنة، وكانت هذه القلعة من أمنع قلاع الثائر عمرو بن حفصون حيث قامت جيوش عبد الرحمن بعد الاستيلاء عليها بهدم سورها «فألحقوا أعاليها بأسفلها»[٧].

١- نفس المصادر السابقة ونفس الصفحات .

٢- ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص٢٩ .

M. Lafuente , Historia Genral de Espana I. L. pp. 217-230 .

٣- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص١٥٧ ، ص٢٠٢ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ص٣٢-٤٠ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ص ص١٣٧-١٤٣ .

٤- «قلعة بالأندلس من أعمال جيان وهى بين قرطبة وطليطلة وهى مدينة حسنة ولها حصون حصينة (الحميرى: الروض المعطار ص١٦٣) .

٥- مدونة من عصر الناصر ص٣٣ . Levi- Provencal , cronica, anonima

الحميرى : الروض المعطار ص١٤ .

٦- ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص١٥٩ ، ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٣٩ .

٧- ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ص١٥٩ ، ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٣٩ .

كما ثار فى حصن المنتلون من أعمال جيان[١] زعيم من المولدين اسمه سعيد بن هذيل ، فقامت جيوش الأمير عبد الرحمن فى ٣٠٠هـ[٢] / ٩١٢م بمحاصرة الحصن، ولما أذعن زعيمه للطاعة ، منحه الأمير عبدالرحمن الأمان ، ثم تقدم الأمير عبد الرحمن إلى قلعة ببشتر[٣] من كورة رية لقتال عمرو بن حفصون وأولاده بعد أن اشتد أمره واتسعت رقعة مملكته وانضم إليه عدد كبير من الخارجين على طاعة الأمير[٤]، كما أطاعه أكثر البلاد المتوسطة بين رية والخضراء والبيرة[٥].

وبعد جهود كبيرة ومحاولات عدة استطاع جيش الأمير عبدالرحمن أن يفتح ثلاثين حصنا من حصون ابن حفصون[٦].

ثم توفى عمرو بن حفصون فى سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م وهو فى الثانية والسبعين من عمره بعد مرض طويل[٧].

لقد كانت ثورة ابن حفصون من أشد الثورات التى عرفتها الأندلس خطرا فقد ناهضت حكومة قرطبة زمنا طويلا .

ولم تنته هذه الثورة بوفاة ابن حفصون سنة ٣٠٣هـ/ ٩١٥م بل حمل أبناؤه من بعده لواء المعارضة ضد حكومة قرطبة ، فقد ترك ابن حفصون أربعة أولاد ، هم سليمان وعبد الرحمن وجعفر وحفص ، وخلف جعفر أباه فى ببشتر بعهد منه. فبادر عبد الرحمن باحتلال مدينة ببشتر وافتتح حصن طرش، وكان فيه عبد الرحمن بن عمرو بن حفصون ، فسلم الحصن سنة[٨]

١- مدينة بالأندلس ، بينها وبين بياسة ستون ميلا، الحميرى، الروض المعطار ص٧٠ .

٢- مدونة من عصر الناصر ص٣٣-٣٥ .

٣- الحميرى: الروض المعطار ص٣٧ .

٤- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٣٤ ، ص١٣٩ .

٥- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص١٣٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص٣٤ ، ص٣٥ .

٦- ابن عذارى: البيان جـ٢ ص١٧٠ ، ص١٧٠ ، ص١٩٥، ص٢٠١ - ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٣٩ .

٧- ابن عذارى : البيان جـ٢ ص١١٤ ، ص٢١٠ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص٣٤ ، ص٣٥ .

٨- ابن عذارى : نفس المصدر جـ٢ ص١٧٤ ، ابن الخطيب المصدر السابق ص٣٤ .

٣٠٧هـ/ ٩١٩م ، أما جعفر بن عمرو بن حفصون فقد رأى الأمير عبد الرحمن أن يهادنه أول الأمر فأقره على أعماله .

وفى (٣٠٨هـ/ ٩٢٠م) قتل جعفر فى ببشتر واتهم فى ذلك أخوه سليمان، وقيل أن نفرا من النصارى قد اغتالوه بسبب تودده لجند المسلمين[١].

وأخذت معاقل بنى حفصون تسقط واحدة فى أثر الأخرى وقامت قوات عبد الرحمن بتدمير تلك الحصون والقلاع تدميرا تاما[٢] واستسلم جميع العصاة المعتصمين فيها (سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م)[٣] .

أما أشبيلية فقد كان يحكمها بنو حجاج من الأسر العربية التى استقرت بالمدينة، وكان ابراهيم بن حجاج اللخمى قد استقل بكورة أشبيلية وقرمونة وخرج على الأمير عبدالله بن عبد الرحمن- كما سبق أن ذكرنا [٤]- ولما عاد إلى الطاعة ولاه الأمير عبدالله على أشبيلية ، ولما توفى ابراهيم سنة ٢٩٨ هـ/ ٩١٠م ولى مكانة ابنه عبد الرحمن حتى توفى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣م[٥].

وقد نجح الأمير عبد الرحمن فى اجتذاب بنى حجاج فى أشبيلية إليه فدخل أحمد بن محمد بن مسلمة بن حجاج فى طاعته [٦].

أما مدينة قرمونة فقد ثار بها حبيب بن سوادة فأرسل إليه الأمير عبد الرحمن جيشا بقيادة بدر، فقام بحصارها ثم دخلها عنوة وقبض على حبيب وولده وأرسلوا إلى قرطبة (٣٠٥هـ[٧] / ٩١٧م) .

١- ابن خلدون : العبر جـ٤ ، ص٣٥ . Dozy Hist. Vol II p. 108 .

٢- Carlos - sarthou carnenas castillos d'Espana, Madrid, 1952. p. 22 .

٣- Dozy , Spanish Islam. pp. 393-494 .

٤- انظر ص٤ من الرسالة.

٥- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص١٢٥ ، ص١٣٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٤٠ .

٦- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ، ص١٢٥ ، ص١٣١ ، ص١٦٣ ، ابن خلدون العبر : جـ٤ ص١٣٦ .

٧- Levi - provencal , cronica anonima p. 56-55 .

وأخذت مدن الأندلس الواحدة بعد الأخرى تفتح أبوابها للأمير عبد الرحمن فسلمت طليطلة[١] ودخلت في طاعته وخرج أميرها ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث إليه فأمنه[٢].

هكذا استطاع الأمير عبد الرحمن بن محمد أن يقضى على مظاهر الفرقة داخل الأندلس ، فاجتمع شمل المسلمين تحت لوائه وأصبحوا يؤلفون قوة كبرى كان لها أكبر الأثر فى بث الرعب والهلع فى نفوس نصارى أسبانيا .

وقد قاسى المسلمون فى الأندلس الكثير من المتاعب فى الحروب التى شنها عليهم نصارى الشمال، فلم تمضى سنتان على حكم الأمير عبد الرحمن حتى شن أردونيو Ordono (٣٠٢هـ / ٣١٣هـ- ٩١٤م/ ٩٢٥م) ملك ليون الحرب على المسلمين فحشد جيوشه وقصد مدينة يابرة[٣]. فدخلها عنوة وقام بقتل عدد كبير من السكان واستشهد فى هذه الموقعة عامل المدينة مروان بن عبد الملك[٤].

وفى سنة (٣٠٥هـ/ ٩١٧م) التحمت جيوش المسلمين بقيادة القائد أحمد بن محمد بن أبى عبده مع الجيوش القشتالية فى موقعة قرب شنت اشتبين[٥] Sant Easteban وفى هذه الموقعة انهزمت جيوش المسلمين واستشهد القائد أحمد بن محمد بن أبى عبده[٦].

١- طليطلة Toledo مدينة بالاندلس ، بينها وبين أبرج المعروف بوادى الحجارة خمسة وستون ميلا، وهى مركز لجميع بلاد الأندلس ، لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل ، ومنها إلى بلنسية تسع مراحل كذلك، ومنها إلى المرية فى البحر الشامى تسع مراحل أيضا (الحميرى: الروض المعطار ص١٣٠ ، عن طليطلة أنظر : البكرى، جغرافية الأندلس ص٨٦ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص٢٨٨ ، الادريسى ، صفة المغرب والاندلس ص١٨٧) .

٢- ابن خلدون ، نفس المصدر جـ٤ ص١٤١ .

٣- «مدينة بالأندلس من كور باجة وتنتهى أحواز باجة فيما حواليها مائة ميل» (الحميرى ، الروض المعطار ص١٩٧، وهى فى غرب الأندلس (ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص٤٢٤) .

٤- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص١٦٧ .

٥- حصن بالأندلس على نهر تاجة غربى طليطلة : (الروض المعطار ص٢٢) .

٦- ابن عذارى : البيان المغرب جـ٢ ص١٧٠ : ص١٧١ ابن خلدون العبر جـ٤ ص١٤١ .

وعندما أحس عبد الرحمن بتطور الموقف إلى جانب نصارى الشمال، نهض بنفسه على رأسه جيش كبير متجها إلى جليقية ونبرة واستطاع القضاء على عدد من حصون النصارى من أهمها حصن شنت أشتبين San Estban كما هدم عددا من الحصون الأخرى[1].

ثم التقت جيوش الأمير عبد الرحمن بجيوش أوردنيو الثانى Ordono II (٣٠١-٣١٢هـ/ ٩١٤-٩٢٤م) وجيوش شانجة ملك نافار (٢٩٣-٣١٤هـ / ٩٠٥-٩٢٦م) ، وكان النصر حليف عبد الرحمن وعاد جيشه ظافرا إلى قرطبة كما قام بالزحف إلى بنبلونة عاصمة نافار وخربها [٣]. وتعرف هذه الغزوة باسم غزوة بنبلونة[٤].

(وفى سنة ٣١٤هـ/ ٩٢٩م) توفى أوردنيو الثانى Ordono II ملك ليون وانشغلت مملكة ليون بحرب أهلية بسبب التنازع على العرش بين سانشو وألفونسو بن أوردنيو وانتهى ذلك النزاع بوفاة سانشو . ثم تجددت هذه الحرب الأهلية مرة أخرى بين ألفونسو وأخيه روميرو Ro-mero الذى استطاع فى النهاية الفوز بعرش مملكة ليون سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٢م.

واستمرت الحرب بين الأمير عبد الرحمن الثالث وروميرو Romero II الثانى مدة طويلة، ومن أهم وقائعها موقعة الخندق Alhandega [٦] التى انهزم فيها الأمير عبد الرحمن

١- ابن عبد ربه : العقد الفريد جـ٢ ص٣٦٨ ، ابن عذارى: البيان جـ٧ ص١٧٥ ، ص١٧٦ ، ص١٨٧ ، ص١٨٩ .

٢- ابن خلدون : العبر ،جـ٤ ص١٤١ ، ص١٤٢، المقرى: نفح الطيب. جـ١ ص٢٣٣ .

٣- ابن عذارى: البيان جـ٢ ص١٨٥، ص١٨٦ ، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص٢٣٤ .

٤- ابن عذارى : البيان جـ٣ ص١٨٥، عنان : دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول القسم الثانى

Dozy Hist. V. II. pp. 194, 195 .

٥- عنان، جـ٢ ص٤٠٠ .

٦- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٣٦ ، ص٣٧ .

سميت بموقعة الخندق لتشوبها على خنادق سورة، السعودى مروج الذهب جـ١ (ص٧٨ ، عنان ، دولة الإسلام جـ٢ ص٤١٤ .

٣٢٧هـ / ٩٣٨م «جرت الهزيمة على المسلمين طائفة من جند الناصر لدين الله حدثه ما هيأ الله من الصنع، ولم تناصحه فى الحرب حق النصح فمالت ثانية للأعنة واختل مصاف القتال»[١].

وقد أذعن أعداء عبد الرحمن بالطاعة وبعثوا إليه الرسل والهدايا[٢] ففى ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م وصل قرطبة رسول من قبل الملك أوردنيو الثالث (سنة ٣٣٩هـ- ٣٤٥هـ/ ٩٥٠-٩٥٦م) Or-dono III بن روميرو Romero II يطلب الصلح، أما الملكة طوطة فقد جاءت فى زيارة إلى قرطبة سنة ٣٤٧هـ ٩٥٨م ومعها حفيدها شانجة المعروف بشانشو السمين (٣٤٥هـ- ٣٥٥هـ / ٩٥٦م- ٩٦٦م) وكان شانجة هذا قد عزله نبلاء ليون وقشتالة عن عرش نبرة (نافار) وولوا مكانه أوردنيو الرابع سنة ٣٤٧هـ/ ٣٤٩هـ / ٩٥٨-٩٦٠م) فأكرمها عبد الرحمن وعقد معها معاهدة كانت نتيجتها إعادة شانجة لمملكته سنة ٣٤٩هـ / ٩٦٠م) مقابل حصول عبد الرحمن على عدة حصون من مملكة نبرة[٣].

إعلان الخلافة الأموية فى الأندلس

لم يتخذ الأمراء الأمويون فى الأندلس سمة الخلافة[٤] ولم يتلقب بهذا اللقب أحد من أمراء البيت الأموى ، بل حرصوا على أن يتلقبوا بلقب الأمير[٥] أو السلطان[٦] وأحيانا بابن

١- ابن الخطيب ، نفس المصدر ص٣٧ .

٢- ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٤٣، المقرى ، نفح الطيب جـ١ ص٢٣٥ .

٣- ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٤٣ ، المقرى، نفح الطيب جـ١ .

Stanly Lane- Poole: The Moores in spain pp. 123-128 .

٤- ابن خرداذبة : المسالك والممالك ص٩٠ ، المسعودى: مروج الذهب جـ١ ص١٠٠ ، وابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ص٨٣، ابن الأبار : الحلة السيراء جـ١ ص٣٥ ، ص٥٦ ، ابن خلدون : المقدمة ص٢١٩، العبر جـ٤ ص١٢٢ .

٥- الضبى : بغية الملتمس ص١٣، ابن عذارى: البيان المغرب جـ٢ ص٥٣ ، ص٨١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص٢٠، ص٢١ ، ص٢٣ .

٦- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٢٢ .

الخلائف[١]. كما أثبتت النقوش التاريخية اتخاذ الأمراء الأمويين لقب الأمير[٢] ويعلل ابن خلدون سبب عدم تلقب الأمويين بألقاب الخلافة أنهم كانوا يرون الخلافة تكون لمن يملك الحرمين[٣]، وهم بعيدون عن ملك الحجاز أصل العرب والملة، فهى مركز العصبية ومنتدى العرب[٤]. فالخلافة وحدة سياسية واحدة يجب ألا تنجز[٥] ولكن فى أواخر القرن الثالث الهجرى، تغير هذا المفهوم بعد أن تعددت أشكال الخلافة، فقامت الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب (٢٩٧هـ/ ٩٠٩م)[٦]، وأصبحت منافسا خطيرا للدولة الأموية فى الأندلس [٧]. بالإضافة إلى ما آلت إليه الخلافة العباسية فى ذلك الوقت من الضعف والانحلال[٨] بعد أن استبد الجند الترك بالخلافة وقام مؤنس المظفر بقتل الخليفة المقتدر العباسى[٩] فكان طبيعيا أن

١- المسعودى : مروج الذهب جـ١ ص١٠٠ ، ابن الأثير : الكامل جـ٨ ص١٩٢ ، المقرى : نفح الطيب ، جـ٤ ص٥٩ .

٢- Levi Provencal : Inscroptions Arabes d'Espagne pp. 28-39 .

٣- المسعودى : مروج الذهب جـ١ ص١٠٠ .

ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ص٨٣ .

ابن خلدون : المقدمة ص٢٠٣ .

٤- ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٢٢ .

٥- العبادى (أحمد مختار) دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص٥٨ .

٦- الحميرى : جذوة المقتبس ، ص١٣ ، ابن الأبار : الحلة السيراء جـ١ ص١٩٨ : ابن سعيد المغربى : المغرب فى حلى المغرب ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ص١٣٧ .

٧- M. V. Berchem : Titres califiens, p. 268 .

Levi Provencal . Histoire de L'Espagne tome I, pp. 83-86 , 87-90 .

٨- الضبى : بغية الملتمس ، ص١٨ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ١ ، ص١٩٨ ، ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، جـ١ ص١٨٢ ، ابن عذارى: البيان جـ٢ ص١٥٧ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص٢٩ ، ابن خلدون : العبر ، جـ٤ ص١٣٧ ، ص١٣٩ ، المقرى ، نفح الطيب جـ١ ص٣٥٣ M.V. Berchem : Ibid p. 268 .

٩- الضبى : البغية ، ص١٨ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ٨ ص٨٢ ، ص٨٣ ، ابن خلدون : العبر جـ٤ ص١٣٩ .

يتلقب عبد الرحمن الثالث[١] (٣١٦هـ/ ٩٢٨م) بألقاب الخلافة وأنه يتسمى «بأمير المؤمنين الناصر لدين الله» فأصدر فى هذا الصدد كتابا وزعه على ولاة الأقاليم والكور ونصه «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فأنا أحق من استوفى حقه وأجدر من استكمل حظه ولي من كرامة الله تعالى ما ألبسه للذى فعلنا الله به وأظهر أثرتنا فيه، ورفع سلطاننا إليه ويسر على أيدينا إدراكه وسهل بدولتنا مرامه وللذى أشاد فى الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا ، وأعلن من رجاء العالمين بنا وأعاد من انحرافهم إلينا واستشبارهم بدولتنا، والحمد لله وليّ النعمة والإنعام ، بما أنعم به أهل الفضل بما تفضل علينا فيه، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك أن كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ومستم بما لايستحقه وعلمنا أن التمادى على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه ، واسم ثابت أسقطناه فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به وأجر مخاطبتك لنا عليه شاء الله والله المستعان وكتب يوم لليلتين خلتا من ذى الحجة سنة ٣١٦هـ»[٢].

وقد أجاز بعض فقهاء السنة قيام أكثر من خلافة طالما أنها عقدت فى بلدين مختلفين «وإذا عقدت الإمامة لإمامين فى بلدين مختلفين لم تنعقد إمامتهما لأنه لايجوز أن يكون للأمة إمامان فى وقت واحد وإن شذ قوم فجوزه»[٣].

١- ابن أبى دينار : المؤنس فى تاريخ أفريقية وتونس ص٤٢ ، ص٤٣ ، مجهول الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية ص١٧ ، ص١٨ .

Levi- Provencal Una cronical Anonima de Abd Al Rahman III p. 79 .

«يوجد عمله منقوش عليها اسم وألقاب الخليفة عبد الرحمن الناصر مؤرخه ٣١٦هـ .

Leviox : Catalogues de Monnia's Musulmanes p. 95 G.C. Miles . The coinage of the Umayyads of Spain V. II p. 5 .

٢- ابن عذارى ، نفس المصدر جـ٢ ص١٩٨ ، ص١٩٩ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ص٣٠ ، مجهول ، الحلل الموشية ص١٨ ، ١٩ .

Levi- Provencal Ibid Tome I p. 79 , 1950 .

٣- الماوردي، الأحكام السلطانية ، ص٧ .

كما أن الأمير عبد الرحمن الثالث رأى أنه لايقل قوة وعظمة عن أي ملك أو خليفة قوى، فقد أحس بقوته خاصة بعد أن حقق الوحدة الداخلية لبلاد الأندلس وأعاد إليها الطمأنينة والسلام[١]، بعد نهوضه للجهاد ضد نصارى الشمال وإخماد محاولاتهم العدوانية[٢]، ورأى أيضا أن إعلان نفسه خليفة يساعد على تثبيت مركزه وتدعيم سلطانه داخل البلاد وخارجها، كما يفرض هيبته فى النفوس بعد أن ضعفت مكانة الأمراء الأمويين فى الأندلس نتيجة للثورات والفتن الداخلية التى اجتاحت البلاد وشغلت عهود ثلاثة من الأمراء الأمويين قبل تولية عبد الرحمن الثالث الإمارة ، فأصبحت الحاجة ماسة إلى رفع مكانة الأمراء الأمويين ، ورفع منزلتهم السياسية والمدنية معا [٣].

هذا وقد لقب الأندلسيون الأمير عبد الرحمن الثالث بلقب أمير المؤمنين والناصر لدين الله وذلك قبل أن يقوم بإعلانها رسميا[٤]، ولهذا فقد قبل الخلافة استجابة لرغبة الأندلسيين[٥] أنفسهم إذ يذكر بن حزم أن الأمير عبد الرحمن الثالث قد ولى الخلافة بالتشاور[٦] . وخطب بذلك خطيبه أحمد بن بقى بن مخلد[٧] ، حيث حمل لقب أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، فكان[٨] بذلك أول أمير فى الأندلس يتلقب بلقب « أمير المؤمنين »[٩] وضربت السكة باسمه

١- ابن الأبار : الحلة السيراء جـ١ ص١٩٨ ، ص١٩٩ ، ابن عذارى : البيان جـ٢ ص٦١ ، ص٢٠٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص٢٩ ، ص٣٦ ، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٣٩ ، مجهول : أخبار مجموعة ، ص١٥٣ ، ص١٨٩ .

٢- ابن حيان ، المقتبس ، ص٢١٨ ، ص٢٢٤ ، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٣٧ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص١٦٥ ، ص١٨٩ .

٣- العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص٥٩ .

٤- مجهول ، الحلل الموشية ص١٨ .

٥- العبادى، المرجع السابق ص٥٩ .

٦- ابن حزم ، نقط العروس ، ص٥٦ مجلد ٢ ، مجلة كلية الآداب .

٧- ابن عذارى: البيان جـ٢ ص١٩٨ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ص٣٣ .

٨- ابن عذارى : البيان : جـ٢ ص١٥٧ ، ابن خلدون : العبر ج٤ ، ص١٣٧ ، المقرى : نفخ الطيب جـ١ ص١٥٣ .

٩- ابن حزم ، نفس المصدر جـ٢ ص٥٠ ، ص٥١ .

ونقشت عليها ألقاب الخلافة[١] وأقيمت له الدعوة على منابر الأندلس والمغرب الأقصى والأوسط، يقول المقرى «كانت قرطبة فى الدولة المروانية قبة الإسلام ومجتمع أعلام الأنام، بها استقر سرير الخلافة المروانية وفيها تمحضت خلاصة القبائل المضرية واليمانية ... وهابته ملوك النصرانية فى الغرب »[٢].

لم يصاحب إعلان الخلافة الأموية فى الأندلس أى صدى فى العالم الإسلامى، ولم تظهر أية معارضة لإعلان قيام الخلافة الأموية، سوى ما أبداه الخليفة المعز لدين الله الفاطمى رابع الخلفاء الفاطميين (٣٤١هـ- ٣٦٥هـ / ٩٥٢م - ٩٧٥م) الذى هاجم إعلان الخلافة الأموية فى الأندلس[٣].

ويرجع عدم ظهور معارضة عامة لقيام خلافة أموية فى الأندلس إلى أنه قد أصبح من المألوف فى هذا العصر قيام أكثر من خلافة، ولم يكن الأمير عبد الرحمن الثالث أول من أعلن قيام خلافة أخرى إلى جانب الخلافة العباسية، فقد سبقه إلى ذلك الخليفة الفاطمى عبيدالله المهدى ٢٩٧هـ، ٩٠٩م، بل نرى أن الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب قد صحب قيامها ثورات وفتن داخلية كالثورة التى أشعلها «أبو يزيد مخلد بن كيداد[٤]، كما قام فقهاء المالكية بمقاومة الدعوة الفاطمية وأعلنوا رفضهم قيام مثل هذه الخلافة فى بلاد المغرب [٥].

بيد أن الأمر اختلف فى بلاد الأندس عند إعلان قيام الخلافة الأموية فجاءت وفود المغرب تعلن طاعتها له وانضوائها تحت لوائه[٦] يقول ابن الخطيب «وتوالت عليه بعد ذلك المنوح وأزعنت الأعداء وقدمت عليه رسل الملوك بالعدوة والغربية من زناتة والأدارسة والقيروان وجزائر بنى مزغناى» [٧].

١- Leviox : Catalogues de Monnios Musulmanes pp. 42 , 46 Levi - provencal Inscriptions Arabes Espagne pp. 15-18 , 34 , 36 , 86 , 129 .

٢- المقرى ، نفح الطيب جـ١ ص١٥٣ .

٣- النعمان ، المجالس والمسايرات ، مخطوط جـ١ ص٢٣١ ، ص٢٣٢ .

٤- المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ص٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ابن الأثير الكامل جـ٨ ص١٩ .

٥- عن هذه الثورة ، أنظر فصل العلاقات السياسية .

٦- المالكى ، رياض النفوس ، ص١٦ ، ١٧ .

٧- ابن حيان المقتبس ، ص١٠٣ ، ص١٠٩ .

٨- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٤٣ .

الأندلس فى عهد الخليفة عبد الرحمن

وعلى الرغم مما شهده عصر عبد الرحمن من حروب وغزوات فإنه كان عصر رخاء ويسر استقرت فيه الأوضاع الاقتصادية وبدت الأندلس قطرا غنيا بموارده حيث زاد دخل الدولة زيادة عظيمة وازدهرت الزراعة والصناعة والتجارة. وقد أصبح دخل الأمويين فى الأندلس فى عصر عبد الرحمن عشرين مليونا من الذهب[١] أما جباية الأندلس فى عصره فقد بلغت من الكور فى رواية ابن عذارى[٢] أكثر من ثلاثين وأربعمائة وثمانين ألف دينار، وكان الناصر يقسم جباية الأندلس من أجل النفقة إلى ثلاثة أثلاث ، ثلث لنفقة الجيش وثلث للبناء والمنشئات العامة، وثلث يدخر للطوارىء[٣] ، ويذكر ابن حوقل أن عبد الرحمن وبنى حمدان ملوك حلب والجزيرة كانوا أغنى ملوك العالم فى ذلك الوقت [٤].

وقد عنى عبد الرحمن أيضا بتنظيم العملة وتثبيتها فأمر[٥] فى ٣١٦هـ/ ٩٢٨م بانشاء دار للسكة فى مدينة قرطبة لضرب العملة[٦] وولى خطة السكة أحمد بن حدير[٧] سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م وسمى بصاحب السكة[٨].

ولم تحل مهام الملك والمشاغل السياسية دون قيام الخليفة عبد الرحمن الناصر بأعمال الإنشاء والعمران ، فقام بإنشاء مدينة الزهراء حيث بدأ فى بنيانها فى أوائل سنة ٣٢٥هـ/ ٩٣٦م[٩] . واختطت مدينة الزهراء فى مكان يقع شمال غرب مدينة قرطبة ، وعلى بعد خمسة أميال منها فى سفح جبل يسمى جبل العروس[١٠].

١- Dozy Hist. vol II p. 173 .

٢- ابن عذارى : البيان جـ٢ ص٢٣٢ .

٣- المصدر السابق جـ٢ ص٢٣٢ ، المقرى : نفح الطيب جـ١ ص١٧٧ القاهرة ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص٣٨ .

٤- ابن حوقل : صورة الأرض ص١٠٧ .

٥- G.C. Miles the coinag of the Umayyads of Spain pp. 40 , 14 .

٦- ابن عذارى : البيان جـ٢ ص١٩٨ .

٧- المصدر السابق .

٨- ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ص٤١ ، ٤٢ ، ١٨٧ .

٩- ابن عذارى : المصدر السابق جـ٢ ص٢٠٩ ، ٢٣١ أحداث سنة ٣٢٥هـ .

١٠- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١٠٧ «هذا الجبل يسميه ابن حوقل بطلش».

هذا وقد عهدالناصر إلى ابنه الحكم بالإشراف على بناء العاصمة الجديدة[١] حيث جلب لها أنواعا عديدة من الرخام [٢]، واستمر العمل فى منشئات الزهراء طوال عهد الناصر وحتى وفاته سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م[٣] واستمر العمل معظم عهد ابنه الحكم المستنصر[٤] . هذا وقد ذكر ابن حوقل أن مدينة الزهراء قد اتصلت العمارة بينها وبين قرطبة وكان لها مسجد جامع «دون جامع قرطبة» فى المحل والقدر [٥]، ومن أبرز العمائر فى مدينة الزهراء مسجد لايتجاوز أربعة وأربعين مترا فى الطول وخمسة وعشرين مترا فى العرض وكان يتألف من خمس بلاطات، وارتفاع مئذنته تسعة عشر مترا وكان صحنه مرصوفا بالرخام وتتوسطه نافورة [٦]، كما أنشأ الناصر مسجداً آخر تم بناؤه فى ثمانية وأربعين يوما، وكان هذا المسجد آية فى الفخامة والجمال[٧]. هذا وقد أنشأ عبد الرحمن أيضا داراً عظيمة لصناعة السلاح وأخرى لصناعة الزخارف والحلى[٨].

وشمل الناصر المسجد الجامع بعنايته ، أسوة بسائر أسلافه من بنى أمية فزاد فيه زيادات كبيرة (٣٤٦هـ / ٩٥٧م)[٩]، كما قام أيضا بتجديد واجهته [١٠].

كما عنى بالجيش والأسطول لأن قوة الدولة الأموية فى الأندلس كانت تعتمد أساسا على مقدرتها العسكرية وكفاءتها الحربية فحرص عبد الرحمن الناصر وخلفاؤه من بعده على تقوية

١- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص٢٦٦ ، ط١ القاهرة.

٢- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٣٨ ، المقرى، نفح الطيب جـ١ ص٢٦٤ .

٣- المقرى ، نفح الطيب جـ١ ص٢٦٤ ط١ القاهرة ، ط بيروت جـ١ ص٧٩ .

٤- المقرى ، نفح الطيب، جـ١ ص٢٦٤ ط١ القاهرة ، ط بيروت جـ١ ص٧٩ .

٥- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١٠٨ .

٦- مورينو ، الفن الإسلامى فى أسبانيا ، الترجمة العربية ص٧٩ .

٧- المقرى ، نفح الطيب جـ١ ص٢٦٤ .

٨- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٤٤ .

٩- عنان ، الآثار الاندلسية الباقية ، الطبعة الثانية ص٢٠ ، ٢١ ، ٣٠ .

١٠- مورينو ، الفن الإسلامى فى أسبانيا ص٩٣ ، ٩٤ .

الجيش والأسطول وتدعيم وحداته [١]، المختلفة وذلك لوقف الخطر الفاطمي القادم من بلاد المغرب[٢] من ناحية ولوقف تقدم نصارى الشمال[٣] من ناحية أخرى وصد أي هجوم يقوم به النورمان[٤] (المجوس) ولقمع أية ثورة أو تمرد أو عصيان يهدد أمن وسلامة البلاد[٥] وكان

١- عن اهتمام الناصر بالجيش والأسطول ، انظر :

ابن غالب ، فرحة الأنفس ، نشر لطفي عبد البديع ، مجلة معهد المخطوطات العربية ص١٤ سنة ١٩٥٦م، (م، ابراهيم العدوي، الأساطيل العربية ص١١٥ ، أرشيبالد لويس ، القوى البصرية ص٢٣٦ حسين مؤنس ، المسلمون في حوض البحر المتوسط ، المجلة التاريخية مجلد ١ ، ٤ مايو سنة ١٩٥٤ ، ص١٢١ .

٢- ابن عذاري ، البيان ، جـ٢ ص٢٠٤ ، ص٢٠٩ ، ص٢١٢ ، ص٢١٣ ، السلاوي ، الاستقصاء جـ١ ، ص١٧١ ، ص٢٠١ ، جمال سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص٢١٩ ، ص٢٢٣ ، العبادي، سياسة الفاطميين نحو الغرب والأندلس ، ص٢٠٥ ، ص٢٠٩ ، حسن ابراهيم حسن عبيدالله المهدي ص١٨٨ ، ص١٩٩ .

٣- عن مواجهة الناصر لنصارى الشمال أنظر ، ابن خلدون العبر جـ٤ ص١٣٧ ، ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص١٦٥ ، ص١٨٩ ، ص١٩٥ ، ص٢٠١ ، الأوراق المخطوطة بعصر الناصر ص٦٣ ، ص٦٤ ، عبد العزيز سالم : المسلمون وآثارهم في الأندلس ص٢٨٩ ، عنان ، دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول- القسم الثاني ص٣٩١ ، ص٤٠٢ .

Dozy : Hist. V.II pp. 14 , 145 .

٤- المجوس الأردمانيون : ويطلق عليهم الآن النورمان ويعرفون في اللغة الأسبانية باسم Normandos ويقابلها في الانجليزية Viking وهي تعني سكان الشمال، وهم سكان الدول الاسكندنافية الذين اشتهروا بنشاطهم الحربي البحري، ويعد هذا الشعب في أصله من الرجمان أو التيتونيين ، وقد أطلق عليهم المسلمون اسم المجوس وهو اسم يطلق أصلا على الزرادشتين عبدة النار، لأن النورمان حين غزوا الأندلس، كانوا يكثرون من اشعال النار، فظن المسلمون هناك أنهم يعبدون النار كالزردشتية ، عن المجوس وغزوهم لبلاد الأندلس أنظر (ابن حيان، المقتبس ، ص٢٣ ، ص٢٤٩ ، ص٢٥٠ ، ص٢٥١ ، ابن سعيد ، المغرب جـ١ ص٤٩ ، ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ص٨٤ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٨٧ ، ص٢٤١ ، سعيد عاشور ، أوربا في العصور الوسطى جـ١ ص٢١٠ .

Levi - Provencal - Hist. IV, 140 .

٥- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٢٣ ، ص٣٤ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص١٣٢ F. Simonet , His- toria de les Mozarabes de Espana pp. 541 , 602 .

جيش الناصر من أفضل الجيوش فى العالم فى ذلك الوقت من حيث العدد والعدة والمهارة الحربية .

وقد اشتهرت كل من المرية وأشبيلية وغرناطة ومرسية بصناعة الآلات الحربية المختلفة ، كما تضاعف الأسطول الأموى فى عصر الخليفة عبد الرحمن ، فيذكر ابن خلدون[١] أن الأسطول الأموى انتهى فى أيامه إلى مائة مركب، وكان هذا الأسطول كامل الإعداد والتنسيق، اتخذ مراكزه على طول الساحل الأندلسى[٢]. وقد أصدر الخليفة أوامره إلى جميع دور الصناعة بإنشاء مراكب كبيرة[٣] قادرة على صد أى عدوان يهدد البلاد. وكانت المرية القاعدة البحرية الرئيسية فى الأندلس حيث قامت دار الصناعة فيها بانتاج السفن والآلات اللازمة للأسطول[٤]، كما قام الخليفة بإنشاء دور لصناعة السفن فى طركونة وطرطوشة[٥] والجزيرة[٦] الخضراء ومالقة[٧] وجلب لذلك الغرض أخشاب الصنوبر من طرطوشة حيث يوجد بجبالها خشب الصنوبر الذى تتخذ منه «الصوارى والقرى[٨]» ، ويعتبر الخليفة عبد الرحمن الناصر المؤسس الحقيقى للأساطيل الأندلسية التى يرجع الفضل إليها فى الاستيلاء على الثغور المغربية المطلة على مضيق جبل طارق مثل سبتة وطنجة [٩].

وفى ختام الحديث عن الخليفة عبد الرحمن الناصر نرى من الضرورى أن نتحدث عن صفاته كرجل سياسى عظيم نقل بلاد الأندلس من مجرد إمارة أموية إلى خلافة إسلامية عظيمة، ويعلل ليفى بروفنسال Levi - Provencal شخصية الخليفة عبد الرحمن الثالث بقوله

١- ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٧٨ .

٢- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ص٢٣٦ .

٣- Conde : History of the Mominion of the Atabs in Spain V. I p. 371 .

٤- ابن غالب ، فرحة الأنفس .

٥- الحميرى، الروض المعطار ص١٢٤ .

٦- المصدر السابق ص٧٣ ، ص٧٤ .

٧- المصدر السابق ص١٧٩ .

٨- المصدر السابق ص١٢٤ .

٩- أرشيبالد لويس، القوى البحرية ص٢٣٦ .

«إن عبد الرحمن الثالث كانت له مقدرة عجيبة على مواجهة الأحداث ، فقد كان يتمتع بقلب كبير ونظرة بعيدة إلى الأمور ، وكان متسامحا إلى أبعد الحدود، كما كان يملك مقدرة عجيبة على معالجة الأمور بسرعة وحسم. وكان عبد الرحمن الثالث من أعظم وأكبر حكام المسلمين عظمة ووقارا [١]، وقد وصفه المؤرخ ابن الأثير بقوله «كان سمحا وافر الجود ، أبيض أشهل، حسن الوجه ، عظيم الجسم، قصير الساقين»[٢].

وفى أوائل ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م مرض الناصر واحتجب حينا ثم عاد إلى الجلوس فى القصر ، ولكنه أصيب بنكسة وعاد إلى الاحتجاب حتى وافته المنية[٣] فى شهر رمضان ٣٥٠هـ- ١٥ أكتوبر ٩٦١م.

الحكم المستنصر :

تولى الحكم الخلافة بعد وفاة والده عبد الرحمن سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م وتلقب بالمستنصر[٤] وأخذت له البيعة من إخوته وسائر الوزراء ورجال الدولة وأكابر الفتيان الصقالبة وأكابر الجند[٥] الذين بعث لإحضارهم جميعا خوفا من نقضهم البيعة. وبويع للحكم فى اليوم التالى لوفاة والده وهو فى الثانية والأربعين من عمره إذ كان مولده[٦] فى قصر قرطبة فى ٢٤ جمادى الأولى ٣٠٢هـ - ٩١٤م [٧].

١- Levi Provencal, Histoire de L'Espagne Musulmane Tome I 11 , Leiden, 1950 .

٢- الكامل ، ج٨ ص١٧٧ .

٣- كانت وفاته فى قصر الزهراء ، فى الحادية والسبعين من عمره واستطال حكمه زهاء خمسين عاما وهى أطول مدة حكمها خليفة من خلفاء الاسلام .

٤- الحميدى ، جذوة المقتبس ، ص١٣ ، الضبى ، بغية الملتمس ص١٨ .

٥- المقرى : نفح الطيب، جـ١ ص٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ازهار الرياض ج٢ ص٢٨٦ .

٦- ابن الخطيب ، الاحاطة فى اخبار غرناطة جـ١ ص٢٨٧ .

٧- الحميدى، جذوة المقتبس ص١٣ ، ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ص١٨٦ ابن الأبار الحلة السيراء جـ١ ص١٠١ ، ابن عذارى البيان جـ٢ ص٢٤٨ .

وسار الحكم على نفس سياسة أبيه سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية ، وقام بمسئوليته كاملة وباشر مهام الملك أحسن مباشرة، حتى ليذكر بعض المؤرخين «أنه لم يعدم من الناصر إلا شخصه» [١]. هذا وقد تمتعت الخلافة الأموية فى الأندلس فى عهده بالاستقرار والرخاء والأمن.

سياسة الحكم الداخلية :

استهل الحكم عهده بالنظر فى توسيع المسجد الجامع فى قرطبة سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م ليستوعب تزايد عدد جموع المصلين حيث لم يعد بيت الصلاة بالجامع يتسع لهم وخرج الخليفة بنفسه لتقدير الزيادة ودراسة تخطيطها وتفصيل بنيانها وأحضر لها الأشياخ والمهندسين فمدوا هذه الزيادة من قبلة المسجد حتى نهاية الفضاء القبلى[٣].

هذا وقد نشطت الحركة العلمية فى قرطبة فى عصر الخلافة نشاطا عظيما حتى غدت من أعظم الحواضر العلمية فى القرن الرابع الهجرى .

غير أن هذه الحركة العلمية لم تصل إلى هذه المكانة إلا فى عصر الخليفة الحكم المستنصر .

كان الحكم أكثر الخلفاء الأمويين حبا للعلم وجمعا للكتب[٤] حتى «أنه جمع من الكتب مالايحد أو يوصف كثرة ونفاسة، حتى قيل أنها أربعمائة ألف مجلد ، وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر فى نقلها [٥].

سياسة الحكم الخارجية :

سارا الخليفة الحكم المستنصر على نفس موقف أبيه من الفاطميين وذلك بالاحتفاظ بالسيطرة الأموية على بلاد المغرب الأقصى[٦] ، بل أصبح بعد ذلك أكثر تشددا وتصميما

١- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص٣٨٩ ، أزهار الرياض جـ٢ ص٢٨٩ .

٢- سالم (عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ط- ١ ص٣٣٨ ، ابن عذارى ، البيان جـ٢ ، ص٢٣٥ ، ص٢٣٦ .

٣- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٣٦ ، ص٢٣٧ .

٤- الحركة العلمية فى عصر الحكم المستنصر ، انظر فصل العلاقات الثقافية .

٥- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص٣٧١ ط١٩٤٩ .

٦- عن موقف الخليفة الحكم المستنصر فى بلاد المغرب الأقصى أنظر فصل العلاقات السياسية .

على الاحتفاظ بقواعده ، هناك سواء بالقوة العسكرية أو اتباع نفس سياسة أبيه من إثارة قبائل البربر من زناتة ومغراوة ، فشعر الفاطميون فى بلاد المغرب باستحالة غزو الأندلس وأن بقاءهم هناك أمر محفوف بالمخاطر بسبب ثورات البربر التى لاتهدأ[1].

أما الخطر الثانى الذى كان يهدد أمن الأندلس فى عهد الخليفة الحكم فهو خطر الغزو النورماندى الذى كان يهدد ثغور الأندلس وسواحله بعد أن صارت لهم قاعدة ثابتة بالقرب من السواحل الغربية الأندلسية وهى ولاية نورمانديا Normandy غرب فرنسا [2].

ففى سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥[3] و٣٦٠ (٩٧٠م)[4] و٣٦١ هـ (٩٧١م)[5] قام النورمانديون بالإغارة على سواحل الأندلس الغربية[6] فأمر الحكم قائد البحر ابن فطيس بإنشاء أسطول بنهر قرطبة ، وأن تبنى مراكبه على هيئة مراكب المجوس[7] (النورمان) ولهذا لم يستطع النورمانديون النزول إلى الشواطىء الأندلسية وذلك بفضل الأسطول الأندلسى الذى استطاع أن يبدد شملهم دون عناء [8].

سبق أن ذكرنا أن الخليفة عبد الرحمن الناصر كان قد أعان الملك سانشو على استرداد عرشه فى مملكة ليون مقابل عدة حصون على الحدود يتسلمها، لكن سانشو نقض عهده، وأخذ يماطل[9] فى تسليم تلك الحصون[10] بيد أن الخليفة الحكم صمم على مواجهة نصارى الشمال،

١- مختار العبادى ، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص٢٢٨ .

٢- مختار العبادى، المصدر السابق ، ص٢٣٥ .

٣- ابن عذارى، البيان ، جـ٢ ص٢٣٩ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ١ ص٣٦ .

٤- ابن عذارى ، المصدر السابق جـ٢ ص٢٤١ ، ابن حيان ، المقتبس ص٢٧ ، ٢٨ .

٥- ابن حيان ، المقتبس ، ص٦٧ ، ٧٨ .

٦- ابن حيان ، المقتبس ص٢٣ ، ص٢٤ ، ص٩٣ .

٧- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٣٩ .

٨- أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب ص٢٣٦ .

٩- العبادى (أحمد مختار) دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص٢٣٨ .

١٠- عنان (عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس جـ١ قسم ٢ ص٤٨٤ .

وبينما هو يستعد لذلك وفد عليه الملك أوردنيو الرابع المخلوع الذى سبق أن نزع منه الملك وأعطى لسانشو أيام الخليفة الناصر[١]، فوعده الحكم بالعون ، ولما علم سانشو بذلك أسرع بالاتصال بالخليفة الحكم مبديا استعداده لتنفيذ الشروط التى أخذت عليه [٢]، غير أن أوردنيو ما لبث أن توفى وعاد سانشو إلى موقفه العدائى ثم أخذ يستعد لمحاربة المسلمين وتحالف مع مملكة نبرة Navar كما تحالف أيضا مع إمارة قشتالة[٣] .

واستطاع الخلفة الأموى الحكم المستنصر بفضل قوة جيوشه ومهارة قواده أن يغزو هذه الدول الشمالية وينتصر عليها وأنهى الحرب باستلام الحصون التى كانت موضع الخلاف.

خلافة هشام المؤيد وحجابة المنصور :

توفى الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ/ ٩٧٦م[٤] بعد أن أخذ البيعة لابنه هشام قبل بلوغه سن الرشد[٥] ، وتمت البيعة لهشام ولقب بالمؤيد[٦] وذلك فى صفر ٣٦٦هـ/ ٩٧٨م واتخذ الخليفة جعفرا المصحفى حاجبا له كما عين محمد بن أبى عامر فى خطة الوزارة [٧].

ثم أخذ نفوذ محمد بن أبى عامر يزداد ويقوى وذاع صيته ، فقام الخليفة هشام بترقيته إلى خطة الوزارتين [٨]، فزاد نفوذه وارتفعت منزلته لدى الخليفة وازداد الشعب حوله التفافا حبا له[٩].

١- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٤٤ ، ص١٤٥ .

٢- ابن خلدون العبر جـ٤ ص١٤٥ .

٣- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٤٥ .

٤- ابن الآبار ، الحلة السيراء ، جـ١ ص١٠١ ، المقرى ، نفح الطيب جـ١ ص١٨٥ .

٥- ابن حيان : المقتبس ص٢١١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص٥٦ .

٦- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص٤٣ .

٧- ابن بسام ، الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص٤٧ ، ابن عذارى ، البيان جـ٢ ، ص٢٥٤ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ص٦٠ ، ابن سعيد، المغرب جـ١ ص١٩٩ .

٨- ابن بسام ، الذخيرة قسم ٤ مجلد ١ ص٤٢ ، ابن عذارى البيان جـ٢ ، ص٢٦٧ .

٩- ابن بسام ، الذخيرة جـ٢ ص٢٦٧ .

أخذ المنصور بن أبى عامر[١] يدبر المؤامرات لمنافسة جعفر المصحفى حتي نجح فى الإطاحة بالحاجب جعفر حيث حقد عليه الخليفة هشام المؤيد وقام بعزله من منصبه [٢]. وأصبحت مقاليد السلطة كلها فى يد المنصور بعد أن نجح فى القضاء على منافسه جعفر المصحفى.

ففى سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م أصدر الخليفة أمره بالقبض على ولده وأهله والتحفظ على أموالهم ، وقام ابن أبى عامر باستصفاء أموالهم ومطاردتهم كما قام بالقبض على جعفر المصحفى وظل سجينا حتى مات سنة (٣٧٢هـ/ ٩٨٢) [٤].

استبد الحاجب محمد بن أبى عامر بالأمر وركز جميع السلطات العسكرية والمدنية فى يده وقام بالحجر على الخليفة هشام المؤيد[٥]، حتى غدا هشام شبه معتقل أو سجين «وعطل قصر الخليفة من جميعه وصيره بمعزل عن سامعه ... وسد باب قصره عليه وجد فى خبر ألا يصل إليه ... وحجر على الخليفة كل تدبير ومنعه من تملك قبيل أو تدبير وأقام الخليفة هشام مهجور الفناء محجور الغناء خفى الذكر، عليل الفكر، سدود الباب محجوب الشخص عن الأحباب لايراه خاص ولاعام ولايضاف له به بأس ولايرجى منه إنعام، ولايعهد منه إلا الاسم السلطانى فى السكة والدعوة»[٦].

أدركت السيدة صبح أم الخليفة[٧] خطورة السياسة التى ينتهجها ابن أبى عامر تجاه ابنها

١- يرجع محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله بن أبى عامر إلى أصل من الأصول العربية، وكان جده عبدالملك بن أبى عامر المعافرى أول من طرش الواقع على وادى يابرة حيث استقرت عائلته فى الجزيرة الخضراء وكان ابن أبى عامر طموحا شجاعا رفيع المواهب والخلال ، أنظر (ابن بسام ، الذخيرة ، مجلد ١ قسم ٤ ص٢٤٣ ، ابن الخطيب الاحاطة فى أخبار غرناطة ص٤٧٤ ط القاهرة سنة ١٩٥٦م، ابن الابار، الحلة السيراء ص١٤٣ ، جـ١) .

٢- ابن بسام ، الذخيرة ص٤٨ .

٣- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٢٦٧ .

٤- عن محنة المصحفى أنظر ابن بسام ، الذخيرة نفس المصدر ص٤٨ ، ٤٩ .

٥- ابن بسام ، الذخيرة ص٤٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص٦٢ .

٦- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٢٧٦ .

٧- ابن سعيد ، المغرب جـ١ ص١٩٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص٥٨ ، ٥٩ .

هشام والأسرة الأموية كلها ، فبدأت تدبر المؤامرات للإطاحة به واستبدال غيره به، وقامت بجمع ثمانين ألف دينار ذهبا وفضة للاستعانة بها ضد هذا الحاجب[١] .

غير أن ابن أبى عامر علم بما تدبره له السيدة صبح فأرسل ابنه عبدالملك على رأس قوة من الجند استولت على هذه الأموال[٢]. وازداد نفوذ ابن أبى عامر قوة وذاع صيته ، ففى ٣٧١ هـ (أواخر سنة ٩٨١م) اتخذ سمة الملك، فتسمى بالحاجب المنصور وأمر بالدعاء له على المنابر، ونفذت الكتب والأوامر باسمه» وبذلك لم يبق من الخلافة سوى الاسم فقط[٣].

سياسة المنصور الداخلية :

أراد المنصور ابن أبى عامر أن يعبر عن مدى ما وصل إليه من نفوذ وسلطان ويظهر أنه لايقل قوة عن الخليفة عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر[٤] ، فاختط لنفسه مدينة سماها الزاهرة سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م يقول ابن عذارى «عندما تكامل واستفحل أمره، واتقد حجره ، وظهر استبداده ، فسما إلى ما سمت إليه الملوك من اختراع قصر ينزل فيه ويحل بأهله وذويه ، ويضم إليه رياسته ويتم به تدبيره وسياسته ، ويجمع فيه فتيانه[٥] «ومما دفعه إلى اتخاذ الزاهرة مقرا له خوفه على نفسه من الدخول إلى قصر الخليفة» بعد أن كثر حسّاده وتحالف عليه أضداده وأنداده[٦].

واختار لهذه المدينة موقعا فى طرف قرطبة الشرقى[٧] بحيث تقع على نهر قرطبة الأعظم[٨].

١- ابن بسام ، الذخيرة ص٥٢ ، المقرى ، نفح الطيب جـ٣ ص٩٢ .

٢- ابن بسام ، الذخيرة ص٥٣ ، ص٥٤ .

٣- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٤٨ .

٤- سالم، (عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس جـ١ ص٢٥٨ .

٥- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٧٥ ، المقرى نفح الطيب جـ٢ ص١١٢ .

٦- ابن ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ص٦٣ ، سالم (عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة ص٢٥٨ .

٧- المقرى ، نفح الطيب جـ٢ ص١١٣ .

٨- المقرى ، نفح الطيب، جـ٢ ص١١٣ ، ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٢٧٥ ؛ ابن حزم ، طوق الحمامة ص١١٠ .

وأنشأ بالزاهرة قصرا فخما ومسجدا [١]، ودواوين للإدارة والحكم ومساكن للبطانة والحرس، وأقام حولها سورا ضخما ، ونقل إليها خزائن المال والسلاح وأنشئت بها الشوارع والأسواق الفسيحة ، واتصلت أرباضها بأرباض قرطبة، وأصبحت تنافس المدينة الخليفية فى الفخامة والرونق، كما أصبحت الزاهرة مركزاً للاحتفالات السياسية الكبرى[٢].

كما قام المنصور بتنظيم الجيش واستقدم أعدادا هائلة من البربر من بلاد المغرب[٣]، كما قام أيضا بتنظيم القضاء[٤].

سياسة المنصور الخارجية :

سار المنصور على نفس سياسة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر التى قامت على ضرورة الاحتفاظ بالعدوة المغربية تحت السيطرة الأندلسية المباشرة[٥].

كما رأى أن يدعم نفوذه داخل بلاد الأندلس وذلك بالقيام بما يكسبه شرعية فى الحكم وشعبية بين الأندلسيين وهو الجهاد فى سبيل الله، ولذلك أخذ يغزو الممالك النصرانية بنفسه.

وكانت له فى كل عام غزوتان[٦] فى الربيع وفى الخريف وقد بلغت غزواته سبعا وخمسين غزوة باشرها كلها بنفسه رغم مرضه، ولم ينهزم فى واحدة منها طوال حكمه الذى استمر خمسا وعشرين سنة.

خرج ابن أبى عامر إلى مملكة ليون وذلك لمحاربة راميرو Ramero فاتجه إلى مدينة سموره[٧] ١٣٧١هـ/ ٩٨١م وضرب حولها الحصار ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها لقوة

١- عنان (عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس جـ١ قسم ٢ ص٥٣٥ ، ٥٣٦ .

٢- سالم (عبدالعزيز) قرطبة حاضرة الخلافة ص٢٦٠ .

٣- انظر فصل العلاقات السياسية .

٤- العبادى (مختار) دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص٢٦٨ .

٥- عن موقف المنصور من بلاد المغرب وحروبه هناك ، انظر فصل العلاقات السياسية .

٦- عن غزو المنصور ابن أبى عامر للممالك المسيحية انظر ابن عذارى جـ٢ ص٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، العبادى (أحمد مختار) دراسات فى تاريخ المغرب ص٢٤٧ .

٧- تقع سمورة فى شمال الاندلس (شمالى شلمنقة) انظر عنان ص٥٤١ .

تحصيناتها فاستنجد راميرو الثالث Ramero III بغرسية فرنانديز كونت قشتالة وسانشو ملك نافار لصد قوات المنصور[١]، وسارت قواتهم المتحالفة للقاء جيش المسلمين، ونشب القتال بين الفريقين عند بلدة روضة Rueda فى جنوب غرب تشنت مانكس Simancas فهزم الأعداء وقتل منهم عددا كبيرا واستولى المسلمون على قلعة شنت مانكس الشهيرة، ثم واصل المنصور زحفه شمالا فى محاولة ثانية لاقتحام مملكة ليون والاستيلاء عليها ولكن راميرو وقف فى وجهه وعاد المنصور بجيشه إلى قرطبة[٢] بعد أن قام بعدة غزوات استمرت بضعة أشهر[٣].

ثم اضطربت مملكة ليون وفقد راميرو الثالث من جراء هزائمه المتوالية ما ناله من عطف وتأييد[٤] وقرر أشراف ليون سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م خلع راميرو وتولية ابن عمه برمودو (برمند Bermudo)، ولكن راميرو لم يرض بهذا الوضع وقرر محاربة راميرو، ونشبت فى سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٤م ، معركة بين الفريقين انتهت بهزيمة برمودو وعودة راميرو إلى عرشه فى ليون ، استجار راميرو بالمنصور بن أبى عامر يلتمس مساعدته وعونه على أن يدخل فى طاعته فتقبل المنصور وأمده بقوات بقيت فى ليون بعض الوقت [٥].

ثم تحول اهتمام المنصور بعد ذلك إلى شمال شرق الأندلس، فحشد جيشا ضخما استعدادا لغزو برشلونة وقطالونية سنة ٣٧٤هـ/ ٩٨٤م[٦] وخرجت الحملة من قرطبة متجهة إلى برشلونة عن طريق البيرة وبسطة ثم مرسية ومن هناك اتجهت شمالا عبر الطريق الساحلى الشرقى المطل على البحر المتوسط، حتى بلغت برشلونة بعد شهرين تقريبا، ثم اقتحم المسلمون المدينة ودخلوها فى منتصف صفر[٧] ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م.

١- عنان ، دولة الاسلام ص٥٤١ جـ١ قسم ٢ .

٢- اضطر المنصور أمام تصدى راميرو من ناحية وحلول فصل الشتاء ونزول الأمطار من ناحية أخرى إلى العودة إلى قرطبة ، حيث حال الشتاء دون تمام هذه الغزوة . أنظر عنان جـ٢ ص٥٤١ .

٣- Dozy : Histoire des Musulmans d'Espagne T. II pp. 234-235 .

٤- عنان (عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس جـ٢ ص٥٤١ .

٥- عنان (عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس جـ٢ ص٥٤٢ .

٦- العبادى (دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص٢٤٨) .

٧- ابن الخطيب الاحاطة فى أخبار غرناطة (القاهرة) جـ٢ ص٧١ .

أما البشكنس أو النافرويون فقد سار إليهم وقاتلهم حتى مدينة بنبلونة Penplona وذلك فى سنة ٣٧٩هـ / ٩٨٩م[١].

وهكذا قضى المنصور بن أبى عامر طيلة حكمه فى الحرب والغزو حتى غدا نجم الجهاد الصاعد، لكن هذا كله لايعدو أن يكون مجرد ردع للممالك النصرانية وكف عدوانها على أسبانيا الإسلامية ولم يستطع تحقيق الغاية المنشودة وهى القضاء التام على الممالك النصرانية فى أسبانيا وسحقها .

خلفاء الحاجب المنصور

ضعفت الخلافة الأموية فى بلاد الأندلس فى عهد هشام المؤيد وذلك لما قام به المنصور بن أبى عامر من الاستبداد وتركيز السلطة فى يده والحجر على الخليفة هشام المؤيد ، ولم يحاول الخليفة هشام المؤيد الاضطلاع بمسئوليات الحكم والسياسة بل ترك شئون الدولة فى يد المنصور كما رأينا، فزاد هذا من طغيانه واستبداده .

وتوفى الحاجب المنصور سنة ٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م وتولى منصب الحجابة من بعده ، ابنه عبد الملك[٢] ولقب بسيف الدولة وبالمظفر[٣].

وسار عبد الملك على نفس سياسة أبيه من الاستبداد وجمع السلطة فى يده والحجر على الخليفة هشام، فكان هذا مظهرا من مظاهر ضعف الخلافة الأموية وتفكك.

ومما زاد من ضعف الخلافة الأموية، تقلد عبد الرحمن بن محمد بن أبى عامر الذى تولى منصب الحجابة بعد وفاة أخيه عبد الملك سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م ولاية العهد[٤].

فقد عهد الخليفة هشام المؤيد له بولاية العهد وأخرج كتابا[٥] بذلك وقد هز هذا العمل الأندلس هزة عنيفة أدت إلى وقوع الفتنة وانتشار الفوضى وزوال السلطة العامرية .

١- عنان، دولة الإسلام جـ٢ ص٥٤٨ .

٢- ابن عذارى، البيان جـ٣ ، ابن الخطيب أعمال الأعلام ص٨٠ ، ص٨١ .

٣- ابن عذارى البيان جـ٣ ص٣ .

٤- ابن عذارى البيان جـ٣ ص٣٨ .

٥- أنظرنص كتاب ولاية العهد فى المقرى، نفح الطيب جـ١ ص٤٢٤ ، ص٤٢٩ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٩٠ ، ٩١ ، ابن عذارى البيان جـ٣ ص٤٣ ، ص٤٤ .

ولم يغفر الأمويون لبنى عامر استبدادهم وحجرهم على الخليفة هشام المؤيد وسخط العامة والخاصة لتولية عبد الرحمن المسمى بشنجول ولاية العهد[١].

وسار عبد الرحمن على سنة أبيه وأخيه فى الاستبداد بالسلطة والحجر على الخليفة هشام المؤيد ، فقد كان عبد الرحمن شنجول فاجرا كثير المجون ، مجاهرا بشرب الخمر[٢]، وأصبحت الظروف مهيأة ليقوم الأمويون بالقضاء على العامريين ووقف أطماعهم وطغيانهم مستعينين بالبربر تارة وبنصارى الشمال تارة أخرى.

سقوط الخلافة الأموية :

وقد قام الأمير الأموى محمد بن هشام بن عبدالجبار «فتى بنى أمية» بالدعوة لنفسه[٣] منتهزا غياب الحاجب عبد الرحمن شنجول سنة ٣٩٩هـ / ١٠٠٨ عن قرطبة فى إحدى غزواته ، فثار مع نفر من أصحابه وقاموا بالاستيلاء على مقاليد السلطة، واستولوا على قصر الخلافة بقرطبة، وأرسل الأمير الأموى محمد بن هشام بن عبد الجبار إلى الخليفة هشام المؤيد يأمره بخلع نفسه فاستجاب له الخليفة هشام[٤]، وتنازل له عن الخلافة بعد أن مكث فيها ثلاثة وثلاثين عاما وبضعة أشهر، فقام الفقهاء والوزراء بمبايعة الأمير محمد بن هشام الذى تلقب بألقاب الخلافة وحمل لقب المهدى ولم يتخل أحد عن بيعته[٥]. فعمد إلى الإساءة إلى البربر والبطش بهم أينما وجدوا مما زاد من حنقهم عليه وكرههم الشديد له فكانوا يضمرون له الشر ويترقبون الفرصة المتاحة للخروج عليه، كما عهد الخليفة المهدى إلى إخراج حوالى سبعة آلاف جندى من الجيش وأمر بقطع أرزاقهم[٦] وإسقاطهم من ديوان العطاء.

١- ابن عذارى جـ٣ ص٤٦ ، ص٤٧ .

Dozy : Spainsh Islam , pp. 539-540 .

٢- ابن عذارى ، البيان المغرب جـ٣ ص٤٧ .

٣- الضبى ، بغية الملتمس ص١٩ ، ابن الآبار ، الحلة السيراء جـ١ ص٢٧٠ .

٤- ابن عذارى، البيان ، جـ٣ ص٥٩ ، ٦٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام جـ٣ ص١١١ .

٥- ابن عذارى ، المصدر السابق جـ٣ ص٥٣ ، ٦٤ ، ابن الخطيب ، المصدر السابق .

٦- ابن الخطيب أعمال الاعلام ص١١٢ ، ١١٣ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص٧٥ .

وكان هشام بن سليمان بن الناصر وهو والد سليمان ولى العهد قد حقد على محمد بن هشام لاستهتاره وسوء خلقه فأخذ يدبر لخلعه ، وانضم إليه جماعة من الحاقدين على الخليفة المهدي وعلى رأسهم البربر، والعامة تعصبوا للمهدى ونشبت بين الطرفين معركة انتهت بهزيمة هشام بن سليمان وبعض رجاله ، وقام المهدى بقتلهم جميعا[٢].

وكان ممن فر من بنى أمية عقب مقتل هشام بن سليمان ابن أخيه سليمان بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر ، فالتف حوله البربر ورشحوه لتولى الخلافة مكان المهدى وبايعوه ولقبوه بالمستعين بالله[٣].

ونظرا لقلة جند سليمان من البربر فقد استعان بالجند المرتزقة من نصاري الشمال واستطاع أن يهزم المهدي وجنده في موقعة قنتيش وأن يدخل قرطبة فى ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ نوفمبر سنة ١٠٠٩م[٤].

لكن ما لبث المستعين أن هزم فى موقعة عقبة البقر فى شوال سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م وفر إلى شاطبة [٥]، وتعقبهم المهدى وواضح الصقلى حاجبه ، حتى وادى ياروجه قرب مضيق جبل طارق ، حيث دارت رحى معركة فى ذى القعدة عام ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م ، هزم فيها حزب المهدى، وعاد إلى قرطبة حيث قبض عليه حاجبه واضح الصقلى فى ٨ ذى الحجة من نفس العام وقتله، وأعلن هشام المؤيد خليفة للمرة الثانية وتولى واضح الحجابة فى ٩ ذى الحجة سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م[٦].

١- ابن الخطيب ، المصدر السابق، جـ٣ ص٢٦١ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص٧٨ ، ص٧٩ ، ٨١ ، ٩٦ .

٢- الضبى ، بغية الملتمس ص٢٠ ، ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص٨٤ ، المقرى نفح الطيب Levi Provencal : L'espagne Musulman, p. 130 .

٣- الضبى ، بغية الملتمس ص٢٠ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ص٥ ، ٧ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص٥١ .
Dozy Spanish Islam , pp. 550551 .

٤- ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ٢ هامش ص٦ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص٨٧ .

Murphy : History of the Mohammedan Empire p. 115 .

٥- ابن عذارى، البيان جـ٣ ص٩٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١١٥ .

٦- النباهى ، تاريخ قضاة الاندلس ص٨٦ ، ابن الأبار الحلة السيراء جـ٢ ص٧ ، ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٠٠ ، ١٠١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١١٦ .

حاول هشام المؤيد استمالة البربر، فأرسل رأس المهدى إلى سليمان المستعين داعيا إياه إلى ترك الفتنة والدخول فى طاعته[١] ، ولكنه رفض دعوة هشام المؤيد وأطلق يد البربر على قرطبة والزهراء يسلبون وينهبون ولم يستطع النهوض بأعبائها فى تلك الظروف الصعبة . ولم يجد الخليفة هشام بدأ من التنازل للخليفة سليمان المستعين[٢].

وعجز الخليفة سليمان المستعين أيضا عن النهوض بأعباء الحكم، خاصة وقد ازداد نفوذ البربر وأصبحوا لايهمهم إلا مصلحتهم الشخصية.هكذا أمست الخلافة فى عهده ممزقة الأوصال منقسمة على نفسها ، فطمع فيها الطامعون ، وكان على رأس هؤلاء الطامعين على بن حمود الحسن الذى تولى أمر مدينة سبتة من قبل الخليفة سليمان المستعين .

قام على بن حمود بقتل سليمان المستعين وأخيه ووالدهما واستولى على قرطبة فى سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م[٣]، ودعا لنفسه وبويع بالخلافة وتلقب بالناصر لدين الله[٤].

لكن خيران العامرى لم يلبث أن انقلب على الخليفة على بن حمود ، وثار عليه وسار إلى شرق الأندلس، ودعا للأمويين من جديد.

وفى سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٧م استقدم خيران العامرى من مدينة بلنسية رجلا من بنى أمية يدعى عبد الرحمن بن محمد ، رشحه لمنصب الخلافة وتلقب بالمرتضى[٥].

١- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٠٠ ، ١٠١ .

٢- ابن الأثير جـ٩ ص٨٠٠ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١١٣ ، ابن الخطيب، اعمال الاعلام ص١١٩ .

٣- ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٢١ .

F.G. Rabiles ; malga Musulmane p.

٤- الحميدى، جذوة المقتبس ص٢٢ .

ابن بسام الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص٧٩ ، المراكشى المعجب ص٤٩ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٢٢ ، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص١٢٨ .

٥- الضبى ، بغية الملتمس ص٢٧ ، المراكشى ، المعجب ص٤٩ ، ٥٠ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٢١ ، ١٢٢ ، ابن الخطيب؛ أعمال الاعلام ص١٣ ؛ القلقشندى صبح الأعشى جـ٥ ص٢٤٦ .

ولم يلبث الصقالبة بدورهم أن انقلبوا على بن حمود وقتلوه سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٨م[١].

أرسل زعماء البربر من زناتة إلى أخيه القاسم بن حمود يخبرونه بنبأ وفاته، فحضر من أشبيلية ودخل قرطبة وبويع بالخلافة فى ٨ ذى القعدة سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٨م وتلقب بالمأمون[٢].

وإزاء سطوة البربر وثورتهم المستمرة زحف يحيى بن على بن حمود من سبتة ودخل قرطبة ، فخشى القاسم على نفسه، وهرب إلى أشبيلية فى ٢٢ ربيع الثانى ٤١٢هـ/ ١٠٢٢م[٣].

دخل يحيى بن على بن حمود قرطبة فى مستهل جمادى الأولى سنة ٤١٢هـ / ١٠٢٢م وبويع بالخلافة وتلقب بالمعتلى بالله[٤].

أما القاسم بن حمود فقد استقر فى أشبيلية حيث بويع هناك بالخلافة، وأصبح هناك خليفتان ، واتفق كل منهما على أن يعترف بالآخر[٥].

لم يدم هذا الوضع طويلا، فقد ثار البربر على يحيى المعتلى بالله سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٣م[٦] فغادر قرطبة إلى مالقة وتسمى هناك بأمير المؤمنين، أما البربر فقد استدعوا عمه القاسم بن حمود الذى تلقب بالمأمون وجددوا البيعة له[٧].

١- ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٢٢ .

٢- الحميدى ، الجذوة ص٢٢ ، الضبى ، البغية ص٢٨ ، ابن بسام ، الذخيرة قسم ١ مجلد١ ص٨٣ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٢٢، ١٢٤ .

٣- ابن بسام ، الذخيرة ق١ م١ ص١٣ ، ١٤ ، ابن الخطيب، زعمال الاعلام ص١٣١ ، ١٣٢ .

٤- ابن حزم ، نقط العروس ص٥١ ، المراكشى المعجب ص٥٠ .

Levi - provincal : L'Espagne Musul. T, T, II p. 332 .

٥- ابن حزم ، نقط العروس ص٨٠ .

٦- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٣٣ .

R. Dozy : Spanish islam. p. 571 , L'Provencal : C'esp. Musul T II. p. 332 .

٧- الحميدى ، الجذوة ص٢٣ ، ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٣٣، المقرى نفح الطيب جـ١ ص٤٨٧ .

وضاق أهل قرطبة بالحموديين لضعفهم ولتمكينهم البربر الذين سيطروا على كافة أمور الدولة، فأعلنوا الثورة والعصيان .

ولم يستطع الخليفة القاسم الصمود أمام ثورة أهل قرطبة فاضطر إلى اللجوء إلى أشبيلية ، ولكن أهل أشبيلية لم يرحبوا به وأغلقوا أبواب المدينة دونه فاتجه إلى بلدة[١] شريش[٢] حيث قتله يحيى ابن أخيه [٣].

وعمد أهل قرطبة إلى مبايعة خليفة لهم من الأسرة الأموية، فقاموا بترشيح ثلاثة ممن بقوا على قيد الحياة وهم سليمان بين المرتضى ومحمد العراقى وعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار[٤]. ووقع الاختيار على سليمان بن عبد الجبار واتخذ لقب المستظهر بالله[٥].

لم يستطع الخليفة المستظهر القيام بشئون الخلافة، فقد غلب عليه الجند الذين قويت شوكتهم وازدادت سطوتهم فى عصره ، وتدهورت أحوال البلاد الاقتصادية ، وفرغت خزائن الدولة، كما حقد عليه أعيان أهل قرطبة حين استعان «بغيرهم من الفتيان فى وظائف الدولة»[٦] كما حقد عليه عامتها لترحيبه بالبربر فى قرطبة[٧].

١- الضبى بغية الملتمس ص٢٩ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٣٤ ، ١٣٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١٣٣ .

٢- مدينة كبيرة من كورة شذونة (بالأندلس) وهى قاعدة هذه الكورة واليوم يسمونها شرش .

٣- الضبى ، بغية الملتمس ص٢٩ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٣٥ ، ١٤٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١٣٣ ، المقريزى، نفح الطيب جـ١ ص٤٨٨ .

٤- الضبى ، بغية الملتمس ص٣١ ، ابن بسام ، الذخيرة قسم١ مجلد ١ ص٣٤، ٣٥ ، ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٣٦ .

٥- الضبى ، بغية الملتمس ص٣١ ، ابن حزم ، نقط العروس ص٥١ .

٦- ابن بسام الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص٣٦ ، ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٣٧ . ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١٣٤ .

٧- ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ص١٣٨ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١٣٥ .

فثار عليه الجند وقتلوه فى قصره سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٤م [١].

ولما مات الخليفة المستظهر قام الجند بمبايعة ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عبيدالله بن الناصر بالخلافة[٢] وتلقب بالمستكفى بالله [٣].

ولم يكن المستكفى على شيء من الكفاية السياسية أو الحربية بل كان سيء الخلق والسيرة.

وأساء المستكفى إلى رجال الدولة فهرب كثيرون منهم من قرطبة ولجأوا إلى بلاط يحيى بن حمود بمالقة [٤]، وشجعوه على السير إلى قرطبة ليضع حدا لتلك المحن[٥].

سمع القرطبيون هذه الأنباء وكانوا قد سئموا حكم المستكفى، فدخل عليه الوزراء والفقهاء وطلبوا منه الخروج لمواجهة يحيى المعتلى، ولكنه لم يستطع وخشى على نفسه فهرب مستخفيا[٦]. ثم قتل[٧].

وظلت قرطبة بعد قتل المستكفى وهروبه حوالى ستة أشهر دون خليفة فسار الخليفة يحيى المعتلى صاحب مالقة ودخل قصر قرطبة فى رمضان سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥[٨]، وبقى بها مدة

١- الحميدى ، الجذوة ص٢٦ ، الضبى، بغية الملتمس ص٣١ ، ابن بسام، الذخيرة قسم١ مجلد ١ ص٣٨، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٣٩ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ص١٣٥ .

R. Dozy : Spanish Islam pp. 573. 581 , 583 .

Levi - Provincal, L'Esp. Musul . T II pp. 334 , 335 .

٢- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٣٩ ، ١٤١ .

٣- ابن حزم ، نقط العروس ص٤٩ ، الضبى، بغية الملتمس ص٣٣ .

٤- ديوان ابن شهيد ص٤١-٤٢ .

٥- ابن شهيد ، ديوان ابن شهيد ص (٤ ، ٢) .

٦- الحميدى ، الجذوة ص٢٧ ، الضبى ، بغية الملتمس ص٣٣ .

٧- المراكشى ، المعجب ص٥٦ ، ٥٧ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٤٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص٣٦ .

٨- ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٤٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١٣٦ .

ثم تركها إلى مالقة ، وأبقى فى قرطبة وزيره أحمد بن موسى ودوناس بن أبى روح، وحامية صغيرة من البربر لتدبير أمرها [١].

وغضب أهل قرطبة لوجود البربر داخل مدينتهم ووقوعها فى قبضتهم فهاجموا البربر وتمكنوا من الفتك بهم بمساعدة خيران العامرى صاحب المرية ومجاهد صاحب دانية وقتلوا منهم نحوا من ألف[٢].

ثم أجمع أهل قرطبة وفقهاؤها على رد الأمر إلى بنى أمية فاتفقوا على مبايعة هشام بن محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن الناصر، أخى عبد الرحمن[٣] الناصر ، أخى عبد الرحمن المرتضى[٤]، واتخذ لقب المعتمد بالله[٥]، وقدم قرطبة فى ذى الحجة سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م[٦].

ازدادت حال الخلافة سوءاً فى عهد الخليفة المعتمد الذى انشغل باللهو وترك شئون الدولة لوزيره حكم بن سعيد القزاز[٧]، الذى أساء إلى أهل قرطبة وعلمائها وفقهائها واستبعد رجالاتها من الوظائف الهامة، كما صادر أموال التجار وأغدق على البربر[٨]، وقطع أرزاق الجند[٩] فقتله الجند سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٣١م[١٠].

١- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٤٣ ، ١٤٥. Levi- Provencal, L'espa. Musul. T II. p. 336-337.

٢- الحميدى، الجذوة ص٢٧ ، الضبى، بغية الملتمس ص٣٤ ، ابن الأبار الحلة السيراء جـ١ ص٢٠٩ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٤٣ ، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص١٣٧ .

٣- الحميدى، الجذوة ض٢٧ ، الضبى ، بغية الملتمس ص٣٤ .

٤- المراكشى ، المعجب ص٥٧ .

٥- الحميدى، الجذوة ص٢٨ ، الضبى ، البغية ص٣٤ ، ابن حزم ، نقط العروس ص٥٦ .

٦- الحميدى، الجذوة ص٢٧ ، ٢٨ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ١ ص٢٠٩ ، المراكشى المعجب ص٥٨ .

٧- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٤٨ ، ١٤٩ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام جـ٣ ص١٣٨ .

٨- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٤٦ .

٩- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٤٩ .

١٠- الحميدى، الجذوة ص٢٨ ، ٢٩ ، الضبى ، بغية الملتمس ص٣٤ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٤٦، ١٥٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١٣٨، ١٣٩ . R. Dozy Spanish Islam p. 589 .

سار كبار الوزراء بزعامة ابن حزم بن جابار إلى القصر وأعلنوا إبطال الخلافة وإزالة الأمويين وطردهم من قرطبة [١]، فنودى فى الأسواق ألا يبقى أحد من الأمويين وألا يحميهم أحد[٢].

أما الخليفة هشام المعتمد، فقد سجن مع أهله لبضعة أيام فى الجامع يعيش على الصدقة[٣]، ثم أبعد عن قرطبة وانتهى به المطاف إلى سليمان بن هود الجذامى المتغلب على مدينة لاردة وسرقسطة وافراغة وطرطوشة [٤]، فأكرمه وبقى عنده ، حتى توفى فى صفر سنة ٤٢٨هـ/ ١٠٣٧م، ودفن بناحية لاردة ، وقد كان خلعه يوم الثلاثاء ١٢ ذى الحجة سنة ٤٢٢هـ/ ٣٠ نوفمبر سنة ١٠٣١م ، فكان آخر الخلفاء الأمويين ، وبخلعه انتهت الدولة الأموية بالأندلس وقامت على أنقاضها دول الطوائف.

أسباب سقوطها :

يرجع هذا الحدث الفريد إلى تضافر أسباب عدة لسقوطها على النحو التالى :

أنه على الرغم مما وصلت إليه بلاد الأندلس من التقدم وخاصة فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلا أنها لم تتمتع باليد المتكاتفة فى الحكم والإدارة بسبب سياسة عبد الرحمن الاستبدادية من تركيز السلطة فى يده والاستعانة بالمرتزقة من الصقالبة [١]، وذلك

١- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١٣٨، ١٣٩ .

L. Dozy Spanish Islam . p. 589 .

٢- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٥٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١٣٩ .

٣- ابن الآبار ، الحلة السيراء جـ١ ص٢٠٩ ، المراكشى، المعجب ص٥٨، ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٥١، ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ص١٣٩ .

٤- ابن الآبار ، الحلة السيراء جـ١ ص٢٠٩ ، المراكشى، المعجب ص٥٨ .

L' Provencal: L'Esp. Musul T II p. 341 .

٥- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٤٥ .

٦- ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٤٥ .

٧- «المقصود بالصقالبة فى الكتب العربية سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمى، التى امتدت أراضيها من بحر قزوين إلى البحر الادرياتى (ابن حوقل ، صورة الأرض ص١١٠) على أن كلمة Esclava صقلب) فرنسية قديمة، ومعناها عبدا ورقيق ، عن الصقالبة أنظر (العبادى الصقالبة فى أسبانيا ص٨ ، ٩ صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٩م . Levi Provencal : L'espagne Musul aueme Siecle. p.

للقضاء على نفوذ الأرستقراطية العربية فى الحكم وإضعاف سيطرة الجند العرب والبربر[١].

وإذا كانت هذه السياسة قد قدر لها النجاح فى عهده نظرا لقوته فقد منيت بالفشل بعد وفاته خاصة فى فترة ضعف شخصية الخلفاء الأمويين وتنازعهم على الحكم أمثال الخليفة المهدى ٣٩٩هـ / ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م وسليمان المستعين (٤٠٠-٤٠٣ و٤٠٧هـ (١٠٠٩-١٠١٣-١٠١٦م) [٢].

وقد مهدت سياسة الاستعانة بالعناصر الأجنبية فى الجيش والإدارة إلى حدوث انفصال بين الجيش وجمهور الناس، كما أدت أيضا إلى ظهور عناصر جديدة لم تعرف من قبل، فكان كل حاكم لايثق فى العنصر الذى اعتمد عليه من سبقه[٣].

فالمنصور بن أبى عامر مثلا ضرب الصقالبة الأمويين واستبدل بهم من يثق فيهم من الصقالبة الذين عرفوا بالصقالبة العامريين[٤] ، كما استقدم المنصور عنصرا آخر كان له خطره على البلاد ألا وهو البربر [٥].

وقد ظهر خطر الاستعانة بهذه العناصر أثناء فترات الاضطراب وخاصة الفتنة البربرية، فقد استعان الخليفة المهدى بنصارى الشمال والصقالبة بينما استعان الخليفة سليمان المستعين بالبربر فى صراعه على الحكم ضد الخليفة المهدى [٦].

١- العبادى (أحمد مختار العبّادى) الصقالبة فى أسبانيا ص١٢ مجلة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٩م .

٢- رجب محمد عبد الحليم ، دولة بنى حمود فى مالقة، رسالة ماجستير غير منشورة سنة ١٩٧٦ ص٣١ .

٣- رجب محمد عبد الحليم ، دولة بنى حمود فى مالقة ص٣١ .

٤- ابن بسام الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة جـ١ ق٤ ص٤٤ ، ابن سعيد المغرب فى حلى المغرب جـ١ ص١٩٩ ، ٢٠٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص٢٤٢ ، ٢٦٢ ، العبادى ، الصقالبة فى زسبانيا ص١٤ .

٥- ابن بسام الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة جـ١ ق٤ ص٤٤ ، ابن سعيد المغرب فى حلى المغرب جـ١ ص١ ، ص١٩٩ ، ٢٠٠ عن استقدام المنصور بربر العدوة فى بلاد المغرب انظر هذا الفصل ص١١١ وما بعدها.

٦- انظر الفصل الثانى من الرسالة ص .

كما أدت سياسة الخليفة الحكم المستنصر فى الحكم إلى ضياع هيبة الخلافة الأموية فى الأندلس، وذلك عندما قام بتولية ابنه هشام الطفل ولاية العهد رغم أنه كان كثير الانتقاد لبنى العباس لتوريثهم الملك لأبنائهم قبل بلوغهم سن الرشد[١]، فمهد ذلك لرجل مثل المنصور بن أبى عامر ليستبد بالسلطة ويحجر على الخليفة نفسه [٢].

ثم أخذ يعمل على القضاء على الأمويين بالقتل والتشريد ، فقتل المغيرة عم هشام المؤيد ، كما قام ابنه عبد الملك المظفر بقتل هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر ، وهو والد محمد المهدى الذى قاد الثورة ضد بنى عامر فيما بعد وقضى على دولتهم [٣].

وقد أدت هذه السياسة التى اتبعها المنصور بن أبى عامر وخلفاؤه من بعده إلى «أن سقطت هيبة الأمويين وخمدت ريحهم».

كما أصبح الحقد والكراهية متبادلا بين الأمويين والعامريين ، وأصبح كل منهما يتربص بالآخر ويحذر منه[٤]، فالمنصور أوصى ابنه عبد الملك المظفر قبل أن يموت ، بقوله له «إياك أن تضع يدك فى يد مروانى ما طاوعتك بنانك فإنى أعرف ذنبى إليهم » ثم أوصى غلمانه بقوله ولاتغرنكم بوارق بنى أمية وقدروا ما فى قلوبهم وقلوب شيعتهم بقرطبة من الحقد عليكم فليس يرأسكم بعدى أشفق عليكم من ولدى»[٥].

واشتدت نقمة الأمويين على العامريين بعد أن رأوا عبد الرحمن شنجول ينتزع ولاية العهد من الخليفة الضعيف هشام المؤيد .

١- ابن بسام الذخيرة ، ت ٤ مجلد ١ ص٤٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص٦٢ .

٢- خشى المنصور بن أبى عامر بانتقال الخلافة إلى المغيرة حيث أحس بما يدبره الخادمان الصقلبيان فائق وجوزر وعزمهما على توليته بدلا من هشام ق٤ مجلد ١ ص٤١ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٦١ ، المقرى، نفح الطيب جـ٣ ص٨٦) .

٣- ابن الآبار ، الحلة السيراء جـ١ ص٢٢٦ ، ص٢٢٧ ، المقرى، نفح الطيب، جـ٢ ص١٢٣ ، ١٢٩ .

٤- رجب محمد عبد الحليم ، دولة بنى حمود فى مالقة ، رسالة ماجستير ص٣٤ .

٥- ابن بسام ، الذخيرة ق٤ م١ ص٥٨ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٠٢ .

التمزق العنصري للشعب الأندلسي

فإذا أضفنا إلى تلك الأسباب سببا آخر هو التكوين المعقد للشعب الأندلسي، ذلك أن هذا الشعب احتوى على كثير من العناصر المختلفة فهناك أهل البلاد الأصليين، سواء كانوا مسيحيين أو مسلمين ، وهناك العرب والبربر والصقالبة وكل عنصر من هذه العناصر ينتمي إلى جنس قائم بذاته، ولكل منهم لغته الخاصة وعاداته[١] ، هذا وإن كانت المصاهرة قد قربت بين تلك العناصر بعض الشيء إلا أنه بقى هناك من مظاهر الاختلاف والتنافس ما يكفى لقيام الصراع بينها إذا ما حانت الفرصة[٢].

الصقالبة ودورهم فى سقوط الخلافة والقضاء عليها

انعكس الصراع على الخلافة بين المهدى والمستعين بالله على جند الدولة من البربر والصقالبة ، فتعصب البربر للمستعين بينما تعصب الصقالبة وعلى رأسهم الفتى واضح للمهدى، على أمل تقلد منصب الحجابة والاستبداد بأمور الدولة دون الخليفة، ولكى يحقق واضح أمنيته، طلب المساعدة من كونت برشلونة وذلك لنصرة الخليفة المهدى ضد المستعين بالله، فوافق مقابل شروط مجحفة[٣]، والتقى الطرفان فى عقبة البقر[٤] وانتهت المعركة لصالح الخليفة المهدى وأعوانه من الصقالبة وهرب سليمان المستعين إلى مدينة[٥] شاطبة «فجدد الخليفة المهدى البيعة لنفسه واتخذ الفتى واضح حاجبا له »[٦].

هذا وقد ضعفت الخلافة فى عهد المهدى لازدياد نفوذ الصقالبة وسيطرتهم على الأمور وتدخلهم فى تعيين الخلفاء وعزلهم أو قتلهم ، فعندما أحسوا بضعف الخليفة المهدى، تحولوا

١- رجب محمد عبد الحليم ، دولة بنى حمود فى مالقة ص٤١ .

٢- نفس المصدر والصفحة .

٣- عن هذه الشروط انظر (ابن عذارى، البيان جـ٣ ص٩٣ ، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص١١٤) .

٤- ابن الآبار ، الحلة السيراء جـ٢ ص٧ Dozy: Spanish islam p. 553 .

٥- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص٩٥ ، ابن الخطيب أعمال الاعلام ص١١٥ .

٦- ابن عذارى، البيان جـ٣ ص٩٥، ص١٠٠ ، ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص١١٥ .

عنه وقتلوه وردوا الخلافة لهشام المؤيد ظنا منهم بأن الأمور ستكون إلى جانبهم وتصفو الدولة لهم، ففى سنة ٤٠٠هـ / ١٠١١م قبضوا على الخليفة المهدى وقتلوه[١] . وأخرجوا هشام المؤيد وجددوا البيعة له ، وتقلد واضح منصب الحجابة [٢].

وهكذا نرى أن كل عنصر من العناصر المختلفة فى الأندلس حاول الوصول إلى تحقيق ذاته على حساب أمن الخلافة واستقرارها .

ضعف الجيش الأندلسى :

ضعف الجيش الأندلسى أواخر عصر الخلافة وذلك نتيجة للحروب التى خاضتها جيوش الخلافة سواء فى القضاء على الفتن والثورات الداخلية أو للحفاظ على الوحدة السياسية للبلاد[٣]، أو فى الحروب التى خاضها الجيش الأندلسى، سواء فى بلاد المغرب لاخضاعه لسيطرة الأندلس أو لرد عدوان نصارى الشمال[٤]، الذين دأبوا على الإغارة على المدن الأندلسية الإسلامية .

وكان لتلك الجهود التى بذلها الجيش الأندلسى وخاصة فى عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر والمنصور بن أبى عامر أثر فى أن ضعف هذا الجيش فلم يستطع فى فترة ضعف الخلافة أن يحمى هذه السلطة الشرعية والتى طالما كان الجيش سندها أو يصون عزتها وكرامتها.

كما أن التنوع العنصرى داخل ذلك الجيش جعل كل عنصر يتعصب لعنصره ويفضل مصلحته على مصلحة البلاد وأمنها واستقرارها ، وقد ظلت تلك العناصر تعلن ولاءها لولى الأمر طالما كان قويا، فلما ضعف وأحست تلك العناصر بقرب الصراع بين الأمويين والعامريين حدد كل عنصر موقفه مستترا وراء أحد أفراد البيت الأموى ، فانحاز الصقالبة إلى جانب كل من يقف فى وجه أعدائهم من البربر أمثال المهدى وهشام المؤيد ، كما انحاز البربر إلى كل من يقف فى وجه الصقالبة أمثال هشام بن سليمان وسليمان المستعين .

١- الضبى ، بغية الملتمس ص٢١ ، ابن الآبار ، الحلة السيراء جـ٢، ص٥٧، المراكشى ، المعجب ص٤٢ .

٢- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٠٠ ، ١٠١ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١١٦ .

٣- عن القضاء على الفتن والثورات أنظر صفحة ١٠ من هذا الفصل وما بعدها .

٤- صفحة ١٣ من هذا الفصل وما بعدها .

٥- رجب محمد عبد الحليم ، دولة بنى حمود فى مالقة ص٣٥، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام جـ٣ ص١١٣ وما بعدها، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص٧٥-١٠١، الضبى بغية الملتمس ص٢٠ .

سوء الأحوال الاقتصادية :

كذلك كان لسوء حالة الشعب الأندلسي الاقتصادية دور فى إثارة الاضطرابات والقلاقل والثورات حيث كان شظف العيش لعامة الناس ويقابله البذخ والترف فى قصور الخلفاء والغنى والثراء عند الطبقة الأرستقراطية فى البلاد، انظر إلى ما أنفق فى بناء مدينة الزهراء من الأموال الطائلة[١]، وكان شغف الناصر بالعمارة والبناء والاسراف فيهما سببا فى أن سخط هذا فى رسائل عدة كتبها فى حق الناصر يتهمه بالإسراف والبذخ ويعظه بآيات من القرآن الكريم ليبين له سوء فعلته فى الاسراف فى زينة الدنيا[٢] و«أتى بما شاكل المعنى من التخويف للموت والتحذير منه، والدعاء إلى الله عز وجل فى الزهد فى هذه الدنيا الفانية ، والحض على اعتزالها، والتبيين لظاهر معانيها والترغيب فى الآخرة وباقيها ، والتقصير على طلب الدنيا ونهى النفس عن اتباع الشهوات ، وتلا من القرآن الكريم ما يوافقه وجلب من الحديث والأثر ما يشاكله ويطابقه، حتى بكى الناس وخشعوا وضجوا وتضرعوا ، وأعلنوا الدعاء إلى الله تعالى ، فعلم الخليفة أن المقصود به والمعتمد بسببه ، فاستجدى وبكى، وندم على ما سلف منه من فرطه، واستعاذ بالله من سخطه ، واستعصم برحمته»[٣]. وذلك بالإضافة إلى انخفاض مستوى الأجور وبالتالى انخفاض مستوى المعيشة للفرد الأندلسي كما سبق.

ويذكر المقرى أن أجور العمال الذين كانوا يشتغلون فى بناء الزهراء فى القرن الرابع الهجرى- وهو عصر الرخاء والازدهار- كانت تتراوح بين الدرهم والنصف وثلاثة الدراهم يوميا- للعامل الواحد تبعا لمقدرتهم الحرفية[٤] وذلك على الرغم من ارتفاع الأسعار فى ذلك الوقت مما نتج عنه هبوط فى مستوى معيشة العامة من الأندلسيين[٥].

١- حيث يذكر الفتح بن خاقان فى كتابه المطمح «مدى كلفة الناصر فى عمارة الأرض وأقامة معالمها (ابن خاقان ، المطمح ص٤٠) .

٢- سالم (عبد العزيز) قرطبة حاضرة ، الخلافة ص٢٣٠ ، ٢٣١ .

٣- ابن خاقان ، المطمح ص٤١ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص٣٤ ، ٣٥ ، المقرى، نفح الطيب جـ٢ ص١٠٦ .

٤- المقرى ، نفح الطيب جـ٣ ص٦٧ .

٥- ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٠٦ والمقرى ، نفح الطيب جـ٢ ص٦٧.

أضف إلى ذلك كله الضرائب الباهظة التى فرضت على الناس[١] حيث كانوا يدفعون تلك الضرائب دون تذمر طالما أن ولى الأمر قوى والأمن مستتب ولكن ضعف سلطة الخليفة وعجزه عن إقرار الأمن والسلام للناس، فقد ثاروا فى وجه الخليفة هشام المؤيد يطالبونه برفع الغلاء فقد غلت الأسعار حتى لايكادون يجدون قوت يومهم ، ولما عجز الخليفة عن إجابة مطالبهم لم يجدوا مفرا من نهب قصر الخليفة نفسه[٢].

ونتيجة لهذه الظروف كلها امتلأت نفوس العامة بالثورة وخرج منهم الجوعى إلى الطرقات ليلا ينهبون المارة، ليدرأوا عن أنفسهم خطر الموت جوعا ، ومن ثم قرر جمهور قرطبة اتخاذ موقف عنيف من السلطة الحاكمة ورفع راية العصيان وأصروا على التمرد.

١- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٠٦ والمقرى، نفح الطيب جـ٢ ص٦٧ .

٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٠٧ .

٣- ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٠٨ ، ١٠٩ .

الأوضاع الداخلية فى بلاد المغرب

على الرغم من انفصال بلاد المغرب الإسلامى سياسيا عن الدولة العباسية فقد كانت تسودها بعض التيارات الدينية المعتدلة إلى حد ما ، منها أن المذهب الإباضى لبنى رستم فى تاهرت ، لم يجنح بعيدا عن مذاهب أهل السنة ، كما كانت إمارة بنى المدرار[1] الخوارج فى سجلماسة تدين بالولاء للخلافة العباسية فى بغداد .

وعلى الرغم من أن دولة الأدارسة فى فاس كانت دولة علوية فإنها كانت دولة معتدلة[2] إلى حد ما .

أما الأغالبة الذين أقاموا دولتهم فى تونس برضا العباسيين لتمثل دور الدولة الحاجزة ، فكانوا يدينون بالولاء للخلافة العباسية فى بغداد [3].

ولهذا يعد قيام الدولة الفاطمية الشيعية فى بلاد المغرب نقطة تحول خطيرة فى تاريخ هذه البلاد ، فقد أدى إلى قطع علاقة المغرب الإسلامى ببلاد المشرق والخلافة العباسية فى بغداد من ناحية وترك أثر عميقا على العلاقات السياسية بين المغرب وبين الأندلس [4].

١- قامت دولة بنى مدرار فى سجلماسة وكانت تدين بالمذهب الصفرى، فرع من مذهب الخوارج ، وهو مذهب يقوم على مبدأ عدم حصر الخلافة فى بيت معين أو جنس معين، ويرى تركها لاختيار الأمة، فهى تختار الشخص الصالح لها، بغض النظر عن جنسه أو لونه ، ما دام مستوفيا لشروط الخلافة، وقد قامت دولة بنى مدرار فى سجلماسة فى جنوب المغرب الأقصى ١٤٠هـ / ٧٥٧م ومؤسسها كان سودانيا يدعى عيسى بن يزيد المكناس الصفرى، واستمرت هذه الدولة زمنا طويلاً ثم انتهت على يد قائد الفاطميين جوهر الصقلى ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م ، انظر ابن الخطيب أعمال الاعلام قسم ٣ الخاص بالمغرب ص١٤٦ ، ١٤٧ ، العبادى دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص٤٦ ، ٤٧) عن انتشار المذهب الصفرى الخارجى، انظر (سالم عبد العزيز) المغرب الكبير العصر الإسلامى ص٥٨٣، ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٢١٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١٣٩ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، السلاوى جـ١ ص١٢٥ وما بعدها ، ابن خلدون العبر ص٢٦٨ ، الاستبصار ، المؤلف مجهول ص٢٠١) .

٢- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير، العصر الإسلامى ص٥٩٣ ، ٥٩٤ .

٣- سعد زغلول عبد الحميد ، فترة حاسمة من تاريخ المغرب ، مجلة كلية الآداب والتربية ، الجامعة الليبية مجلد ١ عدد ١٩٥٨ ص٢١٥ ، ٢٢١ ، سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص٥٩٤ .

٤- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٤٨ .

قيام الخلافة الفاطمية :

قامت الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب على مرحلتين الأولى مرحلة نشر المذهب الاسماعيلى فى بلاد المغرب، لتكوين جبهة شيعية من أهل تلك المنطقة تساعدهم فى توطيد نفوذهم فى البلاد من جهة ، وتدعيم المذهب الاسماعيلى ومحاولة نشره من جهة أخرى، والمرحلة الثانية وهى مرحلة الصدام المسلح المباشر مع الدويلات القائمة فى بلاد المغرب وقتذاك، الأغالبة فى تونس والدولة الرستمية فى تاهرت والأدارسة فى المغرب الأقصى .

كانت مدينة سلمية من أرض حمص فى بلاد الشام مركزا للدعوة الاسماعيلية، ومن هذه المدينة انتشر دعاة الاسماعيلية فى كل مكان.

وكانت اليمن إحدى البلاد التى اتخذها دعاة الاسماعيلية مركزا لنشر الدعوة، وذلك لوعورة مسالكها ومناعتها وبعدها عن الخلافة العباسية فى بغداد[١] .

وثمة عامل آخر أدى إلى اختيار دعاة المذهب الاسماعيلى بلاد اليمن مركزا لنشر دعوتهم فى بادىء الأمر يتمثل فى قرب بلاد اليمن من بلاد الحجاز ملتقى حجاج بيت الله الحرام[٢].

ويرجع الفضل فى نجاح الدعوة الاسماعيلية فى بلاد اليمن إلى رجل من الكوفة يدعى أبو القاسم رستم بن الحسين بن فرج بن حوشب الكوفى الذى قام بنشر الدعوة للرضا من آل محمد[٤].

قام ابن حوشب ببناء حصن فى جبل لاعة[٥] وتمكن من تكوين جيش كثيف للزحف على مدينة صنعاء وأخرج منها بنى يعفر[٦]. واجتهد فى نشر الدعوة الاسماعيلية فى جميع

١- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص٢٩٤ .

٢- أحمد مختار العبادى سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ، مجمله معهد الدراسات الإسلامية مدريد مجلد ٥ سنة ١٩٥٧ ص١٩٤ .

٣- ابن خلدون العبر، جـ٤ ص٣٠ ط بولاق.

٤- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٠ ، ٣١ .

٥- بالعين مهملة «مدينة فى جبل صبر من نواحى اليمن إلى جانبها قرية لطيفة يقال لها عدن لاعة » ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص٧ .

٦- ابن خلدون العبر جـ٤ ص٣٠ .

أرجاء اليمن[١]، وبث الأتباع لنشرها فى «اليمامة والبحرين والسند والهند ومصر والمغرب»[٢].

ثم أرسل محمد الحبيب إمام الاسماعيلية فى سلميه[٣] أحد دعاته الذين يثق بهم وهو أبو عبدالله الشيعى ليكمل نشر الدعوة الاسماعيلية فى بلاد المغرب بعد أن بلغه نبأ وفاة أبى سفيان والحلوانى وهما اللذان كان قد بعث بهما الإمام جعفر الصادق إلى بلاد المغرب[٤].

خرج أبو عبدالله الشيعى إلى مكة فى موسم الحج والتقى برجال من كتامة ورؤسائهم أمثال أبو القاسم الورفجومى ، ومسعود بن عيسى وهؤلاء ممن وصلت إليهم الدعوة الإسماعيلية ، على يد الحلوانى[٥]. « ولم يزل يستدرجهم ويخلبهم بما أوتى من فضل اللسان والعلم والجدل إلى أن سلبهم عقولهم بسحر بيانه »[٦]، فلما آن لهم العودة إلى بلادهم سألوه عن مقصده فأخبرهم أنه يريد مصر دون أن يخبرهم بغرضه ، فخرجوا بصحبته[٧] ، ودعوه إلى بلادهم للقيام بنشر هذه الدعوة التى استولت على قلوبهم فوافقهم » وكان يسألهم عن بلادهم وأحوالهم وقبائلهم وعن طاعتهم لسلطان إفريقية »[٨].

١- جمال سرور : الدولة الفاطمية فى مصر ص١٨ .

٢- ابن خلدون : العبر جـ٤ ص٣٠ ، ٣١ .

٣- «بفتح أوله وثانيه وسكون الميم، أو بفتح أوله وثانيه وكسر الميم ، وياء وهى بليدة فى ناحية البريه من أعمال حماه، بينهما مسيرة يومين وكانت تعد من أعمال حمص (ياقوت : معجم البلدان جـ٣ ص٢٤٠ ، ٢٤١ .

٤- عن نسب الفاطميين أنظر «النويرى ، نهاية الأرب فى فنون الأدب «مخطوط» ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ٤ ص٧٥ ، ٧٧ ، ابن عذارى ، البيان جـ١ ص١٥٨ ، ١٥٩ ، ابن خلدون : العبر جـ٤ ص٣٠، ٣١ ، أحمد بن أبى الضياف : اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الزمان ص١٢٠ ، ١٢١ ، حسن ابراهيم حسن عبيدالله المهدى، تاريخ الدولة الفاطمية.

٥- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٤ .

٦- ابن عذارى ، البيان ص١٣٥، ١٦٦ المقريزى ، اتعاظ الحنفا ، ص٧٥ .

٧- المقريزى، الاتعاظ نفس الصفحة .

٨- المقريزى، الاتعاظ ص٧٥ .

فقالوا : «ما له علينا طاعة وبيننا وبينه عشرة أيام[1]. قال أفتحملون السلاح ، قالوا : هو شغلنا الشاغل[2] . فسافر معهم ونزل ببلاد كتامة فى منتصف ربيع الأول سنة ٢٨٨هـ/ ٩٠١م[3].

وقد وجد الأمور ممهدة له ، فقد عرفت بلاد المغرب التشيع منذ أن أسس إدريس بن عبدالله بن الحسين بن على بن أبى طالب دولة علوية شيعية فى سنة ١٧٢هـ/ ٧٨٨م عرفت بدولة الأدارسة»[4].

كما كان للداعيين أبى سفيان والحلوانى فضل كبير فى نشر الدعوة الاسماعيلية فى بلاد المغرب ثم بعد بلاد المغرب عن الخلافة العباسية فى بغداد أثر فى نجاح الدعوة الاسماعيلية فى تلك البلاد وانتشارها بين قبائل البربر .

وبذا كانت بلاد المغرب من أصلح البلاد لانتشار الدعوة الاسماعيلية[5] فى بادىء الأمر ولو أنها لم تتمكن من الصمود طويلا .

استقام أمر أبى عبدالله الشيعى فى بلاد المغرب ودانت له قبائل كتامة [6]، ودخلت فى طاعته والتفت حوله قبائل كثيرة ، فجهر بمذهبه وأعلن أحقية أهل البيت فى الإمامة ودعا للرضا من آل محمد [7]، وقال لهم : أنالا أدعوكم لنفسى وإنما أدعوكم لطاعة الإمام المعصوم من أهل البيت[8].

١- القاضى النعمان «افتتاح الدعوة ص٣٦ .

٢- المقريزى، اتعاظ الحنفا ص٧٥ .

٣- المقريزى، المصدر السابق ص٧٥ .

٤- جمال سرور ، الدولة الفاطمية فى مصر ص٢٠ ، ستانلى لين بول ، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة جـ١ ص٤٣ ، ٤٤ .

٥- محمود ، على مكى ، التشيع فى الاندلس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٥٤ مجلد٢ ص٩٨ .

٦- julien : History of North Africa p. 51-52 .

٧- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٢ .

٨- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص١٧٢ .

مرحلة الصدام المسلح :

وقوى أمر أبى عبدالله الشيعى وزاد خطره ، وأحس الأمير إبراهيم بن أحمد الأغلبى[١]، (٢٦١-٢٨٩هـ/ ٨٧٥-٩٠٢م) بهذا الخطر الشيعى لكنه توفى سنة ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م فساعد ذلك أبا عبدالله الشيعى على نشر الدعوة الفاطمية الاسماعيلية فى بلاد المغرب عن طريق القوة والصدام المسلح، ولم يستطع آخر الأمراء الأغالبة زيادة الله الثالث (٢٩٠-٢٩٦هـ/ ٩٠٣-٩٠٩م) الصمود أمام أبى عبدالله وجيوشه ، فزحف على مدينة ميله[٢]، وقاتل أهلها قتالا شديدا ثم ملكها بالأمان [٣].

زحف أبو عبدالله الشيعى إلى بلدة طبنه[٤] وأغار عليها منذ ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م وتمكن من الاستيلاء عليها فى ٢١٤هـ / ٩٠٦م [٥]، ثم استولى على قرطاجنة[٦] وبلزمه ، كما تم له الاستيلاء على تفصه[٧] ، وأوقع الهزيمة بجند زيادة الله بن الأغلب فى موقعة كينونة سنة ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م كما استولى على قسنطينة[٨] والاربس[٩] ٢٩٤هـ/ ٩٠٩م ولما علم زيادة الله

١- المقريزى، اتعاظ الحنفا ص٧٧ .

٢- «بالكسر ثم بالسكون واللام مدينة صغيرة بأقصى (أفريقية) بينها وبين بجاية ثلاثة أيام وبينها وبين قسنطينة يوم واحد (ياقوت : معجم البلدان جـ٥ ص٢٤٤) .

٣- النويرى ، نهاية الأرب جـ٢٦ ص٢٩ (مخطوط) ، المقريزى، اتعاظ الحنفا جـ١ ص٥٨ .

٤- بلدة فى أفريقية مما يلى المغرب على ضفة الزاب (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٢١ .

٥- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص١٣٨ .

٦- من نواحى افريقية .. على ساحل البحر بينها وبين تونس أثنا عشر ميلا (ياقوت معجم البلدان جـ٤ ص٣٢٣) .

٧- وهى بلدة صغيرة فى طرف افريقية من ناحية المغرب، من عمل الزاب الكبير بينها وبين القيروان ثلاثة أميال (ياقوت ، معجم البلدان جـ٤ ص٣٨٢) .

٨- قلعة كبيرة ومدينة... وهى على حدود افريقية مما يلى المغرب (ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٣٤٣) .

٩- مدينة وكورة بافريقية بينها وبين القيروان ثلاثة أيام (ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص١٣٦ ، المقريزى، اتعاظ الحنفا ص٨٦) .

الثالث بتغلب أبى عبدالله الشيعى فر من رقاده [١]، فنهبت قصوره ، ودخل أبو عبدالله الشيعى القيروان فى رجب ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م[٢] ورقادة ، فأمن الناس ومنع الجند من النهب والسلب ، وخرج إليه الفقهاء ووجوه أهل القيروان وهنأوه بالفتح [٣].

وفى شهر شوال سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م[٤] خرج أبو عبدالله الشيعى من رقادة متجها إلى تاهرت ، فلما وصلها أحس اليقظان بن أبى اليقظان آخر أئمة الدولة الرستمية بعجزه عن مواجهة الشيعة[٥]، وأدرك قرب نهايته ، فطلب الأمان من أبى عبدالله الشيعى، على أن يسلم اليقظان له المدينة، فوافق أبو عبدالله على ذلك ، ودخل تاهرت ، ولكنه قتل يقظان ومن ظفر به من بنى رستم وأرسل رؤوسهم إلى أخيه العباس فى رقادة ، فطيف بها فى القيروان[٦].

ولم يكتف أبو عبدالله الشيعى بذلك بل استباح أموال جميع الرستميين وقضى بذلك على الدولة الرستمية ، ولاذ كثير من سكانها بالفرار إلى جبال أوراس ونفوسه وإلى واحة ورجلان فى الصحراء وإلى جزيرة جربة[٧].

١- بلدة بينها وبين القيروان أربعة أيام بناها إبراهيم بن أحمد الأغلبى ٢٦٣هـ، واتخذها الأغالبة عاصمة لهم بعد ذلك واستمرت كذلك إلى أن هرب منها زيادة الله بن الأغلب واستولى عليها الفاطميون سنة ٢٩٦هـ وقد اتخذها عبيدالله المهدى عاصمة له حتى أسس المهدية فانتقل عنها .. (ياقوت ، معجم البلدان ج٣ ص٥٥، ٥٦) .

٢- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٥ ، المقريزى اتعاظ الحنفا جـ١ ص٦٣ .

٣- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٤ ، المقريزى نفس المصدر ص٨٧ .

٤- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص١٩٧ .

٥- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير، العصر الإسلامى ص٥٦٥ .

٦- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص١٩٧ .

٧- سالم (عبد العزيز) المرجع السابق ٥٦٥ .

خروج المهدى :

وفي هذه الأثناء كان أبو عبدالله الشيعي قد كتب إلى عبيدالله المهدي بسلمية من أرض حمص يخبره بالفتح ، فتنكر عبيدالله المهدى في زى التجار وقدم إلى مصر، فأتت الكتب إلى عيسى النوشرى (أمير مصر) من الخليفة المعتضد بالله العباسى[١] (٢٧٩-٢٨٩هـ / ٨٩٢-٩٠٢م) أن يأخذ على أبى عبيدالله الطريق ويقبض عليه[٢].

ولما وصل عبيدالله المهدى إلى سلجماسة متخفيا أكرمه أميرها اليسع بن مدرار [٣]. ولما جاء كتاب زيادة الله بن الأغلب أو الخليفة المكتفى العباسى (٢٨١-٢٩٢هـ/ ٩٠٢-٩٠٨م) يخبره بأن هذا اللاجىء المتنكر هو نفسه المهدى الذى يدعون له فى كتامة »[٥] انكشف أمره وقام اليسع بن مدرار بحبسه في سجلماسة .

علم أبو عبدالله الشيعى بأمر عبيدالله المهدى، وما كان من سجنه فى سجلماسة ، فتابع سيره إلى سجلماسة وحاصرها ودخلها وأخرج عبيدالله المهدى وابنه أبا القاسم من السجن[٦]، ثم قام أبو عبدالله الشيعى بإعلان إمامة عبيدالله المهدى بقوله : «هذا مولاى الإمام فهو مولاكم» ، فقال له عبيدالله المهدى: «قل لهم هو المهدى بن المهدى سلالة الهداية»[٧].

ولما علم اليسع بن مدرار أمير سجلماسة بوصول أبى عبدالله الشيعى سعى إلى الهرب من سجلماسة ليلا ولكنه قتل [٨].

١- المقريزى ، اتعاظ الحنفا جـ١ ص٦٠ .

٢- ابن خلدون العبر جـ٤ ص٣٤ .

٣- سجلماسة «مدينة فى جنوب المغرب فى طرف بلاد السودان بينها وبين فاس عشرة أيام (ياقوت ، معجم البلدان جـ٣ ص١٩٢) .

٤- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٤ ، اتعاظ الحنفا ص٨٤ .

٥- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٤ ، المقيزى ، اتعاظ الحنفا ص٨٤ .

٦- المقريزى ، اتعاظ الحنفا جـ١ ص٦٥ ، يحيى بن سعيد الانطاكي ص٥٧ ، ابن خلدون العبر جـ٦ ص١٣٦ ، مجهول ، الاستبصار ص٢٠٤ ، مسرور ، الدولة الفاطمية ص٢٤ .

٧- ابن عذارى، البيان جـ١ ص١٥٣ ، المقريزى، اتعاظ الحنفا ص٩٠ .

٨- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٦ .

أقام أبو عبدالله الشيعى وعبيدالله المهدى بسجلماسة مدة ثم رحلا إلى القيروان[١] فى ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م[٢] ومنها إلى رقادة بعد أن ولى عبيدالله المهدى إبراهيم بن غالب[٤] المزاتى أمر سجلماسة وفى رقادة أمر عبيدالله المهدى بالله بذكر اسمه فى الخطبة على جميع منابر البلاد وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين [٤].

توطيد سلطان الخلافة :

قام عبيد الله المهدى بتوطيد دعائم دولته الجديدة فأسند المناصب الكبرى إلى رجال يثق فيهم ، ودون الدواوين ، وبعث بالعمال إلى الولايات المختلفة لجباية الأموال[٥]، وضبط شئونها ، كما تم له إخضاع القبائل التى لم تكن قد دخلت فى طاعته ، فاستطاع قائده أبو عبدالله الشيعى (٢٩٨هـ/ ٩١١م) إخضاع قبائل زناتة جنوبى بلاد كتامة .

١- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص١٠٤ ، ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ١ ص١٩٠ .

٢- القاضى النعمان، افتتاح الدعوة ص٢٩٩ ، المقريزى، اتعاظ الحنفا جـ١ ص٦٦ .

٣- يذكر ابن عذارى أنه بعد انصراف أبى عبدالله الشيعى من سجلماسة ثار أهلها على واليه وقتلوه وولوا مكانه رجلا من بنى المدرار يدعى الفتح بن محبون بن مدرار سنة ٢٩٨هـ وظل يقوم بأمر سجلماسة حتى توفى فى ٣٠٠هـ ثم خلفه أخوه العباس فأرسل إليه المهدى قائده مصالة بن حبوس الصنهاجى فهزمه وقتله، ورأى مصالة أن يقيم على سجلماسة أمراء من بنى المدرار وذلك ليحد من ثوراتهم ، فأقام المعتز بن محمد بن ساور بن مدرار الذى دخل فى طاعة الفاطميين (ابن عذارى، البيان جـ١ ص١٥٦، ص١٥٧) .

٤- ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ جـ٨ ص١٩ ، المقريزى، اتعاظ الحنفا ص٩٤ .

انظر :

Lane - Poole : Catalogue of oriental cions part IV Piece 1,2,3,4

قطعة ، نقش الدينار على هذا النحو :

فى الوجه : عبيدالله لا إله إلا الله وحده لاشريك له أمير المؤمنين .

فى الهامش : محمد رسول الله ورسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .

فى الوجه الآخر : الامام، رسول الله، المهدى بالله ، بسم الله ضرب هذا الدينار بالقيروان سنة ٣٠٠ .

٥- القاضى النعما ، نفس المصدر ص٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ابن عذارى البيان جـ١ ص١٥٨ ، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٦ .

وعلى الرغم من أن الخلافة الفاطمية تدين بظهورها إلى الداعى أبى عبدالله الشيعى ، فإن عبيدالله المهدى أخذ يعمل على التخلص منه وأخذ يعمل على تدعيم نفوذه وتركيز السلطة فى يده ، ومن ثم بدأ يصطدم بأبى عبدالله الشيعى، كبير دعاته، فقد علت كلمته بين قبائل البربر عامة وقبائل كتامه بصفة خاصة مما أثار غيرة المهدى ، يقول ابن خلدون : «أنه لما استقام سلطان عبيدالله المهدى بأفريقية استبد بأمره، كفى أبا عبدالله الشيعى وأخاه أبا العباس عن الاستبداد عليه والتحكم فى أمره ، فعظم عليهما ، وصرح أبو العباس بما فى نفسه، فنهاه أخوه عبدالله عن ذلك ، فلم يصغ إليه ، ثم استماله أبو العباس لمثل رأيه فأجابه، وبلغ ذلك المهدى ، فلم يصدقه ثم نهى أبا عبدالله عن مباشرة الناس قال : أنه مفسد للهيبة»[١].

ومنذ ذلك الحين أخذ أبو عبدالله يدعو الناس إلى خلعه والطعن فى خلافته [٢]. فما كان من المهدى إلا أن أمر بقتل كل من أبى عبدالله الشيعى وأخيه أبى العباس فى جمادى الآخرة ٢٩٨هـ/ ٩١١م[٣].

رأى عبيد الله المهدى ضرورة بناء حاضرة جديدة فى تونس يتخذها عاصمة له، فخرج يرتاد موضعا، فوقع اختياره على جزيرة جمة فبدأ فى بنائها ٣٠٠هـ / ٩١٢ [٤]، وينسب ابن خلدون إلى أبى عبيدالله المهدى قوله بنيتها لتعتصم بها الفواطم ساعة من نهار[٥]» ووقع اختياره على مكان يقع على بعد ٦٠ ميلا جنوبى القيروان [٦]. وأسماها المهدية، وقام ببناء أسواق بها

١- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٧ .

٢- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٧ ، المقريزى اتعاظ الحنفا ص٩٥ .

٣- ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ١ ص١٩٢ .

٤- اختلف المؤرخون فى تاريخ بناء المهدية فيروى البكرى أن المهدى وضع أساس المدينة عام ٣٠٠هـ (البكرى ، المغرب ص٣٠) ويؤيد ابن عذارى هذا التاريخ (ابن عذارى ، البيان جـ١ ص١٦٩، ص٢٣٤) أما ابن الأبار فيختلف معهم حيث يذكر أن بناء المهدية بدأ ٣٠٣هـ (ابن الأبار الحلة السيراء جـ١ ص١٩٢) .

٥- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٨ .

٦- البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص٢٩ ، ٣٠ ، الاصطخرى ، مسالك الممالك ص٣٨ ، ٣٩ .

مبنية من الصخر [١] ورتب بها أصحاب الحرف والمهن كما أجرى لها الماء فى القنوات من قرية مشناس[٢] ويحيط البحر بمدينة المهدية من ثلاث جهات [٣].

كما بنى مرسى لرسو السفن يسع ثلاثين مركبا [٤]، وأنشأ داراً لصناعة السفن تنتج أكثر من مائتى مركب[٥].

وأصبحت مدينة المهدية بحكم موقعها الجغرافى إلى جانب أنها عاصمة من أمنع الحصون البحرية فى بلاد المغرب ومن أهم مراكز الفاطميين التجارية[٦] وسوقا نافعة للسلع التى تحملها السفن من الاسكندرية والشام وصقلية والأندلس[٧].

هذا قد اهتم عبيد الله المهدى وخلفاؤه من بعده بإنشاء أسطول بحرى قوى لحماية دولتهم[٨]، فإلى جانب المهدية اهتم الفاطميون ببناء المنشآت البحرية وإصلاحها فقاموا بإصلاح دار الصناعة القديمة بأفريقية[٩] «سوسة» ، كما قام عبيدالله المهدى بإنشاء دار أخرى لصناعة السفن تتسع لنحو مائة مركب معظمها من الشوانى[١٠]، كما أقيمت مراكز أخرى

١- مجهول الاستبصار ص١١٧ .

٢- مجهول الاستبصار ص١١٧ «يذكر البكرى أن قرية شناس تقع على مقربة من المهدية (البكرى ، المغرب ص٢٩) .

٣- البكرى ، المغرب ٣٩ .

٤- مجهول الاستبصار ص١١٧ ، ١١٨ ، ياقوت ، معجم البلدان جـ٣ ص٢٣١ ، البكرى، المغرب ص٣٠، ص٣٩ ، التيجانى، الرحلة تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب تونس ١٩٥٨ ص٣٢٣ .

٥- البكرى، المصدر السابق ص٣٠ ، المقريزى ، اتعاظ الحنفا ص٧٠ .

٦- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الاسلام جـ٣ ص٣٢٩ ، صابر دياب سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ص٩٩ .

٧- البكرى نفس المصدر ، نفس الصفحة ، حسن ابراهيم حسن ، عبيدالله ص٢٠٥ .

٨- حن ابراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية ص١٠٩ ، ١١٠ .

٩- Goitein : Studies in Islamic Hist. p. 308 .

١٠- اتعاظ الحنفا ص٧٠ ، القاضى النعمان ، المجالس والمسايرات «مخطوط» جـ٢ ص٥٩١ ، صابر دياب سياسة الدول الاسلامية ص٩٩. الشوانى هى من أقدم وأهم سفن الأسطول الفاطمى وقد بنى فيها الفاطميون أبراجا وقلاعا مربعة للدفاع والهجوم (سعاد ماهر، البحرية فى مصر الاسلامية ص٣٥٢-٣٥٣) .

لصناعة السفن فى مدينة طرابلس[١] ، بالإضافة إلى دور أخرى لصناعة السفن[٢] فى مرسى الخرز[٣]، وبجاية[٤].

وفى عهد المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م) أصبح مرسى المهدية يغص بالسفن فقام الخليفة المعز بإنشاء دار جديدة للصناعة ، وقاعدة للأساطيل فى مدينة سوسة[٥].

نشوب الثورات :

توفى عبيدالله المهدى فى ربيع الأول ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م فاشتعلت بلاد المغرب بالفتن والثورات إذ وجدت قبائل البربر الفرصة سانحة للخروج على طاعة الفاطميين [٦]. واستهل ابنه الخليفة القائم بأمر الله ٠٣٢٢-٣٣٤هـ/ ٩٣٤-٩٤٥م) حكمه بمحاولة القضاء على تلك الفتن والثورات .

وكانت أولى هذه الفتن ثورة رجل عربى يعرف باسم ابن طالوت القرشى بنواحى طرابلس، التف حوله البربر وزحف إلى مدينة طرابلس ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها فقام الأهالى ومعهم جند طرابلس بالتصدى له فقتلوه [٧].

على أن أهم هذه الثورات وأكثرها خطرا على الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب: ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتى[٨]، وقد شغلت هذه الثورة عصر القائم كله، وعامين من عهد ابنه أبى العباس اسماعيل المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ/ ٩٤٥-٩٥٣م) .

١- «تقع على شاطىء البحر مما يلى الغرب» ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٢٥، البكرى المغرب ص٨٥ .

٢- البكرى ، المغرب ص٥٥.

٣- موقع معمور على ساحل أفريقية بينه وبين بونه ثلاثة أيام (ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص١٠٦) .

٤- مدينة على ساحل البحر بين أفريقية والمغرب (ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص٣٣٩ ، الاستبصار ص١٣٠) .

٥- القاضى ، النعمان ، المجالس والمسايرات مخطوط جـ٢ ص٥٩٠-٥٩٢) اليعقوبى ، كتاب البلدان ص٣٤٨ ، البكرى، المغرب ص٣٠ .

٦- سالم (عبد العزيز) تاريخ المغرب الإسلامى (العصر الإسلامى) ص٦٢١ .

٧- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ابن خلدون العبر جـ٤ ص٨٣ .

٨- المقريزى ، اتعاظ الحنفا جـ١ ص١٠٩ .

ومما يدل على خطورة هذه الثورة أن اسماعيل المنصور سجل انتصاره على أبى يزيد[١] بإنشاء مدينة المنصورية[٢] فى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م.

كان مخلد بن كيداد من أهل توزر[٣] ورحل إلى تاهرت عاصمة الدولة الرستمية فى المغرب الأوسط وحالف الخوارج النكارية فأقام بها مشتغلا بتعليم الصبيان[٤]. فلما استولى أبو عبدالله الشيعى على تاهرت سنة ٢٩٦هـ رحل منها إلى تقيوس[٥] من مدن قسطيلية[٦] فاستقر به المقام هناك أيام عبيدالله المهدى[٧].

ولما توفى عبيد الله المهدى خرج من تقيوس لنشر دعوته الإباضية على مذهب النكارية[٨]، وأخذ يدعو الناس إلى تكفير الشيعة. وفى ٣١٦هـ ٩٢٨م رحل إلى جبل أوراس وانضم إليه عدد كبير من البربر[٩] الساخطين على الخلافة الفاطمية.

وفى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م هبط من جبل أوراس يدعو للحق بزعمه، ولم يعلم الناس مذهبه، فرجوا فيه الخير والقيام بالسنة ، فخرج على الشيعة ودخل أفريقية[١٠].

وفى سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م زحف أبو زيد إلى مدينة باغاية[١١]، فخرج إليه عاملها وجموع

١- سام (عبد العزيز) المغرب الكبير ص٦٢٢ .

٢- ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٢١١ .

٣- «مدينة فى أقصى أفريقية من نواحي الزاب الكبير» (ياقوت ، معجم البلدان جـ٢ ص٥٧) .

٤- سالم، المرجع السابق ص٦٢٣ .

٥- مدينة بأفريقية قريبة من توزر من زعمال قسطيلية .

٦-

٧- ابن خلدون العبر جـ٤ ص٨٤ .

٨- الاباضية النكارية من أتباع ابن فندين الذين انكروا امامة عبد الوهاب ابن رستم (المغرب الكبير ص٦٢٣) .

٩- ابن خلدون العبر جـ٤ ص٨٤ ، سيرة الأستاذ جوزر ص١٥٨، حاشية ٣٦ .

١٠- ابن عذارى، البيان جـ١ ص٣٠٧ .

١١- مدينة كبيرة فى أقصى أفريقية بين مجانه وقسنطينة الهواد، (ياقوت معجم البلدان جـ١ ص٣٢٥) .

كثيفة من جند الخليفة القائم بأمر الله، ودارت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة جند القائم وتراجعها ، فزحف أبو يزيد إلى باغاية ولكنه لم يستطع الظفر بها، فتوجه إلى مجانه[١] وهدم سورها واستولى عليها [٢].

واصل أبو يزيد زحفه فاستولى على تونس وأمن أهلها وولى عليها أحد أتباعه ، ثم مضى تجاه القيروان ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها حيث التقت جيوشه بجيوش القائم بأمر الله وتمكن قائد جيوش الفاطميين بشرى الفتى من هزيمة أبى يزيد وأنصاره وقتل عدداً كبيراً منهم[٣].

غضب أبويزيد من الهزيمة وصمم على الانتقام ، فقام على رأس جيش كثيف من أنصاره وأتباعه من البربر واستولى على رقادة سنة ٣٣٣هـ / ٩٤٤م ثم قدم أبو يزيد إلى القيروان ، فخرج شيوخ القيروان ، فأمنهم ورفع عنهم النهب وأظهر الخير لأهلها[٤] «ودعا الناس إلى جهاد الشيعة، وأمرهم بقراءة مذهب مالك، فخرج الفقهاء والعلماء فى الأسواق بالصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وعلى أصحابه وأزواجه ... ، فلما اجتمع الناس وحضر الإمام وطلع على المنبر ، خطب خطبة أبلغ فيها، وحرض الناس على الجهاد وأعلمهم بما لهم فيه من الثواب، ثم لعن عبيد الله وابنه ثم خرج معه الناس لقتال الشيعة»[٥] .

كان على الخليفة القائم أن يوقف هذه الثورةالتى اجتاحت البلاد وأخذت تهدد أمنها وسلامتها فقام بإعداد جيش كثيف يقوده ميسور الفتى فتقدمت جيوش ميسور لمحاربة أبى يزيد واشتبك الفريقان فى معركة أسفرت عن هزيمة ميسور وقتله[٦] .

١- مجانه مدينة فى أفريقية بينها وبين القيروان خمس مراحل (ياقوت معجم البلدان جـ٥ ص٥٦) .

٢- ابن خلدون العبر جـ٤ ص٨٥ .

٣- ابن خلدون العبر جـ٤ ص٨٦ .

٤- سالم المغرب الكبير ، العصر الإسلامى ص٦٢٩ .

٥- ابن عذارى، البيان المغرب جـ١ ص٣٠٨ ، ٣٠٩ .

٦- ابن عذارى، المرجع السابق جـ١ ص٣١٠ ، ابن خلدون ، العبر جـ٢ ص٨٦ .

وبهزيمة ميسور أصبح أبويزيد متغلبا على معظم مدن أفريقية فزحف بجيوشه إلى مدينة المهدية حاضرة الفاطميين وحاصرها ، فاستنجد الخليفة القائم بأمر الله بالقائد زيرى بن مناد الصنهاجى زعيم قبيلة صنهاجة الموالية للفاطميين [١].

وفى سنة ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م حاصر أبو يزيد مدينة المهدية ولكنها استعصت عليه لمناعتها وانهزم هو وجيشه أمام أسوار المهدية وبانضمام زيرى بن مناد الصنهاجى وقبيلة صنهاجة إلى جانب الفاطميين رجحت كفتهم وبدأت الهزائم تتوالى على أبى يزيد [٢].

كما قام على بن حمدون الأندلسى الموالى للفاطميين بشن الإغارات على المدن التى وقعت فى يد أبى يزيد فاستولى على باغاية[٣]. وفى هذه الأثناء توفى الخليفة القائم بأمر الله، وخلفه ابنه أبو الطاهر اسماعيل الملقب بالمنصور ، فكتم موت أبيه حتى لايؤثر هذا فى خطته فى القضاء على هذه الثورة وقام المنصور (٣٣٤-٣٤١هـ/ ٩٤٥-٩٥٢م) بمناهضة أبى يزيد فاستولى على القيروان ، وأمن أهلها وظل الطرفان يتبادلان النصر والهزيمة حتى استطاع الخليفة المنصور أن يهزم أبا يزيد وجنوده ، وفر أبو يزيد مشخنا بالجراح ، وتوفى سجينا بعد ثلاثة أشهر من هزيمته [٤].

هذا وقد اهتم بإنشاء مدينة جديدة تكون عاصمة للبلاد الداخلية فعمل على زيادة عدد قطع الأسطول الفاطمى وإصلاح التالف منها [٥].

١- يذكر الدكتور العبادى أن انضمام زيرى بن مناد الصنهاجى قائد قبيلة صنهاجة إلى الفاطميين لمحاربة أبى يزيد لم يكن فى الواقع صراعا بين الشيعة والخوارج بقدر ما كان صراعا بين البربر البتر من زناتة الموالية لأبى يزيد وبين البربر البرانس وعلى رأسهم زيرى بن مناد الصنهاجى وقبيلة صنهاجة حيث كان العداء بينهم قديما . (مختار العبادى سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس ص٢٠٢ ، ٢٠٣) .

٢- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص٦٢٨ .

٣- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٨٩ .

٤- ابن أبى دينار المؤنس فى أخبار أفريقية وتونس ص٥٩ ، ٦١ ، ابن الأثير، الكامل جـ٨ ص١٥٠ ، ١٥٨ سيرة الأستاذ جوذر ص١٥٨ ، حاشية ٣٦ المقريزى، اتعاظ الحنفا ص١٠٩ ، ١٢٥ ، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٩٢ ، ٩٣ ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٣١٢ .

٥- المقريزى، اتعاظ الحنفا ص١٢٦ .

كما اهتم المنصور بإنشاء مدينة جديدة تكون عاصمة للبلاد بدلا من المهدية. فاختطها في مكان يقرب من مدينة القيروان سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م، وعمر أسواقها واستوطنها ثم صارت منزلا للملوك الذين لهم ... ولم تزل منزلا لملوك إفريقية من بنى باديس حتي خربتها العرب لما دخلت إفريقية وخربت بلادها وذلك سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م.

توفى الخليفة المنصور الفاطمى ٣٤١هـ/ ٩٥٢م ودفن بالمهدية[١] وخلفه ابنه المعز لدين الله ٣٤١-٣٦٥هـ / ٩٥٢-٩٧٥م وكان ذا ولع بالعلوم ودراسة الأدب[٢] ، ودانت له قبائل البربر كلها بالطاعة[٣].

وقد اهتم الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بإنشاء السفن وتجديد القواعد البحرية وزيادة عدد قطع الأسطول، وقد رأى أن قاعدة المهدية ودار الصناعة بها لاتستطيعان مواجهة مطالب الأسطول الفاطمى، فعول على تجديد قاعدة مدينة سوسة المنيعة[٤]، كما أنشئت فى عهده دار أخرى لصناعة السفن والمراكب الحربية فى مدينة مرسى الخرز [٥].

١- سيرة الاستاذ جوزر ص٧٦ ، حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى جـ٣ ص١٤٧ .

٢- المقريزى ، اتعاظ ص٦١ ، ٦٥ حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الاسلام السياسى جـ٣ ص١٤٧ .

Ayman Fu'ad Sayyid : Lumieres Nouvelles sur Quelques Sources De L'Histoire Fatimede in Egypte, Annales Islamiques, T. XIII, 1977, p. 3 .

كما كتب ابن زولاق تاريخا للمعز وابنه العزيز Ibid , p. 4

٣- عن امتداد نفوذ المعز على بلاد المغرب انظر فصل العلاقات السياسية .

٤- سيرة الأستاذ جوزر ص٩٧ ، ٩٨ ويوجد فى هذا الكتاب المراسلات المتبادلة بين المعز وجوزر بشأن تدبير حاجيات الأسطول وزيادة عدد قطعة وانشاء دور جديدة لصناعة السفن (القاضى النعمان ، المجالس والمسايرات (مخطوط) جـ٢ ص٥٩٠-٥٩٢)، اليعقوبى ، كتاب البلدان ، ليدن ١٨٩١ ص٣٤٨، البكرى ص٣٤ ، العبادى (أحمد مختار) تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ص٧٢ ، صابر دياب سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ص١٠١ .

٥- البكرى ، المغرب ص٥٥ .

امتداد النفوذ الفاطمى إلى مصر :

ما أن استقر الفاطميون فى بلاد المغرب الأوسط وأفريقية حتى بدأوا يتطلعون إلى مد نفوذهم إلى مناطق جديدة من العالم الإسلامى، فقاموا بإرسال الحملات إلى المغرب الأقصى واستطاعوا إخضاع معظم أجزائه وضمها إلى دولتهم[١] ، فأصبحت بذلك تشمل المنطقة الممتدة من حدود برقة شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسى غربا[٢].

ولم يقتنع الفاطميون بما أحرزوه من نصر بسيطرتهم على بلاد المغرب الأوسط والأقصى، فبدأوا يتجهون بأبصارهم ناحية المشرق الإسلامى وبدأوا فى تحقيق هذا الهدف بمحاولة الاستيلاء على مصر لإدراكهم أن هذه البلاد عظيمة الأهمية من النواحى السياسية والحربية والاقتصادية والدينية فالاستيلاء على مصر يعنى السيطرة على القطرين التابعين لها وهما الشام والحجاز، وبالسيطرة على الحجاز يكتسب الفاطميون مركزا دينيا فى العالم الإسلامى كله .

يضاف إلى ذلك أن فتح الفاطميين لمصر ومن ثم الشام ييسر لهم الزحف على مقر الخلافة العباسية فى بغداد ، ويسهل مهمة القضاء على العباسيين.

بالإضافة إلى ذلك رأى الفاطميون أن مصر أكثر صلاحية لأن تكون مركزا للخلافة الفاطمية وذلك لأهمية موقعها الجغرافى وقربها من المراكز الإسلامية القديمة فى كل من المدينة ودمشق وبغداد [٣].

ومن الأسباب الهامة أيضا والتى جعلت الفاطميين يعجلون بانتقالهم إلى مصر ما رأوه من معارضة عنيفة من المغاربة الزناتية ومن الأمويين فى الأندلس[٤]، ومن الفقهاء المالكية فى المغرب الإسلامى كله[٥].

١- عن مد نفوذ الفاطميين إلى بلاد المغرب الأقصى ، انظر فصل العلاقات السياسية .

٢- C. H. A. : Julien , History of North Africa p. 53-54 .

٣- حسن إبراهيم ، تاريخ الدولة الفاطمية ص١١٢-١١٧ .

٤- انظر فصل العلاقات السياسية .

٥- انظر فصل العلاقات السياسية .

أضف إلى ذلك ما أدركه الفاطميون من أن موارد المغرب الشحيحة نسبيا لاتكفى لسد حاجات الدولة الناشئة ، فرأوا أن غنى مصر وتنوع ثرواتها سيدعم اقتصاد دولتهم ويوفر لها الأموال اللازمة للقيام بما تحتاجه من مشروعات مدنية وحربية .

لكل ما سبق أعد الخلفاء الفاطميون الخطط للاستيلاء على مصر منذ ظهروا فى المغرب بل منذ عهد أول خلفائهم عبيدالله المهدى ٢٩٧- ٣٢٢هـ (٩٠٥-٩٢٣م) وتابع الخلفاء من بعده محاولتهم لتحقيق هذا الهدف[١] إلى أن نجح المعز لدين الله الفاطمى ٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م فى فتحها عام ٣٥٨هـ/ ٩٦٨ وانتقل إليها فى عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م ومنذ ذلك الحين أصبحت مصر مركز الخلافة الفاطمية[٢].

وقد ساعد على نجاح هذا الفتح، ضعف الخلافة العباسية وانشغالها بدفع البيزنطيين عن أراضيها فى الشام واضطراب الأحوال السياسية فى مصر بعد موت كافور الإخشيد بها، يضاف إلى ذلك الدور الذى قام به الدعاة الفاطميون فى مصر . فقد استطاع هؤلاء الدعاة التأثير على بعض المصريين ونجحوا فى ضمهم إلى صفوفهم واتخذوا منهم هناك الأعوان والأنصار.

وقبل أن يرحل المعز لدين الله الفاطمى إلى مصر أراد أن يبقى على النفوذ الفاطمى فى بلاد المغرب[٣]. فاستخلف عليها أبا الفتوح يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجى[٤] ، وسمى بلكين يوسف، وكنى أبو الفتوح ، ولقبه سيف العزيز بالله[٥].

١- قام الفاطميون بعدة حملات على مصر أهمها الحملات التى قامت سنة ٣٠١ ، ٣٠٦ ، ٣٢١ هـ عن تفصيل ذلك انظر (الحلل السندسية لابن السراج جـ ص٨٩٦ ، ٨٩٧ ، أبو الفدا، المختصر جـ٢ ص٦٧ ، ٦٩، ابن الأبار، الحلة السيراء جـ١ ص٢٨٦ ، ٢٨٧ ، مؤلف مجهول ، العيون والحدائق ص٢٥١ ، ص٢٥٦ ، ٢٨٦) .

٢- عن فتح مصر فى عهد المعز انظر (الذهبى العبر فى خبر من غبر ص٣٢٦، المختصر لأبى الفدا جـ٢ ص١٠٩ ، ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٢٢١ ، شرح فى الأخبار المعز مخطوط بجامعة القاهرة لمؤلف مجهول ص٣ ، ٤ ، ص٧٣ ، نهاية الأرب ص٣٨ للنويرى ص٤٠ ، ٤٣ مخطوط) .

٣- مختار العبادى، سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس ص٢٠٩ .

٤- أحمد بن أبى الضياف ، اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان جـ١ ص١٢٨ تونس سنة ١٩٦٣ ، المقريزى، اتعاظ الحنفا ص١٤٣ ، جـ١ .

٥- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام قسم ٣ ص٦٥ .

المغرب فى ظل بنى زيرى :

عهد المعز لدين الله الفاطمى إلى نائبه أبى الفتوح يوسف بن بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى بغزو بلاد المغرب الأقصى للقضاء على النفوذ الأموى هناك، فسار بلكين إلى تاهرت فاستولى عليها ثم مضى إلى تلمسان فدخلها واستولى عليها أيضا [1].

توفى بلكين فى سنة ٣٧٣هـ / ٩٨٤م وخلفه ابنه المنصور بن بلكين (٣٧٤-٣٨٧هـ/ ٩٨٥-٩٩٧م) وكان واليا على أشير[2] فخلفه على الإمارة فى أفريقية والمغرب الأوسط، هذا وقد عقد أبو المنصور بن بلكين لعمه أبى البهاء على تاهرت ولأخيه يطوفت على أشير .

وفى ٣٧٩هـ/ ٩٩٠م ثار عمه أبو البهاء بن زيرى فى تاهرت فزحف إليه المنصور ففر أبو البهاء هاربا إلى المغرب ، حيث دخل فى طاعة المنصور بن أبى عامر[3] واستولى المنصور على تاهرت وولى عليها أخاه يطوفت .

وفى سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م توفى المنصور وخلفه ابنه باديس (٣٨٧-٤٠٦هـ / ٩٩٧-١٠١٥م) على إمارة أفريقية والمغرب الأوسط وكان عند وفاة والده صغيرا لايتجاوز عمره اثنى عشر عاما .

وفى عهد باديس بدأت الانقسامات والخلافات تظهر بين بنى زيرى، فقد بدأ عمه حماد والى مدينة أشير يعمل على الانفصال عن ابن أخيه فأسس فى سنة ٣٩٥هـ/ ١٠٠٤م مدينة القلعة ونزل بها وجعلها مقرا له[4] ، وأعلن استقلاله لهذه الولاية .

فسير باديس عمه ابراهيم إلى عمه حماد فما كاد ابراهيم يصل إلى القلعة حتى انضم إلى أخيه حماد وخلع الاثنان طاعتهما لباديس[5] وأعلن حماد نبذه لطاعة الفاطميين ، ودعا للخلفاء العباسيين سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م.

١- عن غزو بلكين بن يوسف بن مناد الصنهاجى بلاد المغرب الاقصى انظر فصل العلاقات السياسية.

٢- «مدينة فى جبال البربر بالمغرب فى طرفى أفريقية الغرب مقابل بجاية» ياقوت معجم البلدان جـ١ ص٢٠٢ .

٣- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٣٤٩، ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص٣٢١ .

٤- ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص٣٢٣ .

٥- ابن عذارى ، البيان ج١ ص٣٧٧ ، ابن خلدون ، العبر ج٦ ص٣٢٣ .

وفى سنة ٤٠٦ هـ / ١٠١٥م توفى باديس وخلفه ابنه المعز (٤٠٦-٤٥٣هـ / ١٠١٥-١٠٦١م) .

استغل حماد فرصة وفاة باديس ، فدخل المسيلة واستولى على أشير وباغاية وبلغ ذلك المعز فحاربه المعز وزحف فى سنة ٤٠٨هـ/ ١٠١٧م فهزم حماد وفر إلى القلعة [١]، ولكنه آثر الصلح مع المعز فاشترط عليه المعز أن يبعث ولده إليه، فوافق حماد وتم الصلح بينهما[٢]، وبمقتضى هذا الصلح استقل حماد بالمسيلة وطبنة وأشير وتاهرت وما يفتح من بلاد المغرب[٣].

وبذلك انقسمت دولة بنى زيرى الصنهاجية إلى دولة آل المنصور بن بلكين أصحاب القيروان، ودولة آل حماد بن بلكين أصحاب القلعة[٤].

وفى عهد المعز بن باديس انفصلت بلاد المغرب عن الخلافة الفاطمية فى القاهرة، منذ سنة ٤٣٣هـ وبدأت العلاقات تسوء بين المعز بن باديس والخليفة الفاطمى المستنصر بالله (٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٦-١٠٩٤م) وبدأ المعز بن باديس يظهر ميلا إلى أهل السنة وبدأ فى مضايقة الشيعة والتضييق عليهم متوددا بذلك إلى الخليفة العباسى القائم بأمر الله (٤٢٢-٤٦٧هـ/ ١٠٣١-١٠٧٥م) .

وعلى الرغم من سوء العلاقات بين مصر وبلاد المغرب فإن الخليفة المستنصر بالله كان لايرغب فى أن تتم القطيعة بينهما خاصة وأنه كان مشغولا بالأحداث الجارية فى بلاد الشام[٥].

لكن حدث فى سنة ٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م أن قطع المعز بن باديس الدعاء للفاطميين على منابر المغرب كما أمر بسك عملات جديدة من الدنانير والدراهم الفضية وإلغاء العملات التى تحمل أسماء بنى عبيد الله[٦].

١- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، قسم ٣ ص٧٥ ، ٧٦ .

٢- سالم (عبد العزيز) نفس المرجع ص٦٥١ .

٣- ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص٣٢٤ .

٤- ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص٣٢٤ ، سالم ، المغرب ص٦٥١ .

٥- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٣٠ ، جمال سرور النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق فى القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة ص٥٦ ، ٥٧ ، جـ١ ١٩٥٩ .

٦- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٤٠٢ ، حسن ابراهيم حسن ، تاريخ الدولة الفاطمية ص٢٥٣ .

وكان لإلغاء العملة الفاطمية آثار اقتصادية هامة على بلاد المغرب [١]، «فغلت الأسعار بالقيروان وضاقت الحالة بالفقراء ، واشتد الحال بالتجار»[٢].

غزوات العرب الهلالية :

لما نجح الفاطميون فى هزيمة القرامطة فى عهد الخليفة الفاطمى العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ/ ٩٧٥-٩٩٦م) نقل العزيز من كان بينهم من عرب بنى سليم وبنى هلال إلى صعيد مصر، وظلوا يقيمون هناك طوال العصر الفاطمى[٣]، وكانت هذه القبائل فى عصر المستنصر بالله فى حرب مستمرة فيما بينها، «وقد عم ضررهم وأحرق البلاد والدولة شررهم»[٤].

وعندما ساءت العلاقات بين الفاطميين فى مصر وبين الإمارات التابعة لهم فى تونس رأوا أن يدفعوا عرب بنى هلال لغزو هذه البلاد فيتخلصوا من عبثهم وفسادهم فى مصر، وقد يتخلصون أيضا من أمراء أفريقية الخارجين عن طاعتهم وفى سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م ظهرت طلائع قبائل البدو فى أفريقية بعد أن مرت ببرقة وطرابلس [٥].

أقام بنو سليم ببرقة ، وسارت قبائل دياب وعون وزعنب وجموع بطون بنى هلال إلى أفريقية ودمرت فى طريقها كل شىء .

ودخل العرب القيروان واستباحوا المدينة وخربوا أبنيتها وقضوا على حضارتها وعاثوا فى البلاد فسادا ينهبون ويقتلون[٦] ، فعظم الأمر على المعز وعزم على المبادرة بمحاربتهم قبل أن

١- عفيفى محمود ابراهيم، أحوال بلاد المغرب الاقتصادية فى ظل السيادة الفاطمية ص٢٤٣ رسالة غير مطبوعة.

٢- ابن عذارى، البيان جـ١ ص٢٥٠ .

٣- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص٦٦٩ .

٤- ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص٣٠ .

٥- المقريزى، اتعاظ الحنفا ص٢٢٣ جـ١ ١٩٤٨ م، حسن أحمد محمود الاسلام والثقافة العربية فى أفريقية جـ١ ص١٦١ .

٦- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص٦٦٩ ، ٦٧٠ .

يستفحل خطرهم فخرج على رأس جيش من بربر صنهاجة وزناتة[١] وعدد من العرب واشتبك مع عرب بنى هلال فى ذى الحجة سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م ولكنه هزم هزيمة ساحقة بعد أن تخلى عنه جنوده من العرب، إذ انضموا إلى عرب بنى هلال ، أما زناتة وصنهاجة فقد فروا أمام هزيمة العرب الهلالية لهم، وانقض عرب الهلالية على مخيمات المعز فانتهبوها[٢] .

وفى سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م دخل العرب الهلاليين القيروان «فاستباحوها وخربوا عمرانها ومبانيها ... فتفرق الناس فى الأقطار»[٣].

ثم أخذوا يزحفون غربا يهددون مدن البلاد كما هددوا مدن أفريقية[٤] وقضوا على مظاهر الاستقرار بإفريقية ، وفجع العلماء فى أمنهم واستقرارهم فخرجوا يبحثون عن ملاذ لهم من هذه الفتنة [٥].

ونتيجة لغارات بنى هلال نزح العلماء إلى المغرب الأقصى، وقد استقرت أمور المغرب الأقصى فى ذلك الوقت، فأصبح الملاذ الأخير للحركة العلمية فى شمال أفريقية وانتقل مركز الثقافة الإسلامية إلى مدينة فاس بعد أفول نجم القيروان[٦].

وعلى الرغم مما ارتكبه العرب الهلاليون من مساوىء فقد كان لهم دور كبير فى نشر اللغة العربية فى المغرب وتخفيف حدة اللهجات المحلية فى القرى البربرية التى لم تصل إليها بعد إشعاعات الحضارة العربية[٧].

١- ابن عذارى ، البيلن جـ١ ص٤٢٠ .

٢- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص٦٦٩ .

٣- ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص٣٤ .

٤- حسن أحمد محمود ، الاسلام والثقافة العربية فى أفريقية ص١٦٢ .

٥- حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ص١٦٢ ..

٦- نفس المرجع السابق ص١٦٣ .

٧- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص٦٧٣ .

انقسمت بلاد المغرب إلى دويلات على نحو ما حدث فى الأندلس عقب سقوط الخلافة الأموية بقرطبة سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م، فقد استولى بنو هلال على المناطق الممتدة من قابس إلى المغرب، أما بنو زيرى فقد استقروا فى مدينة المهدية وظل بنو حماد فى بجاية أما حمود بن مليل البرغواطى فقد استقر فى مدينة سفاقس [1]، وهكذا مرت بلاد الأندلس والمغرب فى القرنين الرابع والخامس للهجرة بظروف متشابهة .

١- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص٦٧٣ .

الفصل الثانى

العلاقات السياسية بين الأندلس والمغرب فى عصر الخلافة

محاولات الفاطميين نشر مذهبهم فى الأندلس - فتح أبواب المهدية والقيروان أمام اللاجئين الأندلسيين - تشجيع الثوار فى الأندلس ومساندتهم - الصراع بين الفاطميين والأمويين على أرض المغرب الأقصى- التوسع الفاطمى فى المغرب الأقصى- العلاقات فى عهد المعز لدين الله- رد الفعل الأموى ضد مطامع الفاطميين فى بلاد المغرب والأندلس- مقاومة المالكية للفاطميين فى بلاد المغرب- استقبال الأندلس للاجئين السياسيين واستمالة قواد الفاطميين- تأييد الثائرين على الفاطميين فى بلاد المغرب- الصراع البحرى- الحكم المستنصر- سياسة المنصور بن أبى عامر تجاه المغرب- المهاجرون من القطرين وأثرهما فى الأحداث السياسية

محاولات الفاطميين نشر مذهبهم فى الأندلس :

بعد أن عرضنا للوضع الداخلى فى القوتين المتناظرتين الأندلس والمغرب سنستعرض للعلاقات بينهما مبتدئين بالعلاقات السياسية .

كان الخلاف المذهبى بين الخلافتين الفاطمية الشيعية فى بلاد المغرب والخلافة الأموية السنية فى الأندلس سببا فى أن حاول كل من الطرفين إرسال دعاته ورجاله للتعرف على مواطن الضعف كل فى بلد الآخر .

عهد الفاطميون بالتجسس لحسابهم فى الأندلس ، إلى أحد دعاتهم وهو جعفر محمد بن هارون البغدادى [٢]. فدخل الأندلس متخفيا تحت ستار العلم، وسمع منه بعض تلاميذه

١- محمود على مكى «التشيع فى الأندلس» مقال فى صحيفة معهد الدراسات الاسلامية مدريد سنة ١٩٥٤ ص١١٢ ، ابن حوقل صورة الأرض ص١٠٤ .

٢- ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس ترجمة رقم ٢٠١ ص٢١ .

أمثال أحمد بن عبدالله القرشي التجيبي وغيره أمثال محمد بن عمر بن عبد العزيز [١]، وتردد هذا الداعي بين بلدان الأندلس أعواما ، ويؤكد ابن الفرضى[٢] أنه دخل الأندلس متجسسا .

كما عهد الفاطميون أيضا إلى أحد دعاتهم وهو ابن مسرة القرطبي المتوفى ٣١٩هـ/ ٩٣١م[٣] أن ينشىء تنظيما سريا للشيعة في الأندلس، فيذكر ابن الفرضي في حديثه عن ابن مسرة القرطبي أنه دخل الأندلس بعد أن خرج فارا من المشرق ، بعد أن اتهم بالزندقة «فاشتغل بملاقاة أهل الجدل وأصحاب الكلام والمعتزلة، ثم انصرف إلى الأندلس فأظهر نسكا وورعا واغتر الناس بظاهره فاختلفوا إليه وسمعوا منه، ثم ظهر للناس على سوء مقصده وقبح مذهبه... وكان له لسان يصل به إلى تأليف الكلام وتمويه الألفاظ وإخفاء المعاني» [٤].

استعان الفاطميون أيضا بالرحالة ابن حوقل[٥] النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) فدخل الأندلس متخفيا في زي التجار[٦] ويسميه ياقوت بالتاجر الموصلي [٧].

فقام ابن حوقل بتسجيل كل ما رآه في الأندلس وأبدى ملاحظاته عن الوضع السياسي والاقتصادي والحربي في الأندلس ، وعن مدى دخل الدولة ووفرة ثرواتها .

ومما يدل على أن ابن حوقل قد دخل الأندلس بقصد الدعاية للفاطميين أنه أولى اهتماما خاصا بمعرفة كل ما يتصل بهذه البلاد من الناحية العسكرية والاقتصادية ، وهي أمور تهم الداعي، فقد ركز في أكثر من نظرة على الوضع العسكري للأندلس .

١- المصدر السابق ص٦١ .

٢- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ص٦١ .

٣- الحميدي، جذوة المقتبس ص٥٨ ، ٥٩ ، ابن الفرضي تاريخ علماء الأندلس جـ٢ ص٣٩ ترجمة ١٢٠٤، ابن الأبار التكملة ص٧٦٥ ، ٩٩١ .

احسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) ص٣١ .

٤- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة ١٢٠٤ ص٣٩ ، ص٤٠ .

٥- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١٠٤ ، ١٠٥ ، المقري نفح الطيب جـ١ ص٢١٢ .

٦- المقري ، نفح الطيب جـ١ ص٢١١ .

٧- معجم البلدان ، جـ١ ص٣٤٨ .

من ذلك قوله «ومن أعجب أحوال هذه الجزيرة بقاؤها على من هى فى يده مع صغر أحلام أهلها، وضعة نفوسهم ونقص عقولهم ، وبعدهم عن الشجاعة والفروسية والبسالة ولقاء الرجال ومراس الأمجاد والأبطال».

ثم يركز على هذه الناحية الحربية أيضا بقوله «وليس لجيوشهم حلاوة فى العين لسقوطهم عن أسباب الفروسية وقوانينها ... إلى آخر ذلك».

أما عن الوضع الاقتصادى فهو يقول «وعلم موالينا عليهم السلام بمحلها فى نفسها ومقدار جباياتها ومواقع نعمها ولذاتها »[١].

فهو هنا لايصف الأندلس بصفته جغرافى يهتم بالنواحى الاقتصادية والجغرافية للبلاد فحسب وإنما يخاطب الخليفة الفاطمى حيث يذكر له مدى وفرة ثرواتها وجباياتها وهو أمر يهتم به كل عدو طامع .

ثم يعود غير محصل ثقة ممن يستبطن جبايات البلد وحاصل عبد الرحمن بن محمد أن لديه مما اتجه له جمعه من الأموال إلى سنة أربعين وثلاثمائة مالم ينقص عن عشرين ألف ألف دينار إلا اليسير القليل ، دون ما فى خزائنه من المتاع والحلى المصوغ وآلة المراكب، وما يتجمل به الملوك من القنية المصوغة[٢].

ويتضح من هذا النص مبالغة ابن حوقل فى وصف أهل الأندلس بالبعد عن الشجاعة ، إذ ليس من المعقول أن تصل أمة من الأمم إلى مثل هذا المستوى من التقدم والرقى الذى وصلت إليه الأندلس فى ذلك الوقت يكون أهلها على مثل هذا المستوى من البعد عن الشجاعة [٣].

بيد أن رأيه لم يظفر بالقبول من جانب الفاطميين ولهذا يمكن القول بأن نجاح الدعاية الفاطمية فى الأندلس كان محدودا ، فلم تنجح فى نشر المذهب الشيعى هناك[٤].

١- ابن حوقل، صورة الأرض ص١٠٥ .

٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١٠٧ .

٣- قام ابن سعيد بالرد على ابن حوقل واتهمه بالتعصب ، انظر (المقرى نفح الطيب، جـ١ ص١٩٧ ، طبعة القاهرة .

٤- Levi Provencal, Histoire de l'Espagne Musulmen T.2, p. 90 .

إلا أن التنظيم السرى الفاطمى كان ضعيفا ، ولم يستطع الدعاة أن يجندوا لذلك عددا كبيرا من الناس، وجرت العادة أن يستغل الدعاة سخط الناس وتردى الأوضاع الاقتصادية لتأليبهم على ولاتهم وإثارة نقمتهم فضلا عن تمكن مذهب مالك من نفوس القوم وعزوفهم عن المبادىء المنحرفة[١].

فتح أبواب المهدية والقيروان أمام اللاجئين الأندلسيين :

لم تقتصر جهود الفاطميين على بث الدعاة والعيون لنشر مذهبهم الشيعى داخل الأندلس، فقد فتحوا أبواب القيروان والمهدية فى تونس أمام اللاجئين من الأندلس ، أمثال الشاعر الألبيرى ابن هانىء[٢] الأزدى بعد طرده من الأندلس بسبب ميوله الاسماعيلية[٣] ، وقد التحق ابن هانىء بخدمة الخليفة الفاطمى المعز لدين الله (٣٤١هـ / ٩٥٢م) وصحبه إلى مصر ثم عاد إلى بلاد المغرب، لكنه توفى بها سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٤م.

ويعتبر شعر ابن هانىء فى مدح الخليفة المعز وثيقة هامة، إذ تضمنت الكثير من المبادىء الاسماعيلية[٤].

ونجح الفاطميون أيضا فى ضم القائد على بن حمدون الجذامى المعروف بابن الأندلس[٥]، واتصل بالمهدى ثم بابنه القائم (٣٢٢هـ/ ٣٣٤هـ/ ٩٣٣-٩٤٥م) وقد عهد إليه القائم ببناء

١- محمود مكى ، التشيع فى الأندلس ، ص١١٥ .

٢- وعاش محمد بن هانىء الاشبيلى (يكنى أبا القاسم وأبا محمد ، توفى ٣٦٢هـ / ٩٧٣م) حياة استهتار وكان متهما بمبدأ الفلاسفة ، ولما اشتهر عنه ذلك نقم عليه أهل أشبيلية وخرج إلى المغرب ولقى جوهر مولى المنصور الفاطمى فامتدحه ، ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابنا على بن حمدون ، وكانا بالمسيلة ، وهى مدينة الزاب، وكان واليها مبالغا فى اكرامه والاحسان إليه، ثم توجه المعز إلى الديار المصرية فشيعه ابن هانىء ، ورجع إلى المغرب لأخذ عائلته واللحاق به ولكنه لقى حتفه عند برقة على صورة غامضة ، انخل (جنثالث بالنثيا) تاريخ الفكر الأندلسى، ترجمة حسين مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥ ص٦٤ .

٣- الحميدى ، جذوة المقتبس ، فى ذكر ولاة الأندلس رقم ١٥٧ ص٩٦ .

٤- ابن خلكان ، وفيات الأعيان جـ٤ ص٤٢٢ ، ديوان ابن هانىء ص٧٢٢ .

٥- دخل جده الأكبر عبد الحميد إلى الأندلس من الشام، ونزل بكورة البيرة، ثم انتقل حفيده حمدون إلى=

مدينة المسيلة[١] وهى التى سميت بعد ذلك بالحمدية ثم عقد له على ولاية الزاب[٢] جنوب المغرب الأوسط.

تشجيع الثوار فى الأندلس ومساندتهم :

كما أخذ الفاطميون أيضا فى إثارة أهل الأندلس وتأييد الذين ثاروا فى وجه بنى أمية فأيدوا الثائر الأندلسى عمرو بن حفصون [٣]، إذ أمده الخليفة عبيدالله المهدى (٢٩٧-٣٢٢هـ/ ٩٠٩-٩٣٢م) بالهدايا والذخيرة والأسلحة [٤].

الصراع بين الفاطميين والأمويين على أرض المغرب الأقصى

أخذ كل من الفاطميين والأمويين يتتبع فى اهتمام شديد الأحداث الجارية فى بلاد المغرب باحثين لهم عن أنصار من قبائل البربر للاستعانة بها فى بسط سيادتهم على المغرب الأقصى خاصة لأهمية هذا الإقليم لكل منهم من الناحيتين السياسية والعسكرية، إذ تعتبر هذه البلاد عمقا هجوميا هاما لكل من الطرفين ، وربما كان الأمويون أكثر اهتماما بهذا الأمر لوقف الزحف الفاطمى المتجه غربا خصوصا حين لاحت نذر الخطر الفاطمى بمحاولتهم الدعوة لمذهبهم

= بجاية فى الجزائر . وهناك انضم هو وولده على إلى حركة ابى عبدالله الشيعى الداعى ودخلا فى مذهبه. لما تغلب الشيعى على المغرب ظهر على بن حمدون ثم ازداد ظهوره أيام المهدى، وابنه القائم انظر (ابن عذارى البيان جـ٢ ص٢٤٢، ص٢٤٣، ابن الخطيب أعمال الأعلام ص٤٢ ، عنان، دولة الإسلام فى الأندلس جـ٢ ص٤٤٩ ، ص٤٥٠ الزركلى ، خير الدين ، فهرس الأعلام جـ٢ ص١١٩ ، الحلة السيراء لابن الأبار جـ١ ص٣٠٥ ، جـ٢ ص٥٠ .

Levi Provencal, Hist. T. IV, pp. 388-389 .

١- «مدينة بالمغرب ، تسمى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد اب المهدى فى سنة ٣١٥هـ، وهو يومئذ ولى عهد أبيه (ياقوت معجم البلدان جـ٥ ص١٣٠) .

٢- الزاب «كورة عظيمة بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة بين تلمسان وسجلماسة (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص١٢٤) .

٣- ابن عذارى، البيان المغرب، جـ٢ ص٢٤٧ .

العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص٢٣٥ .

٤- ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ص٢٤٧ .

فى الأندلس ، وظهر تصميمهم على القضاء على دولة الأدارسة، وقد نجح الخليفة عبد الرحمن الناصر فى استمالة قبيلة مغراوة وبنى يفرن الزناتيين، بينما اعتمد الفاطميون على قبائل صنهاجة وكتامة مستغلين العداء الشديد والصراع القبلى القديم بين قبائل صنهاجة البرنسية وزناتة[١] البترية[٢].

والصراع بين البرانس والبتر ظهر بصورة واضحة منذ أمد بعيد، فقد حالفت زناتة البترية الفاتحين من العرب[٣] بينما حملت قبائل البرانس عبء المقاومة ضد الفتح العربى وأيدهم فى ذلك البيزنطيون[٤] الذين كانوا يحكمون بلاد المغرب منذ بداية الفتح العربى .

وعندما تم إخضاع بلاد المغرب لسلطان الخلافة الأموية فى المشرق حالفت قبائل البتر من زناتة بنى أمية [٥]، بينما تعصب الصنهاجيون للشيعة الذين أيدوا إدريس بن عبدالله وشدوا من أزره [٦]. فلاتعجب إذا كانت قبيلة صنهاجة وكتامة البرنسيتين قد انضمتا إلى الفاطميين وكانتا من أشد الناس إخلاصا لهم، فقد قامت الخلافة الفاطمية على أكتافهم ، فى حين اتجهت زناتة البترية إلى محالفة الأمويين فى الأندلس [٧].

١- يعتقد المؤرخ ابن خلدون أن البرانس والبتر «من ولد مازيغ بن كنعان الذى يرجع نسبه إلى حام بن نوح (ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص٨٩) .

٢- تعرض الدكتور حسن أحمد محمود فى كتابه قيام دولة المرابطين إلى وجود خلاف عميق الجذور بين طائفتى البتر والبرانس جعل كل طائفة منهما تقف للأخرى بالمرصاد منتظرة فرصة للانتقام ، وهو لذلك لايستبعد أن يكون «القسمان يمثلان موجتين بشريتين مختلفتين واحدة تمثل أهل البلاد بلادهم ، خصوصا إذا لاحظنا أن أغلب المؤرخين يقولون أن صنهاجة والبرنسية ، تنسب إلى حمير» (حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ص٣١ ، ص٣٢) .

٣- عبيدالله بن صالح ، نص جديد عن فتح العرب للمغرب ، نشر ليفى بروفنسال ، تعليق د. حسين مؤنس ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد، ١٩٥٤ ، ص٢١٩ ، المالكى ، رياض النفوس ص ٢٠ ، ابن عذارى ، البيان المغرب جـ١ ص٢١ ، عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ص١٣٩ .

٤- كان على رأس المناهضين للفتح العربى الثائر البربرى كسيلة (الدباغ معالم الإيمان جـ١ ص٤٢ ، المالكى، رياض النفوس ، ص٢٠ سالم المغرب الكبير ص١٤٠ .

٥- مجهول ، مفاخر البربر ص٤ .

٦- الجزنائى ، زهرة الآسى ص١٢ .

٧- حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين ص٣٢ .

وسوف نحاول فيما يلى أن نتعرض فى شىء من التفصيل لمراحل ذلك الصراع بين الفاطميين والأمويين مبينين أثره على العلاقات بين المغرب والأندلس، وسوف نبدأ بمحاولات الفاطميين غزو بلاد المغرب الأقصى تمهيدا لبسط نفوذهم على الأندلس ، ثم محاولات بنى أمية لرد هذا العدوان والتمكين لأنفسهم فى البلاد .

التوسع الفاطمى فى المغرب الأقصى

ففى سنة ٣٠٥هـ/ ٩١٧م قدم مصالة بن حبوس الكتامى ، قائد عبيد الله المهدى إلى مدينة فاس، وكان يحيى بن إدريس بن عمر بن إدريس يلى أمرها[١] (٢٩٢-٣١٠هـ/ ٩٠٤-٩٢٢م)، فخرج يحيى ومعه جموع من بربر أوربة للتصدى لمصالة بن حبوس وجيشه ، ولكنه هزم وحوصرت مدينة فاس واضطر يحيى إلى مصالحة مصالة على مال يؤديه له ومبايعة عبيدالله المهدى[٢].

عاد مصالة إلى أفريقية فى سنة ٣٠٧هـ (٩١٩م) بعد أن أقام موسى بن أبى العافية المكناسى أميرا على تسول وتازى، وترك يحيى أميرا على فاس[٣]، وكانت بين يحيى وموسى عداوة، فلما عاد مصالة إلى المغرب الأقصى ثانية سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م، سعى ابن أبى العافية بيحيى بن ادريس عند مصالة، فقبض على يحيى وكبله بالأغلال واستصفى أمواله ، ثم أبعده إلى منطقة أصيلا[٤]، وقبل عودة القائد مصالة بن حبوس إلى أفريقية ولى على فاس عاملا من قبله هو ريحان الكتامى[٥].

١- ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص٥٢ ، الجزنائى ، زهرة الآس ص٣٦ ، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣١ .

٢- ابن أبى زرع، القرطاس ص٥٢ ، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٢١١ .

٣- السلاوى، الاستقصائى أخبار المغرب الأقصى جـ١ ص١٨٣ ، ابن خلدون، العبر، جـ٤ ص٣٢ ، القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص١٨٢ .

٤- تقع مدينة أصيلة «كما يسميها ياقوت» فى بر العدوة مما يلى الغرب ويقع البحر بغربها وجنوبها، وسوقها حافلة يوم الجمعة (ياقوت معجم البلدان جـ١ ص٢١٣ .

٥- ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ص١٣٤ .

غير أن بيت الأدارسة لم يستسلم لما حل بهم ، فقد أعلن حسن بن كنون بن محمد بن القاسم بن ادريس المعروف بالحجام (٣١٠هـ - /٣١٣ ٩٢٢-٩٢٩م) الثورة على الفاطميين واستعادة فاس من واليها ريحان الكتامي[١] ، وبايعه أهلها ، وتصدى الحسن لقتال موسى بن أبى العافية أمير مكناسة[٢] ، فهزمه أول الأمر ، ثم لم يلبث أن أحرز موسى بن أبى العافية النصر على الحسن الحجام الذى عاد منهزما إلى فاس[٣] حيث غدر به عامله على عدوة القرويين حامد حمدان الهمذانى[٤] يقول ابن الخطيب ، والحسن هو الملقب بالحجام ... فملك المدينة ونفى عنها ريحان الكتامى واستقام أمره ونشأت بينهم وبين موسى بن أبى العافية الوحشة فأوقع الحسن الحجام وقيعة كبيرة ، وقفل إلى فاس منفردا عن جيشه ... عازما على العودة فغدر به عامله حامد بن حمدان ، فقيده، وسد أبواب المدينة عن العسكر وبعث إلى موسى بن أبى العافية يستحثه فى المبادرة إلى فاس ، فأسرع نحوه وتغلب على المدينة[٥] «ففر الحسن بن كنون إلى عدوة الأندلسيين حيث مات بها سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م» . أما حامد بن حمدان فقد عاد إلى المهدية[٦].

تمكن موسى بن أبى العافية من الاستيلاء على عدوة الأندلس وقتل عبدالله بن ثعلبة بن محارب وابنه محمدا ويوسف، وانقرضت بذلك دولة الأدارسة فى المغرب الأقصى، وخضعت تلك البلاد إلى موسى بن أبى العافية الذى عمل على الانتقام من الأدارسة وأجلاهم إلى مدينة حجر النسر[٧].

١- ابن أبى زرع، روض القرطاس ، ص٥٤ ، البكرى، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص١٢٧ .

٢- مدينة بالمغرب فى بلاد البربر على البر الأعظم ، ومنها إلى فاس مرحلة واحدة (وياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص١٨١) .

٣- ابن عذارى، البيان جـ١ ص٢٠٣ ، ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص٥٤ .

٤- ابن خلدون ، العبر جـ٦ ، ص١٣٤ ، ابن عذارى، البيان المغرب جـ١ ص٢٠٣ .

٥- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٢١١ ، ص٢١٢ .

٦- ابن عذارى ، البيان ، المغرب جـ١ ص٢٠٣ ، البكرى، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص١٢٧، ابن خلدوم ، العبر جـ٤ ص٣٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٢١١ .

٧- ابن أبى زرع، ، الروض القرطاس ، ص٥٤ ، ٥٥ ، ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص١٣٤ .

كانت محاولات الفاطميين المتكررة لبسط سلطانهم على المغرب سببا فى أن جعلت الأمويين فى الأندلس يشعرون بالخطر إزاء هذا الزحف الفاطمى، فلم يجد الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (٣٠٠-٣٥٠هـ/ ٩١٢-٩٦١م) بدأ من أن يؤيد الأمراء المغاربة الخارجين على الفاطميين فوجد فى قبيلة زناتة البترية حليفا يقف فى وجه الفاطميين . ولم تلبث زناتة البترية أن أقبلت على الدعوة الأموية وأيدت الخليفة عبد الرحمن الثالث فدخلت قبيلة مغراوة من يفرن (افرن) الزناتيين وعلى رأسهم محمد بن[1] خزر أمير مغراوة فى طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر.

وهنا أدرك الخليفة الفاطمى عبيدالله المهدى، خطورة السياسة التى ينتهجها الخليفة عبد الرحمن ، فأمر قائده مصالة بن حبوس صاحب تاهرت[2] بمحاربة الزناتيين، سنة ٣١٢هـ/ ٩٢٤م.

فخرج مصالة من تاهرت إلى قبائل زناتة الضاربة من وادى شلف حتى تلمسان[3] ، حيث اصطدم بقوات ابن خزر فى معركة انتهت بمقتل مصالة وانهزام جيشه فى ٢٠ من شعبان ٣١٢هـ/ ٩٢٤م[4] وتمكن ابن خزر من الاستيلاء على إقليم الزاب، وشعر موسى بن أبى العافية أمير مكناسة بحرج مركزه فنقض طاعة الفاطميين ودخل فى طاعة الخليفة عبد الرحمن الناصر ودعا له على منابر بلاده[5] سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م) . يقول ابن عذارى أنه «فى هذه السنة كاتب موسى بن أبى العافية الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله صاحب الأندلس، ورغب فى موالاته والدخول فى طاعته ، وأن يستميل له أهواء أهل العدوة المجاورين له»[6].

١- هو محمد بن الخير من أمراء زناتة من بنى يفرن واحد دعاة بنى أمية فى الشمال الافريقى أنظر (ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٤٣) .

٢- بفتح الهاء، وسكون الراء ... بينها وبين المسيلة ست مراحل وهى بين تلمسان وقلعة بنى حماد (ياقوت ، معجم البلدان جـ٢ ص٧) .

٣- تقع تلمسان «فى المغرب الأوسط ومنها إلى وهران مرحلة» (ياقوت معجم البلدان جـ٢ ص٤٤) .

٤- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص١٩٧ .

٥- ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص٥٦ ، ابن عذارى، البيان المغرب جـ٢ ص٢٠٤ .

٦- ابن عذارى ، البيان المغرب، جـ١ ص١٩٩ .

ولما بلغ الخليفة الفاطمى عبيدالله المهدى نبأ خروج موسى بن أبى العافية، سيّر إليه القائد حميد بن يعلى المكناسى ، صاحب تاهرت فى عشرة آلاف فارس، فتقدم حميد فى سنة ٣٢١هـ (٩٣٣م) إلى المغرب ومعه حامد بن حمدان الهمذانى، فلما علم مدين بن موسى وكان والده قد ولاه على عدوة القرويين بقدومهما إلى فاس، فر عنها حيث لحق بأبيه فدخلها حميد واستعمل عليها حامد بن حمدان، ثم عاد إلى أفريقية[١] مرة أخرى.

ظل حامد بن حمدان الهمذانى يلى مدينة فاس من قبل الفاطميين إلى أن ثار عليه أحمد بن بكر بن عبد الرحمن بن أبى سهل الجذامى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م وذلك عقب وفاة الخليفة الفاطمى عبيدالله المهدى، فقتل حامد بن حمدان، وعادت الدعوة فى فاس باسم الخليفة عبد الرحمن الناصر[٢].

لم يرض الخليفة الفاطمى القائم (أبو القاسم محمد بن عبدالله) (٣٢٢هـ- ٣٣٠هـ/ ٩٣٣-٩٤١م) بهذا الوضع فأمرفى سنة ٣٢٣هـ/ ٩٣٤ قائده ميسور الفتى بالسير إلى المغرب، وتقدم ميسور إلى فاس وحاصرها أياما واستنزل عاملها أحمد بن بكر، فقبض عليه وبعث به إلى المهدية[٣].

بيد أن أهل فاس لم يستسلموا للقائد الفاطمى وأعلنوا الخروج على طاعة ميسور ، وقدموا عليهم حسن بن قاسم اللواتى، وبعد أن حاصرهم ميسور مدة احترم رغبة أهل فاس فأقر حسن بن قاسم اللواتى على ولايته[٤] وقبل ميسور من أهل فاس دفع الأتاوة مع البيعة لأبى القاسم الفاطمى ليتفرغ لحرب ابن أبى العافية[٥].

تتبع ميسور خصمه ابن أبى العافية ونشبت بين الطرفين معارك عدة أسفرت عن انتصار ميسور على موسى بن أبى العافية وإجلائه عن الأعمال التى بيده فى المغرب[٦].

١- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام، ابن خلدون ، العبر جـ١ ص١٣٥ .

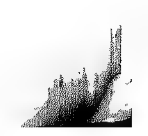
٢- ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص١٣٥ ، ص١٣٦ ، ابن زرع ، روض القرطاس ، ص٥٥ ، ص٥٦ .

٣- السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٨٢ ، ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص١٣٥ .

٤- القلقشندى ، صبح الأعشى جـ٥ ص١٨٤ .

٥- البكرى، المغرب ص١٢٨ ، ابن الخطيب، أعمال الاعلام جـ٢ قسم ٣ ص٢١٦ .

٦- ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص٥٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٢١٦ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ، ص٢٠٩ .



غير أن الأمور لم تنته عند هذا الحد من التحدى بين الطرفين الفاطميين وحلفائهم من قبل صنهاجة وكتامة البرنسية من ناحية والأمويين وحلفائهم من زناتة ومغراوة وبنى افرن البترية من ناحية أخرى .

فقد عاد ميسور إلى بلاد المغرب سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م وعاد أيضا موسى بن أبى العافية إلى أعماله فى بلاد المغرب، ثم اتبع ذلك بالاستيلاء على تلمسان بعد أن فر عنها واليها ابن أبى العيش[١] وذلك بفضل مدد أرسله الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى موسى بن أبى العافية، واستفحل أمر ابن أبى العافية واتصل عمله بعمل محمد بن خرز ملك مغراوة وصاحب المغرب الأوسط حيث بثوا دعوة الأمويين فى بلادهم [٢].

أما فاس ، فقد عادت إلى حوزة الأمويين وظل حسن اللواتى عاملا عليها إلى أن قدم أحمد بن بكر الجزامى من المهدية، فتخلى له عن الولاية سنة ٣٤١هـ/ ٩٥٢م [٣]ثم ولى عليها محمد بن الخير المغراوى الذى ظل يليها من قبل الخليفة عبد الرحمن الناصر ، ثم خلفه ابن عمه أحمد بن بكر بن عثمان بن سعيد الزناتى[٤].

العلاقات فى عهد المعز لدين الله

وفى عهد المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١هـ/ ٣٦٥هـ- ٩٥٢-٩٧٥م) تطورت العلاقات بين المغرب والأندلس تطورا كبيرا، واتخذ العداء بين الخلافتين الفاطمية فى المغرب والأموية فى الأندلس - مظهرا قويا، فقد قام الخليفة المعز بإعداد حملة كبيرة جعل قيادتها لجوهر الصقلى، وقد تجمع لجوهر جيش ضخم من بربر كتامة وصنهاجة للثأر من الثوار الذين نقضوا دعوة الشيعة، وانضموا إلى الأمويين فى الأندلس ، وإعادة النفوذ الفاطمى على بلاد المغرب يقول

١- هو الحسن بن عيسى بن أبى العيش أحد الأمراء الأدارسة .

٢- ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ص١٣٦ .

٣- البكرى ، المغرب ص١٢٨ ، السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٨٢ .

٤- الجزنائى زهرة الآس فى بناء مدينة فاس ص٣٦ وأحمد بن بكر بن عثمان بن سعيد الزناتى هو الذى بنى صومعة جامع القرويين فى فاس سنة ٣٤٤هـ (الجزنائى زهرة الآس ص٣٦ ، السلاوى، الاستقصا ص١٩٧ .

السلاوى «ولما اتصل بخليفة الشيعة وهو المعز لدين الله معد بن اسماعيل العبيدى ، غلبة الناصر على بلاد العدوة وأن جميع من بها من قبائل زناتة والبربر رفضوا دعوتهم ودخلوا فى دعوة بنى أمية ، عظم الأمر عليه، وبعث قائده جوهر الصقلى بن عبدالله الرومى المعروف بالكاتب فى جيش كثيف يشتمل على عشرين ألف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة وأمره أن يطأ بلاد المغرب، ويذللها ويستنزل من بها من الثوار ويشدد وطأته عليهم فخرج من القيروان سنة سبع وأربعين وثلاثمائة يؤم بلاد المغرب»[١].

نجح جوهر فى تحقيق رغبة الخليفة فأخضع القبائل الضاربة فى جبال أطلس حتى المحيط الأطلنطى[٢] والتقت جيوشه عند تاهرت بجيش ابن محمد اليفرنى صاحب طنجة ونائب الخليفة عبد الرحمن الناصر فى حكم بلاد العدوة[٣] حيث نشبت بين الطرفين معركة انتهت بانتصار جوهر وقواته من بربر كتامة وصنهاجة على عامل الأمويين الذى قتل ، وقد أدت هزيمة بنى يفرن وزناتة وقتل أميرهم، إلى تفرقهم وتشتيت شملهم .

ثم تقدم جوهر لمحاصرة فاس ولما استعصت عليه تركها إلى سجلماسة ، والمعروف أن سجلماسة كان يليها محمد بن الفتح بن ميمون بن مدرار المعروف بالشاكر بالله وهو الذى قطع الدعوة للفاطميين ودعا لنفسه وتسمى بأمير المؤمنين وتلقب بالشاكر بالله[٤] واتخذ السكة باسمه[٥].

وبعد استيلاء جوهر على سجلماسة[٦] عاد إلى فاس وتمكن زيرى بن عطية بن مناد

١- السلاوى، الاستقصا، جـ١ ص٨٦ .

٢- مؤلف مجهول ، مفاخر البربر جـ١ ص٨٦ .

٣- السلاوى ، الاستقصا جـ١ ص٧٦ .

٤- ابن خلدون ، العبر ، جـ٦ ص٢٧٠ .

٥- ابن الخطيب، أعمال الاعلام ص١٤٨ .

C/ O Miles G.C.: The Coinage of the the Umayyads of Spain pp. 49-50 .

٦- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٢٢٢ «ضرب المعز لدين الله عملة نقش عليها اسمه تخليدا لذكرى استيلاء الفاطميين على سجلماسة: المجالس والمسايرات مخطوط جـ١ ورقة ٣٢٧، ٣٣٨ ، سرور الدولة الفاطمية فى مصر ص٣١ ،ص٣٢) .

الصنهاجى من افتتاحها بعد أن أحكم عليها الحصار سنة ٣٤٨هـ/ ٩٥٩م [١]. ونجح جوهر فى إخضاع القبائل الخاضعة لسلطان الأمويين فى المغرب الأقصى وبذا استرد الفاطميون جميع المدن الواقعة فى المغرب الأقصى مثل فاس وسجلماسة وغيرها حتى المحيط الأطلسى ، وذلك باستثناء القاعدتين الأمويتين سبتة وطنجة . فقد حرص الأمويون على التمسك بها نظرا لأهميتهما الاستراتيجية ضد أى هجوم محتمل عليهما من قبل الفاطميين، وظلت هاتان القاعدتان شوكة فى جنب الدولة الفاطمية ومصدرا للاضطرابات والفتن ضد سيادتها على المغرب الأقصى.

رد الفعل الأموى ضد مطامع الفاطميين فى بلاد المغرب والأندلس

تتبع الخليفة عبد الرحمن الناصر فى تيقظ وانتباه شديد المحاولات المتكررة من جانب الفاطميين لنشر دعوتهم فى الأندلس.

وبدأ الخليفة عبد الرحمن الفاطميين بنفس الطريقة التى اتبعها الفاطميون إزاء الأمويين فى الأندلس. فقام ببث العيون فى أنحاء المغرب وكان هؤلاء يوافون حكومته فى قرطبة بأخبار هذه البلاد.

ومن الدعاة الذين استخدمهم الأمويون فى الأندلس أيضا : رجل سكن مدينة المسيلة يدعى عثمان بن أمية [٣]، يذكره جوزر كاتب الخليفة الفاطمى المعز لدين الله بقوله : «أنه يكاتب بنى أمية، وأنهم يرعون زمامه هناك ويقضون حوائجه ، وأنه يقدح فى الدولة ... فرفع الأستاذ جوزر ما اتصل به من ذلك لأمير المؤمنين صلوات الله عليه ... فلما وقف الخليفة الفاطمى المعز لدين الله على ذلك أرسل إلى جوزر » ما نصه :

« ياجوزر ، المتفضل علينا بما تفضل يكفينا ما نحذره ظاهرا وباطنا ويجازينا بما يعلمه منا ويجازى كل امرىء بما يعتقده لنا، والذى يجعلنا نتزيد فى الصبر بصيرة علمنا بما عليه أكثر

١- ابن الأثير جـ٦ ص٣٥٤، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٥٧ .

٢- السلاوى، الاستقصا ، جـ١ ص٨٢ ، حسن ابراهيم حسن عبيدالله المهدى، ص١٩٨، ص١٩٩، المعز لدين الله ص٣٤، ٣٦ .

H. Terrasse Hist. du Maroc T.I pp. 135-208 .

٣- سيرة الأستاذ جوزر ص١٢٣ حاشية رقم ٦٠ .

الناس من الكيد والحسد والبغض وإن جاريناهم خشينا من آثامهم ، لكنا نجتهد فى صلاح من استطعنا صلاحه فإن تم لنا ما نريده كان لنا أجر ذلك وفخره ، وإن لم يتم كان ثم الهلاك على نفسه كما وصف الله عن وليه من بنى آدم «فعاقبة الصبر لنا محمودة بفضل الله وهذا الرجل الذى ذكرت يوصف لنا مثل ما بلغك، ويقال إن له من جعفر أوكد حرمة وأن ابن رماحة لايقف له فى حاجة ويعنى بأسبابه ورباعه وأملاكه العناية الوكيدة ، فاكتب أنت إلى جعفر كأنك تسأله عن أمره وخبره ، وإن ذلك من الوقيعة فيه من غير أن تشرح له ما الذى بلغك ليذكر لك هو صورة أمره عنده فتستدل بقوله على ما عنده إن شاء الله»[١].

كما كان للجاليات الأندلسية التى استوطنت بلاد المغرب ، الفضل الكبير فى تزويد الحكومة الأندلسية بمعلومات عن بلاد المغرب والفاطميين[٢] بصفة خاصة- وكانت هذه الجاليات شديدة التمسك بالعقيدة السنية شديدة الكراهية للمذهب الشيعى[٣] .

ومن هؤلاء ، أبو جعفر محمد بن خيرون الأندلسى المعافرى[٤]، صاحب المسجد الشريف الذى أسسه فى القيروان، وقد قتله المروزى قاضى الشيعة[٥] ومحمد الشذونى وأبو على حسن بن مفرج الفقيه، فقد أمر الخليفة عبيدالله المهدى بالله بقتلهما بعد أن ثبتت ميولهما السنية[٦].

١- سيرة الأستاذ جوزر ص١٢٣ ، ص١٢٤ حاشية رقم ٦٠ .

٢- Hassan Ibrahim The Relations Between... p. 72 .

٣- أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص١٩٨، سالم ، المغرب الكبير، العصر الإسلامى ص٦١٠ كانت توجد جاليات أندلسية كبيرة انتشرت على طول الساحل الأفريقى مثل بونة وتنسى ووهران التى أسسها محمد بن ابى عون بن عبدوس وجماعة من الأندلسيين انظر (البكرى، المغرب ، ص٥٥، ص٦٥ ، ص٨٢) .

٤- ابن عذارى، البيان جـ١ ص١٦٩ .

٥- ابن عذارى، البيان جـ١ ص١٦٩ .

٦- ابن عذارى، البيان جـ١ ص١٨٧ .

مقاومة المالكية للفاطميين فى بلاد المغرب

كما وقف الفقهاء الأندلسيون وقفة قوية أمام تيار المذهب الشيعى القادم من بلاد المغرب، وحاربوا تلك الدعوة وحملوا لواء المعارضة ضد الفاطميين فى بلاد المغرب، ومن هؤلاء الفقيه القرطبى يحيى بن عمر (ت ٣٨٩هـ/ ٩٠١)[١] الذى استوطن القيروان وكان سنيا شديد الحملة على أهل البدع، كان هذا الفقيه دائم الفخر بأنه أموى الولاء والمنزع[٢].

وليس أدل على تلك المقاومة السنية من جانب فقهاء المالكية للدعوة الشيعية فى بلاد المغرب من ذلك النص الذى أورده المالكى فى كتابه رياض النفوس تعقيبا على احتلال عبيدالله المهدى لأفريقية ، إذ يقول أن فقيها مالكيا يدعى جبلة ترك رباطه بقصر الطوب، وأقام فى مدينة القيروان ، فقيل له « أصلحك الله، كنت بقصر الطوب تحرس المسلحة وترابط، فتركت الرباط والحرس، ورجعت إلى هاهنا، «فقال : «كنا نحرس عدوا بيننا وبينه البحر فتركناه وأقبلنا نحرس الذى قد حل بساحتنا ، لأنه أشد علينا من الروم» .[٣]

استقبال الأندلس للاجئين السياسيين واستمالة قواد الفاطميين

وقد فتحت الأندلس بالمقابل أبوابها لأعداء الفاطميين فى بلاد المغرب ومن هؤلاء اللاجئين ابن الخزاز المليلى الذى عمل قاضيا بمليلة ، فلجأ إلى قرطبة سنة (٣٢٥هـ/ ٩٣٦م) خوفا من الفاطميين ، وقد توفى بمليلة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة[٤] ، كما لجأ إلى الأندلس أيضا حكم بن محمد القيروانى القرشى الذى سجنه عبيدالله المهدى بسبب مهاجمته للفاطميين.

يقول ابن الفرضى «ثم امتحن مع عبيد الله الشيعى بأن سجنه من أجل صلابة كانت فى السنة وإنكار شديد على أهل البدع»[٥] . «توفى سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م»[٦].

١- الحميدى، جذوة المقتبس ، ترجمة ٩٠٠ ص٣٧٧ .

٢- محمود ، على مكى، التشيع فى الأندلس ص١٢٢ .

٣- أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ص١٩٨ ، المأخوذة من الجزء الثانى من كتاب رياض النفوس للمالكى، لم ينشر بعد «نقل هذا النص عن معجم دوزى باسم R. Dozy Supplements dux Dictionnaires Arabes I. p. 269 .

٤- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ص٦١ .

٥- ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس ص١٢١ .

٦- المصدر السابق ص١١٧ .

كما وفد على قرطبة أيضا أبناء سعيد بن صالح أمير نكور[١] ، وقد لجأوا إلى الأندلس بعد أن دخلها ابن حبوس قائد الفاطميين وقتل أميرها سعيد بن صالح فى ٣ من محرم ٣٠٥هـ/ ٩١٧م [٢]، ويذكر ليفى بروفنسال أن احتفال عبد الرحمن الناصر ببنى صالح أمراء نكور يعتبر أول تدخل مباشر من جهة الأمويين فى شئون المغرب[٣]. حيث قام الناصر بإرسال الهدايا والأخبية والآلات والطبول[٤] لبنى صالح.

كما أخذ الخليفة عبد الرحمن الناصر على عاتقه إثارة قواد الفاطميين أمثال حميد بن يصال، صاحب تاهرت الذى دخل فى طاعة الخليفة الناصر وذهب إلى قرطبة فاستقبله الناصر أحسن استقبال[٥] ، كما استقبل يعلى بن محمد الزناتى وبذلك صارت قرطبة فى عهد الناصر مركزا للكيد والتآمر على الدولة الفاطمية[٦].

١- نكور مدينة فى ريف المغرب الأقصى فى المنطقة المعروفة باسم Mazama اتخذها الصنهاجيون عاصمة لهم واستولى عليها مصالة بن حبوس القائد الفاطمى سنة ٣٠٨هـ (سرور الدولة الفاطمية فى مصر ص٢٦ ، صابر دياب، سياسة الدولة الإسلامية ص١١١) عاشت نكور بعد ذلك مدة طويلة إلى أن افتتحها عاهل المرابطين يوسف بن تاشفين وخربها سنة ٥٤٨هـ . مدينة نكور وإن كانت قد اندرست ، إلا أنه لايزال يوجد بعض أعمالها وموانيها مثل ثغر المزمة الذى حرفه الأسبان إلى Alhucemas (البكرى ، المغرب ص٩٤، ص٩٦، ابن عذارى، البيان جـ١ ص١٧٦، ص١٩٦، أحمد المكناس : المدن المندرسة فى شمال المغرب ص٤ .

Levi Provencal, La politica , africana p. 362 .

٢- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٢٥٢ .

٣- Levi Provencal- Histoire de l'Espagne TII p. 93 .

٤- ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٢٤٥ .

٥- ابن عذارى ، البيان ج٢ ص٣١٢ ط بيروت ١٩٥٠ .

٦- حسن ابراهيم حسن، عبيدالله المهدى، ص٢٣٤، ص٢٣٥ ، سالم تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص٢٨٨، صابر دياب ، سياسة الدول الإسلامية .

تأييد الثائرين على الفاطميين فى بلاد المغرب :

وعمل الخليفة عبد الرحمن الناصر أيضا على تشجيع الثورات والحركات المعادية للدولة الفاطمية وتأييدها ومن أهمها ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد الزناتى الخارجى[١]، فقد أمده الناصر بالمساعدات المالية والعسكرية اللازمة ، وقد دعا هذا الثائر للخليفة عبد الرحمن الناصر على منابر البلاد التى خضعت لسلطانه[٢]، وقد أرسل أبو يزيد إلى الناصر وفدا يخبره بتغلبه على رقادة والقيروان وما جاورهما، وقد نجح الخليفة عبد الرحمن الناصر فى استمالة القبائل المغربية من زناتة ومغراوة، فعمل على تحريضها بقتال قبائل صنهاجة حلفاء الفاطميين فى بلاد المغرب، وفى ذلك يقول المؤلف المجهول صاحب مفاخر البربر «وتخطاهم عبد الرحمن إلى من سكن خلفهم من زعماء قبائل البربر، يستأنفهم ، ويحمل أهل الطاعة على أهل المعصية ، منهم مددا لن يعجز برجاله ، مقويا لمن ضعف بماله، متعهدا بوجوه رسله وخواصه ، إلى أن تميز أكثر بوادى زناته فى حزبه، وارتسعوا بطاعته ولاسيما عند امتياز أضدادهم صنهاجة فى ضرب أعدائه بنى عبيدالله ، وجرت بأسباب ذلك بين الطائفتين من أولياء الدعوتين حروب يطول القول فيها، ووقائع يبعد تقصيها ، وهلك باختلافها من ملوك الدعوتين، وزعماء الطائفتين جماعة كبيرة»[٣].

فانضم إلى جانب الخلافة الأموية فى الأندلس كل من محمد بن الخير أمير مغراوة وموسى بن أبى العافية أمير مكناسة ، وبثوا الدعوة الأموية فى بلاد المغربين الأوسط والأقصى[٤].

الصراع البحرى :

اهتم الخليفة عبد الرحمن الناصر منذ أن تولى الخلافة بإعداد أسطول بحرى كامل الإعداد

١- انظر الفصل الأول من الرسالة .

٢- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٢١٨ ، ٣٣١ ، المقريزى ، اتعاظ الحنفا ص٥٤، ص٥٥ ، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٨٤ .

٣- مفاخر البربر ص٤ .

٤- ابن أبى زرع الأنيس المطرب ص٥٦، ابن عذارى، البيان المغرب جـ١ ص٢١٧، جـ٢ ص٣٠٦ ، ٣٠٧

والتنسيق [١]، فأصدر أوامره إلى جميع دور الصناعة بإنشاء مراكب كبيرة الحجم[٢] تساعده فى صد أى عدوان يقع على البلاد، فقام ببناء دار لصناعة السفن فى الجزيرة الخضراء[٣]، كما قام ببناء قصر فى طريف[٤].

وقد استطاع هذا الأسطول أن يقطع المؤن التى بعث بها الخليفة عبيدالله المهدى على ظهر المراكب إلى الثائر الأندلسى عمرو بن حفصون وذلك سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م[٥].

كما نجح أيضا فى السيطرة على ساحل العدوة المغربية، وذلك ليضمن عدم وقوع أى هجوم عليه من جانب الفاطميين فى بلاد المغرب، فاستولى على طنجة ومليلة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م[٦] ثم عهد إلى القائد فرج بن غفير[٧] بالاستيلاء على سبتة[٨] وتمكنت قواته من انتزاعها من يد الرضى بن عصام ٣١٩هـ/ ٩٣١م والقائمين بالدعوة الأدريسية[٩]. ويقول ابن عذارى: «وشكها بالرجال وأتقنها بالبنيان وبنى سورها بالكذان، وألزم فيها من رضيه من قواده وأجناده، وصارت مفتاحا للغرب والعدوة من الأندلس، وبابا إليها، كما هى الجزيرة

١- أرشيبالد لويس، القوى البحرية ص٢٣٦.

٢- Conde : Hist. of the dominations V. I, p. 371 .

٣- الحميدى، الروض المعطار ص٧٣ ، ٧٤ .

٤- Terrasse : Histoire du Morco, T. I p. 135 .

٥- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٤٧ ، أحمد العبادى، عبد العزيز سالم، تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ص٦٤ ، ابن خلدون، العبر جـ٤ ص٣٣ .

٦- محمد بن تاويت، بين أمويى الاندلس والادارسة ص١٨٥، حسن ابراهيم حسن وطه شرف، المعز لدين الله ص٣٩ .

٧- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٠٧ .

Levi Provencal, T III, p. 96 .

٨- ابن عذارى، البيان المغرب جـ٢ ص٣٠٧ .

٩- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٠٤ ، ٣٠٧ ، السلاوى، الاستقصا جـ١ ص١٧١ البكرى، المغرب ص١٠٤ ، المقرى، أزهار الرياض جـ٢ ص٢٥٧ ، أرشيبالد لويس، القوى البحرية ص٢٣٦ ، محمد بن تاويت، بين أمويى الاندلس والأدارسة ص١٨٥، أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص٢٠٢ .

وطريف مفتاح الأندلس من العدوة المغربية ، وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين لثلاث خلون لربيع الأول من العام المؤرخ» [١]، ثم سار الأسطول فى ٣٢٠هـ/ ٩٢٢م إلى ناحية تلمسان فى المغرب الأوسط حيث ضرب حصارا شديدا حول جزيرة أرشقول التى تحصن بها أحد أمراء الأدارسة وهو الحسن بن عيسى بن أبى العيش، فحاصرها الأسطول الأندلسى مدة ولكنها امتنعت عليه لحصانتها ، فعاد الأسطول إلى المرية[٣].

وفى عهد المعز لدين الله الفاطمى (٣٤١-٣٦٥هـ/ ٩٥٢-٩٧٥م) اتخذ العداء بين الخلافتين مظهرا قويا، فبعد تقلد المعز لدين الله الخلافة بنحو سنتين (٣٤٣هـ/ ٩٥٤م) توالت ضربات الأسطول الأندلسى على ممتلكات الفاطميين فى المغرب ففى سنة (٣٤٤هـ/ ٩٥٥م) أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر بعمل مركب كبير بدار الصناعة بالمرية وسير أمتعة إلى بلاد المشرق ، فلقى فى البحر مركبا يحمل رسولا من صاحب صقلية إلى المعز لدين الله، فقام رجال المركب الأندلسى بالهجوم عليه والاستيلاء على ما فيه، فما كان من المعز لدين الله إلا أن قام بتدبير هجوم أشد وأعنف ، فقام الأسطول الفاطمى بقيادة صاحب صقلية الحسين بن على بالهجوم على شواطىء الأندلس ٣٤٤هـ [٤]، فوصلت هذه الحملة إلى مدينة المرية ونهبتها واستولت على غنائم كثيرة وعدد كبير من الأسرى بعد أن عاثوا فيها فسادا ثم عادت الحملة إلى المهدية[٥].

١- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٠٤ ، ٣٠٧ ، السلاوى ، الاستقصا جـ١ ص١٧١ البكرى، المغرب ص١٠٤ ، المقرى، أزهار الرياض جـ٢ ص٢٥٧ ، أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ص٢٣٦، محمد بن تاويت، بين أمويى الاندلس والأدارسة ص١٨٥ ، أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص٢٠٢ .

٢- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٣٠٧ .

٣- البكرى المغرب ص٧٧ ، ٧٨ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٠٧ ، ٣٠٨ .

٤- النعمان ، المجالس والمسايرات ، مخطوط جـ١ ص٢٢٥ نسخه مصورة جامعة القاهرة ٢٦٠٦٠ ، ميشيل أماري المكتبه العربية الصقلية ص٣١٢ ، ابن الأثير الكامل جـ٦ ص٣٤١، أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر بيروت جـ٣ ص١٢٧ .

٥- النعمان ، المخطوط السابق جـ٢ ص٢٦٤ ، ٢٦٧ ، جمال سرور ، سياسة الفاطميين الخارجية ص٢٢٢، صابر دياب، سياسة الدول الإسلامية ص١١٧ .

ويصف النعمان ذلك الهجوم بقوله : «وجاء الحسن بن على فى مراكبه وكانت قليلة العدد فى طلب مركب واحد، فوهب الله لوليه الظفر واستولى على أساطيل الأموى، فأضرمها نارا وغادرها بأسرها رمادا... ثم انصرفوا سالمين غانمين .. وحل بالأموى الداهية واضطربت عليه البلد وخاف خوفا شديدا »[١] ولقد كان رد عبدالرحمن الناصر على هذا الاعتداء أن أمر قائد البحر غالب بالإبحار تجاه سواحل أفريقية والإغارة عليها [٢].

لكن الخليفة عبد الرحمن الناصر حاول مواجهة الأخطار التى هددت بلاده من الفرنجة ونصارى الشمال فى أسبانيا ، فسعى إلى مهادنة المعز لدين الله الفاطمى فأنفذ بعض رسله إليه لمهادنته [٣]، حتى يتفرغ لمحاربة نصارى الشمال من ناحية والفاطميين فى بلاد المغرب من ناحية أخرى حتى إذا ما فرغ من عدوه فى الشمال تفرغ لمحاربة الفاطميين فى الجنوب، فقد كان عبد الرحمن الناصر يهدف من وراء طلب الهدنة هذه إلى كسب الوقت حتى يتم استعداده ويقضى على الصعاب التى تواجهه. فأرسل لذلك الغرض رسولا من قبله «يطلب الموادعة والصلح»[٤]، بيد أن المعز رفض تلك الهدنة على الرغم من المحاولات المتكررة من جانب الخليفة عبد الرحمن الناصر فى طلب الهدنة وعقد الصلح، فقد أدرك المعز نوايا الخليفة عبد الرحمن الناصر[٥].

وفى سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م استكمل الخليفة عبد الرحمن الناصر عدته لمحاربة الفاطميين فسير حملة بحرية كبيرة بقيادة أمير البحر غالب فهاجم الأسطول الأندلسى مرسى الخرز، ومدينة سوسة[٦] ، وفى هذه الموقعة أحرز الأسطول الأندلسى نصرا عظيما على الفاطميين.

١- النعمان، نفس المخطوط جـ١ ص٢٣٥ ، ٢٣٦ .

٢- أمارى ، المكتبة العربية الصقلية ص٣١٢، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣١٨ ، ط١ بيروت .

Levi Provencal Histoire de l'Espagne Musl T. II, 1950, p. 108 .

٣- سرور ، سياسة الفاطميين ص٢٢١ .

٤- النعمان ، نفس المخطوط جـ١ ص٢٣٠ ، ٢٣٣ .

.Hassan Ibrahim, The Relations... p. 60 .

٥- النعمان ، نفس المخطوط جـ١ ص٢٣٨، ٢٠٦،٦٠٠ .

٦- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٣١٨ ، أرشيبالد لويس، القوى البحرية ص٢٣٧ ، احمد مختار العبادى، عبد العزيز سالم تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام ص٦٤ .

وفى سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م جرد الخليفة عبد الرحمن الناصر حملة بحرية أخرى تحت قيادة القائد أحمد بن يعلى لغزو السواحل الأفريقية[١] ، وعبرت تلك الحملة البحر عن طريق سبتة إلى بلاد المغرب ولبثت هناك مدة حتى أرغمت الفاطميين على الارتداد إلى أفريقية ، ويقول ابن عذارى : «وفى سنة ٣٤٧هـ، فى أول المحرم، أمر الناصر ، صاحب الشرطة القائد أحمد بن يعلى بالخروج غازيا فى الأسطول إلى بلد الشيعى معد بن اسماعيل (المعز) صاحب أفريقية ، فبرز ابن يعلى إلى محلة الربض لغزواته هذه، يوم الخميس لثمان خلون منه، وكان بروزه فخما خرج إليه من النظارة من أهل قرطبة رجالهم ونساؤهم وولدانهم، خلق لايحصيهم إلا خالقهم، فانتشروا بأكناف الربض على عاداتهم ، فأخذ السفلة منهم والغوغاء ، يتقاذفون بالحجارة حاكين صفى القتال... »[٢].

الحكم المستنصر :

تولى الخليفة المستنصر الخلافة بعد وفاة والده عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م وسار الخليفة الحكم على نفس نهج أبيه سواء فى السياسة الداخلية أو الخارجية ، هذا وقد تمتعت الخلافة الأموية فى الأندلس فى عهده بالاستقرار والأمن والسلم، وبدأت ترنو ببصرها إلى بلاد المغرب ففرضت سيطرتها على تلك البلاد من جديد[٣]، وقد سبق أن أشرنا إلى غزو الخليفة عبد الرحمن الناصر لبلاد المغرب وسيطرة الأمويين على ثغرى سبته وطنجة وعبور الجيوش الأموية إلى بلاد المغرب لمقاومة جهود الفاطميين فى السيطرة على البلاد ، ومحاربة الأدارسة أمراء المغرب والقائمين بالدعوة الفاطمية، حتى أذعنوا فى النهاية إلى طلب الصلح ، واعترفوا بالسيادة الأموية ٣٢٢هـ/ ٩٣٢م على بلاد المغرب.

ومنذ ذلك الحين قامت الدعوة الأموية فى بلاد المغرب، وتقلصت دولة الأدارسة وارتدت إلى منطقة الريف ، ما بين غربى مضيق جبل طارق والمحيط ، وجعلت قاعدتها فى قلعة حجر النسر جنوبى تطوان وذلك بعد ضياع عاصمتهم فاس، إذ لم تكن بلاد المغرب فى ذلك الوقت

١- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٣٢، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٣٨ ص١٤١ ، ابن الأثير جـ٨ ص١١٩، المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٦٩ .

٢- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٣٢ .

٣- ابن حيان ، المقتبس ص١٠٢ ، ١٧٤ ، ١٧٧، السلاوى الاستقصا جـ١ ص١٨٢ ، ١٨٥ .

(٣٠٠هـ- ٤٢٢هـ) مستقلة بمعنى الكلمة، إذ كانت تنضوى تحت لواء المتغلب عليها سواء من الفاطميين أو الأمويين[١].

كان الحسن بن قنون، أو القاسم بن محمد بن القاسم بن إدريس آخر أمير إدريسى فى المغرب الأقصى (ت ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م) ولما دخل جوهر الصقلى قائد الفاطميين إلى بلاد المغرب فى أواخر ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م أعلن الحسن بن قنون الدخول فى طاعة الفاطميين ناكثا بذلك عهده للخليفة عبد الرحمن الناصر ، فلما انصرف جوهر إلى أفريقية ٣٤٩هـ/ ٩٦٠م ، عاد الحسن إلى طاعة بنى أمية، ولما توفى الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م ، أعلن الحسن طاعته لولده الحكم المستنصر ولعل تصرف الأدارسة هذا مصدره الخوف من بطش بنى أمية فى الأندلس.

غير أن الخليفة الحكم المستنصر كان لايزال يعتقد فى وجود الخطر الفاطمى، ويرى ضرورة الاحتفاظ بسيطرة الأندلس على بلاد المغرب الأقصى والأوسط[٢].

وفى سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م اجتمعت قوات بنى خزر أمراء زناتة الموالين للأمويين فى الأندلس وأعداء الشيعة فى أفريقية وصنهاجة ، مع قوات جعفر ويحيى ابنى على بن حمدون المعروف بالأندلسى[٣]. على قتال زيرى بن مناد الصنهاجى قائد الفاطميين ، ودارت بين الفريقين فى رمضان ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م عند وادى ملوية على مشارف المغرب الأقصى معركة انتهت بهزيمة الشيعة وقتل زيرى[٤]، ومعظم رجاله واستيلاء الزناتية على معسكره، يقول ابن حيان : «وفى يوم السبت لأثنى عشرة بقيت من شهر رمضان منها ورد الخبر من العدوة بقتل زيرى بن مناد الصنهاجى قائد معد بن اسماعيل الشيعى صاحب أفريقية وقائده على بلاد المغرب، قتله جعفر ويحيى ابنا على المعروف بابن الأندلسى المخالفان على معد فيمن استظهرا به عليه من زناتة المنحرفين إلى خلفاء بنى أمية بالأندلس ، وجدوه بناحية الغرب فى حرب دارت بينهما ، شهدها بنو خرز وغيرهم من رؤساء البرابر القائمين على زيرى بدعوة الحكم المستنصر بالله وعلى اسمه،

١- عبدالله عنان، دولة الاسلام فى الاندلس ص٤٩٢ .

٢- أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والادنلس ص٢٣٠ ابن حيان، المقتبس ص٣٣، ٣٦ .

٣- ابن حيان ، المقتبس ص٢٦، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٤٢ .

٤- ابن حيان ، المقتبس ص٢٦، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٤٢ .

ففتح لهم فيه أعظم فتوح ووصل على البغدادي كاتب جعفر بكتابه إلى الخليفة... وذكروا اهتياج الحرب العظيمة بين أهل الدعوتين بالعدوة»(١).

ولم يكتف الزناتيون بهذا بل احتزوا ومعهم جعفر بن يحيى أبنا على بن حمدون المعروف بالأندلس ، رأس زيرى ورؤوس عدة من أكابر صحبه وحملها جعفر ويحيى وأصحابهما إلى الأندلس وقدموها للحكم المستنصر الذى غمرهم بعطفه وصلاته (٢)، وهكذا انهار سلطان الشيعة فى المغرب.

كان لهذه النكبة التى حلت بصنهاجة وسادتهم الفاطميين أثر عميق على الخلافة الفاطمية فأمر الخليفة المعز لدين الله قائده الصنهاجى يوسف بن زيرى بن مناد المسمى بلكين (بلقين(٣) ٣٦٢هـ/ ٣٧٣هـ/ ٩٧٢-٩٨٤م) أن يسير فى جيش كبير إلى بلاد المغرب ، وفى ربيع الثانى سنة ٣٦١هـ/ ٩٧٢م أوقع الهزيمة بزناتة وأتباعها حيث كانت أعداد كبيرة منهم تسكن فى بجاية وبسكرة والمسيلة فى المغرب الأوسط. يقول ابن عذارى: «وأقام أبو الفتوح فى بلاد المغرب وهو قد ملكها وأهل سبتة منه خائفون وزناتة مشردون»(٤).

لم يتحمل زعيم زناتة وأميرها محمد بن الخير بن خزر المغراوى هذه الهزيمة التى حلت بزناتة وأتباعها ، فأقدم على الانتحار بأن اتكأ على سيفه فذبح نفسه حتى لايقع فى يد عدوه بعد أن

١- ابن حيان ، المقتبس ص٢٦ ، ٢٧ ، ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٣٦٠ .

٢- قدم إلينا ابن حيان تفاصيل زيارة جعفر ويحيى ابنا على بن حمدون إلى الأندلس برؤوس زيرى وأصحابه، وما كان من استقبال قاضى أشبيلية وصاحب السكة والمواريث فى ذلك الوقت محمد بن أبى عامر وما كان من استقبال الخليفة الحكم المستنصر لهم .. سنة ٣٦٠هـ (ابن حيان، المقتبس ص٤٤ ، ٥٣ ، ٥٧) .

٣- بلقين يوسف بن زيرى بن مناد الصنهاجى ، القائد المعروف الذى استخلفه الفاطميون على المغرب عند انتقال المعز إلى مصر وهو منشىء دولة بنى زيرى فى أفريقية (ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٢٨٨، وما بعدها، ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص٣١٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام القسم ٣ ص٦٥ أحمد بن أبى الضياف ، اتحاف أهل الزمان ، أخبار ملوك تونس وعن الأمان جـ١ ص١٢٨ ، تونس سنة ١٩٦٣) .

٤- ابن عذارى ، البيان المغرب جـ١ ص٢٣٧ «تقع مدينة البصرة فى بلاد المغرب قرب السوس بينها وبين فاس أربعة أيام » ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص٤٤٠، ابن حيان ، المقتبس ص٣٨) .

تمزقت زناتة وبسط بلكين (بلقين) سلطانه على بلاد المغرب ، وقطع الدعوة للأمويين وهدم مدينة البصرة وبذلك حقق بلقين انتقامه لمقتل أبيه[١].

لم يمض وقت طويل على هزيمة زناتة وأتباعها حتى سارع الحسن بن قنون إلى نقض طاعة الأمويين في الأندلس مرة أخرى وسارع إلى بيعة بلقين والانضواء تحت لوائه «منحرفا إلى دعوة قرينه معد بن اسماعيل صاحب افريقية المد له في الضلالة وانضوائه[٢] إليه وقطعوا الدعوة للأموية واحتلوا طنجة وتطوان وأصيلة حيث جعلوا قيادتهم في قلعة حجر النسر»[٣].

لما وقف الخليفة الحكم المستنصر على تلك الأحداث الهامة وجد الفرصة سانحة لإحكام قبضته على بلاد المغرب وخاصة بعد أن غادرها الفاطميون وأصبح الميدان خاليا أمام الأمويين لفرض سيطرتهم من جديد على البلاد.

بادر الخليفة، الحكم المستنصر بتعبئة جيش جيد الاعداد والتنظيم، لغزو بلاد المغرب ومقاتلة الثائر الحسن بن قنون وجعل قيادته للقائد محمد بن القاسم بن طلمس[٤] كما أعد الخليفة أسطولا قويا تحت قيادة قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس[٥]، فقاموا بالهجوم على طنجة التي تحصن بداخلها أمير الأدارسة الحسن بن قنون[٦] ، ولكنه لم يستطع الصمود أمام الجيوش والأساطيل الأموية[٧] وفر هاربا في خاصة من أصحابه لايلوى على شيء ولم يعرج على ما كان له ولهم بالمدينة من أموالهم وأمتعتهم [٨].

١- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٣٦٤ ، جـ١ ص٧٩ ، مؤلف مجهول «نبذة تاريخية في أخبار البربر» نشر ليفي بروفنسال الرباض ١٩٣٤ ص٦ ، ٨ .

٢- ابن عذارى ، البيان المغرب جـ٢ ص٣٦٤ .

٣- ابن أبي زرع ، روض القرطاس جـ١ ص١٣٧ .

٤- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٣٦٤ ، ابن حيان ، المقتبس ص٧٩ .

٥- كان ابن رماحس قائد القوات البحرية الأندلسية (أمير البحر) ابن خلدون ، العبر جـ١ ص٤٥٤ ، ابن حيان ، المقتبس ص٨٩ .

Levi Provencal, Histoire de l'Espagne Musulmane T. IV, p. 374 .

٦- ابن حيان ، المقتبس ص٨٩ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٦٣ ، ٣٦٤ .

٧- ابن حيان ، المقتبس ص٨٩، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٦٥ .

٨- ابن حيان ، المقتبس ص٨٩ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٦٥ .

ولم يجد أهالى طنجة بدا من التسليم [١]، فخرج شيخهم ابن الفاضل مع جماعة من وجوه طنجة وهم ينادون (الطاعة لأمير المؤمنين)[٢] ثم تقدم ابن الفاضل إلى قائد البحر ابن رماحس وطلب منه الأمان لأهل بلده ، فأعطاه إياه ودخل طنجة فى شوال سنة ٣٦١هـ (أغسطس ٩٧١م)[٣].

وفى تلك الأثناء استطاع الحسن بن قنون جمع قواته مرة أخرى حيث أعاد تنظيمها والتقى بجيش الحكم مرة ثانية فى ربيع الأول سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م فى مكان يعرف بفحص مهران، وفى هذه المعركة كان النصر من نصيب الحسن بن قنون وانهزمت القوات الأندلسية ، وقتل منها عدد كبير وعلى رأسهم القائد الأندلسى محمد بن القاسم بن طحلس[٤].

أراد الحسن بن قنون فى نفس الوقت أن يتم الصلح بينه وبين الأمويين وتبادل الرهائن لكسب المعركة كلها فى صالحه ، وبعث أمير البحر عبد الرحمن بن رماحس برغبة الحسن بن قنون إلى الخليفة الحكم غير أن الخليفة لم يقبل ذلك العرض وأرسل إلى قواده فى بلاد المغرب يوصيهم بالاستمرار فى جهاد الحسن بن قنون والعمل على معرفة أخباره وبث العيون لتتبع حركاته [٥].

وكتب الخليفة الحكم إلى قائد ثغر أصيلا عبد الرحمن بن يوسف بن أرمطيل ، ردا على ما أبداه الحسن بن قنون من رغبته فى الصلح «وكيف يذهب الآن هذا المذهب وهو فى طغيانه مستمر وفى دينه مستبصر، ولكم فى كل أيامه محارب، هذا هو الضلال ، والمحال، وسبب الخيال ، وقد رأى أمير المؤمنين تأمين جميع الناس لديه غيره، وغير من أصر أصرارا، وتمادى تماديه إلى أن يحكم الله عليه ويفتح فيه»[٦].

١- ابن حيان ، المقتبس ص٨٩ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٦٥ .

٢- ابن حيان ، المقتبس ص٨٩ ، ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٣٦٥ .

٣- ابن حيان ، المقتبس ص٨٩، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٦٥ ، أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص٢٣١ .

٤- ابن حيان ، المقتبس ص٩٦ ، مؤلف مجهول، نبذة تاريخية فى أخبار البربر ص٩،٨ .

٥- ابن حيان المقتبس ص٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٣ .

٦- ابن حيان ، المصدر السابق ص٩٧ ، ٩٨ .

وأعد الحكم جيشا سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٤م جعل قيادته لمولاه ووزيره غالب بن عبد الرحمن[١] وهيأ له العتاد الكثير والأموال العظيمة لاستمالة القبائل، وأمره أن يشتد فى قتال الأدارسة وأن يستأصل شأفتهم ، وأن يطهر المغرب من كل الأعداء المناوئين لبنى أمية [٢]، وقال له : «سر يا غالب سير من لا أذن له فى الرجوع إلا حيا منصورا ، أو ميتا مغرورا ، وأبسط يدك فى الانفاق فإن أردت نظمت للطريق بيننا قنطار مال»[٣].

وفى الحادى عشر من رمضان سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م خرج القائد غالب فى قواته من قرطبة وعبر البحر إلى الجزيرة الخضراء ، ولما علم الحسن بمقدمه غادر مدينة البصرة ، الواقعة فى الجنوب حيث كان يقيم ، ولجأ بأهله وأمواله إلى قلعة حجر النسر، الواقعة شمال مدينة البصرة، وهناك جمع قواته وخرج لقتال القائد غالب وجيشه ، وفى نفس الوقت اتجه قائد البحر عبد الرحمن بن رماحس بأسطوله إلى ناحية ثغر أصيلا لكى يكون قريبا من القائد الأعلى غالب الذى قام بضرب الحصار حول مقر الحسن بن قنون [٤].

وفى أوائل شهر شوال من نفس العام بعث الخليفة الحكم قاضى أشبيلية وصاحب الشرطة محمد بن أبى عامر بأحمال كثيرة من المال وذلك لتوزيعها على أكابر البربر الذين يمكن استمالتهم إلى جانب الخلافة .

وأصدر الخليفة الحكم مرسوما بتعيين ابن أبى عامر قاضيا لقضاة العدوة المغربية وأمر قواده وعماله بالعمل بمشورته [٥].

ثم استدعى الخليفة الحكم صاحب الثغر الأعلى يحيى بن محمد التجيبى من قاعدته سرقسطة بمن معه من رجال ومال وذلك فى شهر المحرم سنة ٣٦٣هـ ٩٧٣م حيث نزل يحيى وجنده بطنجة وانضمت إليهم قوات القائد الأعلى غالب[٦].

١- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٣٦٧ .

٢- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام قسم ص٤٧ ، ٤٨ ، مجهول ، نبذة تاريخية فى أخبار البربر ص٩ .

٣- ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص٢١٨ ، السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٨٧ .

٤- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٣٦٧ ، السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٨٧ .

٥- ابن حيان ، المقتبس ص١١٣ .

٦- ابن حيان ، المقتبس ص١٣٨ ، ابن عذارى، البيان المغرب جـ٢ ص٣٦٨ ، السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٨٧ .

لم يكتف الخليفة الحكم بكل هذه القوات والأساطيل، بل أرسل أيضا الشعراء أمثال محمد بن حسين التميمي المعروف بالطبني[1] ليساعد بنظمه على اكتساب ولاء المنشقين على الحسن بن قنون[2].

شدد القائد غالب الحصار على الحسن بن قنون وقواته من الأدارسة فقطع عنه الإمدادات، وقامت قوات القائد غالب بمطاردة الأدارسة، وفي صفر سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م استولى القائد غالب على مدينة البصرة[3].

وأمام حصار القائد غالب اضطر الحسن بن قنون في النهاية إلى طلب الصلح والأمان ، وأعلن طاعته للخليفة الحكم المستنصر ، ودخل غالب وقواته قلعة حجر النسر، ويعلق ابن عذارى على هذا بقوله : «وفيها ورد الخبر السار على المستنصر بالله بإذعان الحسن بن قنون الحسني ودخوله في طاعته»[4]، وأعلن الخليفة الحكم المستنصر هذه الأنباء في مسجد قرطبة ودخول الثائر الحسن بن قنون في طاعته[5]. أما القائد غالب فقد تتبع فلول من بقي من الأدارسة وتم بذلك اخضاع المغرب للدولة الأموية[6].

وفي أواخر ذي الحجة سنة ٣٦٣هـ، عاد القائد غالب إلى الأندلس ومعه الحسن بن قنون وأقرباؤه الأدارسة ، تاركا شئون العدوة للقائد يحيى بن محمد بن هاشم التجيبي، وكان ذلك تحقيقا لرغبة الخليفة الحكم بعد أن استتبت الأمور ودعى للخليفة على المنابر[7]، يقول

١- كان في أيام الحكم المستنصر وعاش حتى سنة ٣٩٤هـ واتصل بالعامريين وحظى عندهم وله أولاد نجباء مشهورون في الأدب والفضل ، وكان شاعرا عالما بأخبار العرب وأنسابهم ، ويرجع أصله إلى طبنة بلد ضمن أرض الزاب في عدوة الأندلس، دخل الأندلس ٣٢٥هـ، أنظر (الحميدي، جذوة المقتبس ص٤٧ ، وابن الفرضي جـ٢ ص١١٩ ، ابن بشكوال، الصلة ٥٦٢، ابن سعيد ، المغرب جـ١ ص٢٠١) .

٢- ابن حيان ، المصدر السابق ص١٠٩ .

٣- ابن حيان ، المصدر السابق ص١٤١ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٦٣ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام قسم ٢ جـ٣ ص٤٧ .

٤- ابن عذارى ، البيان المغرب جـ٢ ص٣٦٩ .

٥- ابن حيان ، المقتبس ص١٠٥ .

٦- ابن خلدون العبر جـ٤ ص١٤٦ ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام قسم جـ٢ ص٤٧ ، ٤٨ .

٧- ابن حيان ، المقتبس ص١٧٨ ، ١٨٢ .

ابن عذارى : «وكان معه حسن بن قنون وشيعته بنو أدريس الحسنيون ملوك المغرب المستنزلون من معاقلهم إلى الأندلس حافين بشيخهم المشتهر بجنون (قنون) ومعه أخوته وبنو عمه ، وبنوهم وأهلوهم ، فأمر باحتمال هؤلاء الأشراف من المحلة فى ظلام ليلة الخميس لأربع خلون من المحرم إلى الدور التى أخليت لهم بقرطبة ، فأرسل القوم معهم ثقاتهم من فتيانهم من فتيانهم ومواليهم حتى أدتهم إلى الدور المعدة لهم، بعد أن فرشت مجالسها بشىء يطول ذكره»[١].

ظل الحسن بن قنون وذووه فى قرطبة حوالى عامين من ٣٦٤-٣٦٦هـ ٩٧٤-٩٧٦م ثم ساءت علاقتهم بالخليفة الحكم المستنصر ، فقد استثقل نفقاتهم كما توجس منهم شرا، وذلك لسوء خلق الحسن، كما أن الخليفة الحكم لم ينس ما فعله الحسن بقواته أيام الحرب بينهم ، فرأى أن يتخلص منه ومن نفقاته الباهظة ، فأمر فى سنة ٣٦٥هـ/ ٩٧٥م بإخراجه هو وعشيرته من قرطبة وأجلائهم إلى المشرق، فركبوا البحر من المرية إلى تونس ، وسار الحسن بن قنون وعشيرته إلى مصر، فنزلوا فى ضيافة الخليفة الفاطمى العزيز بالله فأكرمه ووعده بالنصرة والأخذ بالثأر[٣].

ظل الحسن بن قنون فى مصر إلى سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م ثم عاد إلى المغرب فى أيام الخليفة هشام المؤيد على ما نذكره فى حينه[٤].

وبقضاء الخليفة الحكم المستنصر على صورة الحسن بن قنون استطاع الخليفة أن يضمن سيطرته على بلاد المغرب التى أعلن أمراؤها من زناتة ومغراوة طاعتهم وولاءهم للخليفة الحكم المستنصر، ووفدت عليه هذه القبائل تعلن طاعتها وانضوائها تحت لوائه[٥].

١- ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٣٦٩ «وقارن هذا النص بالنص الموجود فى المقتبس لابن حيان ص١٩٤ ، ١٩٥ ، العبارة الموجودة فى المقتبس » فارسل القوم معهد ثقاتهم من الفتيات ، فتيانهم ومواليهم حتى أدوهن إلى الدور المستعدة بها لهن بقرطبة بعد أن فرشت مجالسها، المقتبس ص١٩٤ ، ١٩٥ .

٢- السلاوى ، الاستقصا جـ١ ص٨٨ .

٣- المصدر السابق جـ١ ص٨٨ .

٤- المصدر السابق جـ١ ص٨٨ .

٥- ابن حيان ، المقتبس ص١٧٤ ، ١٧٥ ، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٤٦ .

سياسة المنصور بن أبى عامر تجاه المغرب:

وقد شغلت بلاد المغرب معظم اهتمام الحاجب المنصور بن أبي عامر، وسار على نفس سياسة الخليفة الأموى عبد الرحمن الناصر وابنه الحكم المستنصر فى السيطرة على بلاد المغرب واصطناع بربر زناتة فى المغرب الأقصى حتى يضمن ولاءهم ، وقد دخلت فى الطاعة الأموية كل البلاد المغربية الممتدة إلى سجلماسة جنوبا ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م والى ولايتى تلمسان وتاهرت شرقا سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م [١].

وفى سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م زحف خزرون بن فلفل بن خزر الزناتى[٢] إلى سجلماسة وقتل أبا محمد المعتز بالله من أولاد الشاكر بالله المدرارى، واستولى على سجلماسة وبعث برأس المعتز إلى قرطبة[٣] وقد عرض صاحب كتاب مفاخر البربر لتلك الأحداث بقوله : «وفى شعبان سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م زحف خزرون بن فلفول أحد زعماء زناتة - الموالين لبنى أمية- إلى مدينة سجلماسة وكانت قد عادت إلى أيدى الخوارج الأباضة بعد فتح جوهر الصقلى لها، وأسره لمحمد بن الفتح صاحب الخارجى، وقام رجل منهم وتسمى المعتز بالله سنة ٣٥٢هـ فلم يزل مالكها إلى أن ظهر عليه خزرون بن فلفول فهزمه وجموعه وقتله واستولى على سجلماسة وضبطها وذلك سنة ٣٧٦هـ، ووجد للمعتز مالا عظيما وسلاحا كثيرا، وأقام الدعوة للخليفة المؤيد بالله هشام بن الحكم، وهى أول دعوة قامت للمروانية بذلك الصقع الجنوبى، وكتب بالفتح إلى هشام وأنفذ رأس المعتز فشهر بقرطبة، ونصب بباب السدة، وكان أول رأس رفع فى الدولة، ونس الأثر به إلى محمد بن أبى عامر، وتيمن لحجابته ، وعقد لخزرون على سجلماسة، فلم تزل بيده ، إلى أن هلك وصارت فى يد ابنه وامدين إلى انقضاء الدولة »[٤].

وفى سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م واجه المنصور بن أبى عامر هجوما على المغرب الأقصى بقيادة بلقين بن زيرى الصنهاجى ملك الدولة الزيرية فى المغربين الأدنى والأوسط، فبدأ بحصار سبته

١- مؤلف مجهول، مفاخر البربر ص٢٤ ، العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص٢٥٠، ٢٥١ .

٢- هو أحد زعماء زناتة الداخل فى طاعة الأمويين فى الأندلس (مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ص١٦) .

٣- ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص٣١٩ .

٤- مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ص١٦ .

ولكنها استعصت عليه لقوة تحصينها ومناعتها، وقال : «إنما سبته حية ولت ذنبها حذاءنا وفرغت فاها نحونا وانصرف عائدا إلى بلاده»[١].

وفى سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م أرسل الخليفة الفاطمى العزيز بالله الحسن بن قنون زعيم الأدارسة من مصر إلى المغرب يستعيد ما فقده من بلاد المغرب على أيدى الأمويين فى الأندلس وحلفائهم من بربر زناتة ، وأمر الخليفة العزيز بالله نائبه على المغرب بلكين بن زيرى أن يمده ما يحتاجه من المؤن والعتاد والقوات [٢].

سار الحسن بن قنون إلى بلاد المغرب وانضم إليه عدد كبير من القبائل البربرية وخاصة بنى يفرن . وعلم المنصور بن أبى عامر بما دبره الفاطميون فأرسل ابن عمه أبا الحكم عمرو بن عبدالله بن أبى عامر الملقب بعسكلاجة[٣] على رأس جيش كبير وقلده أمر المغرب .

وتوجه القائد عسكلاجة من سبتة لقتال الحسن بن قنون وقامت قوات عسكلاجة بمحاصرة الحسن بن قنون وقواته عدة أيام حتى جاءت القائد عسكلاجة إمدادات جديدة أرسلها الحاجب المنصور بن أبى عامر بقيادة ابنه عبدالملك كما انضمت إلى قوات عسكلاجة وعبدالملك قبائل مغراوة وزعماؤها وعلى رأسهم زيرى بن عطية بن خزر . وقام عسكلاجة بمطاردة الحسن بن قنون وضرب عليه الحصار حتى أرهقه فى النهاية فاضطر الحسن إلى التسليم وطلب الصلح والأمان واللجوء إلى الأندلس ، ولكن المنصور لم يقبل طلبه فى هذه المرة وأمر بقتله سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م لكثرة فساده ونكثه بوعوده[٤]، وانهارت بذلك دعوة الأدارسة. «واستمر الحال إلى أن أشرفت دولة بنى أمية بالأندلس على الانقراض »[٥].

١- مؤلف مجهول ، مفاخر البربر ص١٧ .

٢- السلاوى ، الاستقصا جـ١ ص٨٨ «رأى الخليفة العزيز بالله فى ارسال الحسن بن قنون إلى بلاد المغرب وسيلة للتخلص من أعبائه المالية مجهول، نبذة تاريخية فى أخبار البربر ص١٩» .

٣- السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٨٨ .

٤- السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٤١٩ ، ابن أبى زرع روض القرطاس جـ١ ص١٤١ .

٥- السلاوى ، الاستقصا جـ١ ص٨٨ ، ٨٩ .

واستولت القوات الأموية على مدينة فاس ودخلت عدوة الأندلسيين وخطب فيها لبني أمية، كما استولوا على عدوة القرويين وقبضوا على عاملها محمد بن عامر المكناسى[١] عامل الفاطميين وأقاموا الدعوة الأموية[٢].

وعاد القائد عسكلاجة إلى الأندلس ، فندب المنصور بن أبى عامر لحكم بلاد المغرب الوزير الحسن بن أحمد بن عبدالودود السلمي ومنحه سلطات واسعة فى إدارة البلاد كما أمره أن يعمل على استمالة قبائل البربر، وأوصاه بمغراوة وعلى رأسهم زيرى بن عطية لما قدموه من المساعدات للأمويين وإخلاصهم للدعوة الأموية فى بلاد المغرب[٣].

انضمت قوات الوزير ابن عبد الودود مع قوات زيرى بن عطية لمحاربة بنى يفرن وزعيمهم يدو بن يعلى، ونشب القتال وقتل الوزير الحسن بن عبد الودود سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م فعقد المنصور بن أبى عامر لزيرى بن عطية على بلاد المغرب ، فقام زيرى بحكم البلاد باسم بنى أمية، فقوى أمره وتوطد سلطانه [٤].

وفى سنة ٣٨٢هـ/ ٩٩٢م استدعى المنصور بن أبى عامر زيرى بن عطية إلى قرطبة فاستخلف زيرى ولده المعز واستخلف على عدوة الأندلسيين فى فاس عبد الرحمن بن عبد الكريم بن ثعلبة وعلى عدوة القرويين على بن محمد بن أبى على بن قشوش، وقام زيرى بتقديم الهدايا[٥] إلى المنصور بن أبى عامر الذى احتفل بقدومه احتفالا عظيما[٦] ومنحه المنصور لقب الوزارة لكن زيرى لم يبتهج بذلك اللقب إذ كان يطمع فى لقب الإمارة[٧].

١- «كانت فاس قد استولى عليها أبو الفتوح بلقين بن زيرى ٣٦٨ وقتل عامليها محمد بن أبى على بن قشوش وعبد الكريم بن ثعلبة القائمين بالدعوة الأموية واستعمل عليها محمد بن عامر المكناسى » عبد العزيز سالم، المغرب الكبير فى العصر الاسلامى ص٦٤٣) .

٢- القلقشندى ، صبح الأعشى جـ٥ ص١٨٥ .

٣- ابن خلدون ، العبر جـ٧ ص٢٨ ، ٣٠ ، مجهول ، نبذة فى أخبار البربر ص١٧ ، ٩٩ .

٤- نبذة فى أخبار البربر ص١٧ ، ١٩ السلاوى ، الاستقصا جـ١ ص٨٨ .

٥- مفاخر البربر ص٢٧ ، السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٢١١ .

٦- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام جـ٣ ص١٥٢ .

٧- ابن الخطيب ، المصدر السابق جـ٣ ص١٥٨ ، ابن خلدون ، العبر جـ٢ ص٤١، ابن السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٢١١، ابن أبى زرع ، روض القرطاس جـ١ ص١٦١ .

أسرع زيرى بن عطية إلى طنجة بعد أن بلغه أن بني يفرن وعلى رأسهم يدو بن يعلى قد استولوا على فاس فقام سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م فقصد فاس سنة ٣٨٣هـ/ ٩٩٣م لاستخلاصها من بني يفرن واشتبك زيرى مع يدو بن يعلى فى معركة بالقرب من فاس انتهت بهزيمة بنى يفرن وقتل القائد اليفرنى يدو بن يعلى[١].

كما هم زيرى بن عطية لقتال أبى البهار[٢] الذى نقض دعوة الأمويين وعاد يظاهر الدعوة الفاطمية فزحف إليه من فاس وتمكن من الاستيلاء على ما كان بيده[٣].

أصبح الميدان خاليا لزيرى بن عطية فى بلاد المغرب حيث اعتبره المنصور بن أبى عامر الممثل الوحيد للحكم الأندلسى هناك لكن هذه العلاقة الوطيدة التى ربطت بين المنصور بن أبى عامر وزيرى بن عطية لم تكن علاقة وطيدة لأن زيرى كان ينوى الخروج على المنصور بعد أن خاب أمله فى الحصول على لقب الإمارة الذى كان يطمع فيه، كما كان من أسباب خروج زيرى بن عطيه أيضا استبداد المنصور وحجبه للخليفة هشام المؤيد وسلبه جميع حقوقه الشرعية، ويقال أن السيدة صبح قد اتصلت بزيرى بن عطية ليساعدها[٤] ضد المنصور لاستعادة حقوق الخليفة الشرعية[٥].

ففى سنة ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م قام زيرى بن عطية بقطع الدعوة للمنصور بن أبى عامر على منابر المغرب، وأعلن الثورة والخروج على الطاعة فقابل المنصور هذا العمل بقطع الأرزاق عن

١- السلاوى، نفس المصدر جـ١ ص٩٢ ، ٢١٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام جـ٣ ص١٥٨ .

٢- هو أبو البهار بن زيرى بن مناد الصنهاجى عامل تاهرت وظهر الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب وكان قد خرج على ابن أخيه أبى الفتح المنصور ابن بلكين (بلقين) ٣٧٩هـ. فزحف المنصور حيث فر أبو البهار من تاهرت إلى بن بلكين (بلقين) على تاهرت حيث ولى أخاه يطوفت ، ثم عاد المنصور إلى أشير ولكن وقع خلاف بين أبى البهار وبين زيرى بن عطية فعاد أبو البهار إلى تاهرت ودخل فى طاعة أبى الفتح المنصور بن بلكين ، نقلاً عنه (ابن عذارى ، البيان جـ١ ص٣٤٩، ٣٥٣) ابن خلدون العبر ج٦ ص٣٢٢ ، عبد العزيز ، المغرب الكبير ص٦٤٥) .

٣- السلاوى ، الاستقصا جـ١ ص٩٣ ، ٩٤ ، ٢١٠ ، مجهول ، نبذة تاريخية فى أخبار ص٣٠ ، ٣٥ .

٤- ابن بسام ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة مجلد ٤ قسم ١ ، ص٥٢ ، ٥٤ .

٥- مجهول ، نبذة تاريخية فى أخبار البربر ص٢٧ .

عن زيرى وعمل على تجهيز جيش كبير جعل قيادته لمولاه الفتى واضح صاحب مدينة سالم[١]، وأمده بالذخيرة والمؤن اللازمة وعبر واضح البحر إلى طنجة حيث انضم إليه الكثير من قبائل البربر وخاصة من غمارة وصنهاجة وخرج زيرى لمقاتلة واضح، ونشبت بينهما معارك طاحنة هزم فيها الجيش الأندلسى[٢] وأرسل واضح يستنجد بالمنصور بن أبى عامر فخرج المنصور من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء ثم سير ابنه عبد الملك ومعه الجيوش الأموية إلى سبته وأمره بالتشدد فى مقاتلة زيرى، ونشبت بين الفريقين معارك عنيفة انتهت بهزيمة زيرى وفراره[٣] ودخل عبد الملك مدينة فاس فى شهر شوال سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م وكتب إليه المنصور بعهده على بلاد المغرب ، فأحسن عبد الملك إدارة هذه البلاد ثم انصرف إلى الأندلس بعد أن استعمل على فاس عيسى بن سعيد صاحب الشرطة فأقام بها إلى صفر ٣٨٩هـ/ ٩٩٨م ولما عزل خلفه على ولايتها الفتى واضح[٤].

أما زيرى فقد جمع حشودا هائلة من قوات زناتة أو مغراوة وقام بالزحف على قبائل صنهاجة فاستولى على تاهرت وتلمسان وتنس وأقام الدعوة على منابرها للخليفة هشام المؤيد، بيد أنه توفى متأثرا بجراحة فى المحرم سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠٠ وخلفه ابنه المعز بن زيرى الذى أعلن طاعته للحاجب المنصور فأقره على أعماله بالمغرب .

وحذا عبد الملك حذو أبيه المنصور نحو المغرب بالابقاء على تأييد زناتة ومغراوة حيث أعلن المعز بن زيرى الطاعة والولاء لعبد الملك بن المنصور أيضا ودعى له على منابر المغرب.

ولما تولى عبد الرحمن بن أبى عامر للحجابة بعد أخيه عبد الملك كتب إلى المعز بعهده على سائر ما بيده عن بلاد المغرب على أن يؤدى إلى حكومة قرطبة مقادير معينة من المال والخيل.

١- مدينة بالأندلس تتصل بأعمال باروشة وكانت من أعظم المدن وأشرفها (ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص١٧٢) .

٢- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام جـ٣ ص١٥٣، عنان ، دولة الاسلام فى الأندلس العصر الأول قسم ٢ ص٥٥٧ .

٣- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص١٥٩ ، ابن أبى زرع، روض القرطاس جـ١ ص١٦٤ ١٩٦٥ .

٤- السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٩٣ ، ٩٤ .

وهكذا ظل المعز بن زيرى على ولائه للأمويين أيام عبد الملك وأخيه عبد الرحمن[١] حتى توفى فى جمادى الأولى سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م وكان أمر الخلافة الأموية فى الأندلس قد اضطرب وانتهى بسقوطها سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م[٢].

المهاجرون من القطرين وأثرهما فى الأحداث السياسية :

بسبب قرب المسافة بين الأندلس والمغرب تبودلت الهجرات بينهما فهاجر الأندلسيون فرادى، وجماعات وأسهموا فى الحياة السياسية فى بلاد المغرب وهاجر البربر فرادى، وقبائل واشتركوا بنصيب فى أحداث الأندلس الداخلية .

كان للظروف السياسية فى الأندلس أثر فى أن هاجر كثير من الأندلسيين إلى بلاد المغرب ملتمسين هناك العيش فى أمان واستقرار، ومن أهم هذه الظروف ما حدث فى بلاد الأندلس أيام الأمير الحكم الأول (١٨٠-٢٠٦هـ/ ٧٩٦-٨٢٢م) حيث نشبت فى الربض الجنوبى من قرطبة المسمى ربض شقنده (SECUNDA) على الضفة الأخرى من الوادى الكبير[٣] ثورة قام بها الفقهاء من المالكية حيث أنكروا على هذا الأمير سياسته تجاههم التى ترمى إلى الحد من نفوذهم وإبعادهم عن التدخل فى شئون الدولة [٤]، فثارت نفوسهم سخطا على الأمير وأخذوا يجهرون بسببه والتعريض به من فوق المنابر ويوغرون عليه صدور العامة بالدس والوقيعة [٥].

١- السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٩٥ ، المقرى، نفح الطيب جـ٢ ص١٩٨ .

٢- السلاوى، الاستقصا جـ١ ص٩٣، ٩٤ ، مجهول نبذة فى أخبار البربر ص٣٠ ص٣٥ .

٣- ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ١ ص٤٤، الحجى (عبد الرحمن على) التاريخ الأندلسى ص٢٤٢ .

٤- وكان فقهاء المالكية فى الأندلس يرمون إلى انتزاع السلطة السياسية ليحكموا الأمة من وراء العرش بواسطة جمهورية دينية فجاءت سياسة الأمير الحكم ضربة قاضية على أمانيهم ، انظر (عنان عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول، القسم الأول ص٢٣٠) .

٥- عنان (عبدالله) دولة الإسلام فى الأندلس العصر الأول، القسم الأول ص٢٣٠ نزل هؤلاء الوافدون على العدوة المغربية فى بلاد المغرب الأقصى فى فترة حكم ادريس بن عبدالله بن ادريس ، ادريس الثانى (١٧٧-٢١٣هـ/ ٧٩٣-٨٢٨م) .

واستطاع الأمير الحكم الأول أن يقضى على هذه الثورة بقسوة وعنف وطرد فريقا ممن قام بها خارج الأندلس، فسكن بعضهم مدينة فاس فى المغرب فى القسم الشرقى من العدوة المغربية سميت بعدوة الأندلسيين[١].

كما توافد على بلاد المغرب بعض الأندلسيين أمثال الشاعر الألبيرى محمد بن هانىء الذى وفد على الخليفة المعز مطرودا من الأندلس بعد أن ظهرت ميوله الشيعية، وقد أثرى ابن هانىء الأدب المغربى بكثير من القصائد التى تؤيد ميوله الاسماعيلية ومنها فى مدح المعز لدين الله.

لى صارم وهو شيعى كحامله ... وهو يكاد يسبق كرابى إلى البطل

إذا المعز معز الذين سلطه ... ولم يرتقب بالمنايا مدة الأجل[٣]

ولم يفتر ابن هانىء عن مواصلة إنشاده والإغراق فى مدحه حتى جعله فى منزلة عيسى ومحمد، بل نسب إليه بعض صفات الألوهية[٤]، ونسب إليه القدرة على إتيان المعجزات [٥].

ومن أشهر مهاجرى الأندلس أيضا محمد بن خيرون أبو جعفر هاجر إلى القيروان واستوطنها وسكن بموضع يسمى الزّيادّية ، وبنى هناك مسجدا ينسب إليه[٦] وعدة فنادق وكان من أثرياء القيروان وقد قتل على أيدى الفاطميين بعد أن تبينت ميوله السنية وظهر أنه يسرب المعلومات إلى الأمويين فى الأندلس[٧].

١- سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير، العصر الإسلامى ص٤٩١، سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ص٢٢٤، وتاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ص٧٠، تاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الإسلامى ص٣٠ ، البكرى المغرب ص١٥٥ ، حسن السائح ،الحضارة المغربية عبر التاريخ .

٢- عن ابن هانى ، انظر ص .

٣- ديوان ابن هانى جـ١ بيروت ١٣٥٦ ص١٢٨ .

٤- ديوان ابن هانى ص٣٤، ٣٦ .

٥- ديوان ابن هانى ص١٦٤ .

٦- الحميدى جذوة المقتبس ص٥٤ .

٧- عن ابن خيرون أنظر الفصل الثانى ص من الرسالة .

على أنه من أهم المهاجرين إلى الأندلس أيضا على بن حمدون بن سماك بن مسعود بن منصور الجزامى ويعرف بابن الأندلس [١]، رحل إلى المغرب من الأندلس، واتصل بالمهدى بالله أول الخلفاء الفاطميين ثم اتصل بابنه القائم وكان موضع ثقته فأسند إليه القائم اختطاط مدينة المسيلة ٣١٥هـ/ ٩٢٧م وهى المدينة التى سميت بالمحمدية [٢]، ثم عقد له القائم على ولاية الزاب وأنزله بها، ونشأ ولدا ابن حمدون جعفر ويحيى بدار القائم، تحت وصاية جوزر (كاتب الفاطميين) فلما كانت فتنه أبى يزيد، كتب القائم إلى ابن حمدون فى المدد بقبائل البربر من الزاب، فكانت لابن حمدون جولات مع أبى يزيد تجلى فيها جلده وشدة بأسه إلى أن سقط من بعض الشواهق فمات ٣٣٤هـ/ ٩٤٥م.

وعقد المنصور بعد الفتنة لجعفر بن على بن حمدون على المسيلة والزاب بالاشتراك مع أخيه يحيى بن على بن حمدون فاستجدا به سلطانا ودولة، وبنيا القصور والمتنزهات واستفحل بهما ملكهما وقصدهما العلماء والشعراء ومنهم ابن هانى الأندلسى [٣].

وكان بين جعفر وبين زيرى بن مناد الصنهاجى منافسات على التقرب إلى المعز للوصول إلى أرقى المناصب، وأدى هذا التنافس إلى نشوب القتال بينهما، ثم قام بلكين بن زيرى بن مناد مقام أبيه، تهر جعفرا ولما اعتزم المعز الرحيل إلى مصر استقدم جعفر بن على بن حمدون وفكر فى استخلافه نائبا عنه فى أفريقية [٤]. لكن جعفر اشترط عليه لقبول هذا المنصب شروطا تتيح له الاستقلال الداخلى، فرفض المعز شروط جعفر بن حمدون وأقصاه وولى بلكين[٥]

١- انظر ابن حيان، المقتبس ص٣٠، ابن الخطيب، أعمال الأعلام ص٤٢، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٤٢، ٢٤٣، الحلة السيراء جـ١ ص٣٠٥، الزركلى فهرس الأعلام جـ٢ ص١١٩، المقرى، نفح الطيب جـ٢ ص٢١٢.

Levi Provencal, Hist, T IV. pp. 388.

٢- ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص١٣٠.

٣- سيرة الأستاذ جوزر ص١٧٥ حاشية رقم ٨٢.

٤- المقريزى، اتعاظ ص١٤٣، المقريزى، الخطط، طبعة بيروت مجلد ص١٥٨، سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير، العصر الإسلامى ص٦٤١.

٥- سيرة الأستاذ جوزر، ص١٧٥، حاشية ٨٢.

فغضب جعفر وترك بلاد المغرب هو وبنوه حيث هربوا إلى الأندلس فاستقبلهم[١] الخليفة الحكم المستنصر وأحسن استقبالهم وقربهم، فاستقر المقام فى الأندلس إلى أن تآمر المنصور بن أبى عامر على جعفر بن حمدون فقتله سنة ٣٧٣هـ/ ٩٨٣م.

أما أخوه يحيى بن على بن حمدون ، فلحق بمصر ونزل بدار العزيز بالله ولم يزل هناك إلى أن مات[٢].

هجرات البربر إلى الأندلس :

كما لعب البربر دورا عظيما فى الحياة السياسية فى بلاد الأندلس ، ولعل أهمها أحداث الفتح ، فقد شارك البربر وعلى رأسهم القائد طارق بن زياد مولى موسى بن نصير فى فتح بلاد الأندلس . وقد كان هؤلاء البربر يؤلفون وقتذاك قوة عظيمة فى الجيش العربى الفاتح .

وفى عصر الأمارة اعتمد عليهم الأمراء فى تكوين جيوشهم ، فتدفعت أعداد كثيرة منهم إلى الأندلس[٣]. وكان لهم أكبر الأثر فى الحروب التى خاضها الأمراء الأمويون ضد نصارى الشمال وفى إخماد الفتن والثورات الداخلية[٤]، كان لهم دور فى الفتنة العنصرية التى واجهها الأمراء الأمويون .

أما فى عصر الخلافة فقد اتجه عبد الرحمن الناصر اتجاها آخر وهو عدم الاعتماد على البربر فى تكوين الجيش، وسار ابنه الحكم المستنصر على نفس سياسة أبيه فى هذا المجال ، غير أنه عاد وعدل عن هذا الاتجاه واستخدم أعدادا كبيرة من البربر[٥] لما أبدوه من براعة فى الحروب

١- ابن حيان ، المقتبس ، حاشية ٢ ص٣٣، ابن عذارى، البيان جـ٢ ص٢٤٢، ٢٤٣، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص٤٢ ، عنان ، دولة الإسلام جـ٢ ص٤٩٣ ، ص٤٩٤ .

Levi Provencal, Hist, IV. pp. 388-389 .

٢- ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص٣٢ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ابن خلكان وفيات الأعيان جـ١ ص١١٣، المقريزى، اتعاظ الحنفا (ترجمة جعفر بن على) سيرة الأستاذ جوزر ص١٤٢، ١٧٥ حاشية .

٣- عبدالله عنان، دولة الاسلام فى الاندلس ص٦٨٤، ٦٨٦ .

٤- ابن حيان ، المقتبس ، ص١٢١ ، ١٢٢ .

٥- ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ص١٩٠، ١٩٥ .

التى خاضها الحكم المستنصر فى بلاد المغرب، وخاصة حروب الأمويين ضد الثائر الحسن بن كنون[1].

كما أنه عقب انتقال الفاطميين إلى مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م هاجر الكثيرون نتيجة للصراع الذى كان دائرا فى بلاد المغربين قبائل صنهاجة الموالية للفاطميين وقبائل زناتة الموالية للأمويين فأدى ذلك إلى هجرة عدد كبير من قبائل بنى يرزال وبنى يفرن الزناتين إلى الأندلس[2].

كما كان الصراع الذى نشأ بين الصنهاجيين أنفسهم بسبب التنازع على الحكم أثره فى أن هاجر زاوى بن زيرى إلى الأندلس ومعه ابنه وأبناء أخيه حباسة وحبوس ابنا ماكسن بن زيرى بسبب الخلاف بينهم وبين بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى[3].

هذا وقد اشترك زاوى وبنو زيرى وبنو ماكسن بن زيرى فى الفتنة التى اشتعلت نيرانها بقرطبة بعد مقتل عبد الرحمن شنجول بن المنصور سنة ٣٩٩هـ ١٠٠٨م فأيدوا سليمان المستعين ضد المهدى محمد بن عبد الجبار .

وقد استأثر بنو حبوس ماكسن بامارة البيرة وغرناطة [4].

وبعد وفاة الحكم المستنصر (٣٦٦هـ/ ٩٧٦م) اعتمد الحاجب المنصور بن أبى عامر على البربر فى فى تكوين الجيش الأندلسى وتدعيمه ، واستجلب منهم أعداد كبيرة حتى أصبحوا فى أواخر عصر الخلافة قوة هائلة[5].

أما الأدارسة أمراء المغرب الأقصى توافد منهم كثيرون على بلاد الأندلس بعد أن قضى الأميون عليهم سنة ٣١٣هـ/ ٩٢٥م. كما هاجر معظم أمراء الأدارسة إلى الأندلس ثانية بعد

١- ابن القاضى ، جذوة الاقتباس ، فيمن حل من الأعلام مدينة فاس ص٣١٢ ابن حيان ، المقتبس ص١١٥ ، ١٢١ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ابن عذارى، البيان جـ ص٢٤٦ ، ٢٤٨ .

٢- ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق الحجى ص١٩٢ ، ١٩٥ .

٣- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير «العصر الإسلامى» ص٦٤٧، ٦٤٨ .

٤- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام قسم ٣ ص٦٨ ، اللمحة البدرية فى أخبار الدولة النصرية ص٢٠ جـ١ .

٥- عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ص٦٨٨، ابن خلدون ، العبر جـ٦ ص١٧٩، ١٨٠ .

أن استأصل الأمويون شأفتهم من بلاد المغرب سنة ٣٧٥هـ/ ٩٨٥م نهائيا، وقد ذهب بعضهم إلى قرطبهم وسجلوا أسماءهم في ديوان العطاء[١] ، ضمن جماعة المغاربة، وتفرق الباقون بين القبائل وعاشوا عيشة البداوة[٢] ثم ظهر البربر على مسرح الأحداث بسبب الصراع بين أفراد البيت الأموى بعد مبايعة الأمير محمد بن هشام الذى حمل لقب المهدى فى ١٧ جمادى الآخر سنة ٣٩٩هـ/ فبراير ١٠٠٩م.

ولم يكن الخليفة المهدى هذا على قدر من الكفاية السياسية أو الحربية بل أطلق لشهواته العنان وأثار بنى عمه لسوء خلقه واخفاء هشام المؤيد وسوء معاملته لاقاربهم فزج بهم فى السجون وفى مقدمتهم ولى عهده سليمان بن هشام، لكنه زاد فى التحامل على البربر.

وكان هشام بن سليمان بن الناصر ينقم على المهدى ويدبر لخلعه فأيده البربر ولكن العامة تعصبت للمهدى ونشبت بين الفريقين معركة انتهت بهزيمة هشام بن سليمان وبعض رجاله، وقام المهدى بقتلهم جميعا[٣].

وكان ممن فر من بنى أمية عقب مقتل هشام بن سليمان ابن أخيه سليمان بن الحكم ابن عبد الرحمن الناصر فالتف حوله البربر ورشحوه لتولى الخلافة مكان المهدى وبايعوه بالخلافة ولقبوه بالمستعين بالله [٤].

وفى شهر شوال سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م[٥] استعان البربر والخليفة المستعين بنصارى الشمال وعلى رأسهم الكونت سانشو غرسية وقد استجاب الكونت سانشو غرسية لمعاونة البربر

١- رجب محمد عبد الحليم، دولة بنى حمود فى مالقة ، رسالة ماجستير سنة ١٩٧٦ غير مطبوعة .

٢- ابن أبى زرع، روض القرطاس ص٥٧ ، ٥٩ ، ابن خلدون العبر جـ٦ ص٢٢١ .

٣- ابن عذارى ، البيان المغرب جـ٢ ص٨٤ ، الضبى، بغية الملتمس ص٢٠ ، المقرى ، نفح الطيب جـ١ ص٤٢٧ .

Levi - Provencal , Op. cit, 307 .

٤- ابن عذارى ، البيان المغرب جـ٢ ص٥١ ، الضبى بغية الملتمس ص٢٠ ، ابن الأبار الحلة السيراء جـ٢ ص٥ .

Dozy, Ibid. pp. 550-655 .

٥- ابن عذارى ، نفس المصدر والصفحة ، الضبى، نفس المصدر والصفحة .

Levi Provencal , Op. citp. 309 .

والخليفة المستعين مقابل التعهد له بالتنازل عن بعض الحصون الواقعة على الحدود. وفى أثناء سير البربر إلى قرطبة التقوا بالفتى واضح صاحب مدينة سالم على رأس قوة من الصقالبة ونشبت بين الفريقين سنة ٣٩٩هـ/ ١٠٠٨م معركة انهزم فيها واضح واصحابه من الصقالبة[١] .

سار البربر صوب قرطبة تعاونهم قوات سانشو فخرج إليهم المهدى فى سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م ونشبت بين الفريقين معركة عند قنتيش انهزم فيها المهدى وقواته ودخل سليمان المستعين قرطبة فى ربيع الأول سنة ٤٠٠هـ[٢] «وبايعوه العامة والخاصة بالخلافة وتلقب بالمستعين»[٣].

وقلد المهدى، المستعين فى الاستعانة بنصارى الشمال ليساعدوه على استعادة الخلافة مرة أخرى، فوافق كونت برشلونة رامون بوريل مقابل شروط مجحفة ، منها دفع عطاء يومى له ولجنوده ، وذلك فضلا عن امدادهم بالشراب والمأكل والحصول على ما يغتمونه من البربر[٤]. والتنازل له عن مدينة سالم[٥].

سار المهدى ومعه أمير برشلونة الكونت راموڵ بوريل، والفتى واضح على رأس جيش كبير متجهين نحو قرطبة والتقوا مع الخليفة سليمان المستعين ومن ورائه جموع البربر فى منتصف شوال ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م عند منطقة عرفت بعقبة البقر[٦].

١- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص٨٧ .

٢- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص٨٣، ٩١، ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ٢ هـ ص٦، ابن بسام ، الذخيرة قسم ١ مجلد ص٣٠، ص٣٢، المراكش المعجب ص٤٢ ، الضبى ، بغية الملتمس ص٢٠ Murphy , History of the Mohammedan Empire, p. 115 .

٣- الضبى، البغية ، ص٢٠، ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ٢ ص٧ ، المراكش المعجب ص٢٢ .

٤- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ج٣ ص١١٤ ، ابن عذارى، نفس المصدر جـ٣ ص٩٤ .

R. Dozy, Spanish Islam. p. 553 .

٥- ابن بسام ، نفس المصدر قسم ١ مجلد ١ ص٣٢ ، ابن عذارى، نفس المصدر جـ٣ ص٩٤ ، ٩٥ ، ابن الخطيب، نفس المصدر ص١١٥ .

٦- ابن الأبار ، الحلة السيراء جـ٢ ص٧ ، الضبى ، ص٢٢، المراكش المعجب، ص٤٣ .

وفى هذه المعركة هزم البربر وفر سليمان المستعين إلى شاطبة[١]، ثم دخل واضح والخليفة المهدى قرطبة وقد جدد واضح البيعة للخليفة المهدى وقام الخليفة بدوره بتعيين الفتى واضح حاجبا له[٢].

قرر المهدى الانتقام من البربر والقضاء عليهم فتعقبهم وهم فى طريقهم إلى الجزيرة الخضراء والتقى جيش المهدى وحلفاؤه من النصارى سنة ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م مع البربر ونشبت بين الطرفين معركة هزم فيها الخليفة المهدى وعاد إلى قرطبة حيث قبض عليه حاجبه واضح الصقلبى وقتله[٣]، وكان واضح يعقد على المهدى لسوء خلقه واستهتاره وقيامه بقتل عبد الرحمن شنجول[٤].

وأراد الصقالبة أن يحدوا من سطوة البربر، فقام زعيمهم واضح باخراج المؤيد من سجنه وأخذت البيعة له وتولى واضح الحجابة له[٥].

أرسل الخليفة هشام المؤيد إلى البربر يدعوهم للدخول فى طاعته[٦] ولكنهم رفضوا وتمسكوا ببيعتهم للخليفة المستعين، وقاموا بمحاصرة مدينة قرطبة والانتقام من أهلها [٧]، فقد كان البربر يضمرون حقدا لأهل قرطبة لما ارتبوه فى حقهم وخاصة فى فترة خلافة المهدى .

شدد البربر الحصار على قرطبة وقطعوا عنها المؤن «حتى استبد بهم الجوع وعدمت

١- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص٩٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام جـ٣ ص١١٥ .

٢- ابن بسام ، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص٣٢ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص٩٤ ، ص٣٥ .

٣- ابن عذارى ، المصدر ص٤٢، ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص. ١٥٠، ابن الآبار ، نفس المصدر جـ٢ ص٧ .

٤- رجب محمد عبد الحليم، دولة بنى حمود فى مالقة نة ١٩٧٦ ص٢٩ .

٥- النباهى، تاريخ قضاة الأندلس ص٨٦، ابن الخطيب، أعمال الأعلام جـ٣ ص١٢٩ ، ابن الآبار، الحلة السيراء جـ٢ ص٧، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١٠١ .

٦- ابن عذارى ، المصدر السابق جـ٣ ص. ١٠٠ ، ص١٠١ ، ابن الأبار المصدر السابق جـ٢ ص٧ ، Levi Provencal l'Esp., Musul., T. IIP. 215 .

٧- ابن بسام، الذخيرة قسم ١ مجلد ص٣٢ ، المراكش ، المعجب ص٤٣ ، ابن عذارى، المصدر السابق جـ٣ ص١٠١ .

المآكل»[1] ثم ساروا إلى مدينة الزهراء غربى قرطبة سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م[2]، فهاجموها وقتلوا معظم الجند بها، حتى ضبح أهل قرطبة وازدادت نفوسهم حقدا على البربر واضطر الخليفة هشام المؤيد إلى بيع ذخائر قصره للحصول على السلاح والمال[3].

وفى تلك الأثناء وصل رسول سانش غريسيه أمير قشتالة إلى قرطبة يطلب تسليمه الحصون المتفق عليها نظير ما قدمه من المساعدات، فوافق الخليفة هشام المؤيد على ما طلب وقام بتسليمه حول مائتين من الحصون [4].

أما البربر فقد ظلوا على حصارهم لمدينة قرطبة وازدادت الحالة سوءا ولم يستطع الحاجب مواجهة الحصار والهجمات التى لاتنقطع على المدينة فخشى على نفسه وحاول الهرب ولكن بعض الجند تمكنوا من اللحاق به والقبض عليه وقتله [5].

وحاول الخليفة هشام المؤيد أن يباشر أمور الدولة بنفسه والاستغناء عن منصب الحجابة[6]. غير أنه لم يستطع النهوض بأعباء الدولة فى مثل تلك الظروف المضطربة.

اشتط البربر فى تعسفهم ضد أهل قرطبة واستمروا فى حصارهم وواصلوا هجماتهم على المدينة.

وفى سنة ٤٠٢هـ/ ١٠١١م زاد البربر ثورة وصياحا بسبب مقتل أحد قادتهم وهو ماكس ابن أخى زاوى فاقتحموا مدينة قرطبة وأعملوا السيف فى رقاب أهلها[7] للثأر لقائدهم ودخل

١- ابن بسام، الذخيرة قسم ١ مجلد ١ ص٣٢، المراكشى، المعجب ص٤٣ ، ابن عذارى، المصدر السابق جـ٣ ص١٠١ .

٢- ابن عذارى، نفس المصدر جـ٣ ص١٠٢ .

٣- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ص١١٧ .

٤- ابن الخطيب، المصدر السابق ص١١٧ ، ابن عذارى، نفس المصدر جـ٣ ص١٠٣ ، ١٠٤ .

Levi Provencal; l'espagne Musl. T. II pp. 316, 317 .

٥- ابن عذارى ، نفس المصدر جـ٣ ص١٠٥ ، ابن الخطيب، نفس المدر جـ٣ ص١١٨ .

Levi Provencal l'Esp. Musul. T. II. p. 318 , Dozy: Spanish Islam . pp. 558-559 .

٦- ابن عذارى ، المصدر السابق جـ٣ ص١٠٥ .

٧- الضبى ، بغية الملتمس ص١٩ ، ص٢٠ ، ابن حزم ، طوق الحمامة ص٨٧ ، ص٨٨ ، والحميرة ص٩٣، ابن بشكوال، الصلة، تراجم رقم ٥٢٦ ، ١٠٣٦، ص٣٧ ، ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١١٢ .

الخليفة سليمان المستعين قصر قرطبة فى شوال ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م ، فلم يجد الخليفة هشام بدا من التنازل له عن الخلافة معتذارا له بأنه مغلوب على أمره[١]. وانتهى الخليفة هشام المؤيد إلى مصير مجهول اختلف فيه المؤرخون [٢].

استتب الأمر للمستعين نوعا ما بيد أن الحالة ازدادت سوءا مع ازدياد نفوذ البربر الذين سيطروا على كافة أمور الدولة واستأثروا بالمناصب العليا وخضع الخليفة المستعين لرغباتهم ونزواتهم . فقسم بعض كور الأندلس على قبائلهم مما أدى إلى تمزق وحدة البلاد مع توالى اضمحلال قوة الخلافة وانحدارها نحو الهاوية ، فقد منح صنهاجة مدينة البيرة وبقيت فى يد حبوس وذريته من بعده وأعطى بن يفرن وبنى برزال الزناتيين «جيان[٣] وما حولها أما بنى دمّر وأذداجة فق أعطاهم المستعين مدينة شذونة[٤] ومورور وأعطى منذر بن يحيى التجيبى سرقسطة [٥]، واستقر على بن حمود فى سبته، وأخوه القاسم بن حمود فى طنجة وأصيلا والجزيرة الخضراء[٦].

١- ابن عذارى، نفس المصدر جـ٣ ص١١٣ ، ابن الخطيب، نفس المصدر جـ٣ ص١١٩، ابن الأثير ، الكامل جـ٩ ص٨٠ .

٢- «يرى ابن حزم ، نقط العروس ، ص٨٧ ، الحميدى، الجذوة ص١٧، القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص٢٤٦، أن الخليفة المؤيد قتل سرا، أما ابن عذارى جـ٣ ص١١٣، ابن الأثير ، الكامل جـ٩ ص٨١ فلايجزمون بقتله ». عن مصير هشام المؤيد انظر (ابن خلدون ، العبر جـ٤ ص١٥١ ، المراكش ، المعجب ، ص٢٢، ص٢٥ ، ابن الأثير جـ٩ ص٧٥ ، ص٨١).

انظر الفصل الأول ص٣٨ .

٣- «كورة واسعة بالأندلس تتصل بكورة البيرة .. فى شرقى قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا (ياقوت ، معجم البلدان جـ٢ ص١٩٥) .

٤- مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحى سوزور من أعمال الأندلس وهما من أعمال أشبيلية «ياقوت ، معجم البلدان جـ٣ ص٣٢٩) أما ابن الكردبوس فيحدد موقعها فى كتابه تاريخ الأندلس فى أنها تقع جنوب غرب الأندلس ، تبلغ مساحتها خمسين ميلا وتمتد من جانب المحيط الأطلسى حتى مصب الوادى الكبير شمالا ويحددها من الشرق الجزيرة الخضراء ، ومن الشمال كورة مورور ومن الغرب المحيط الأطلسى (تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ، وصفه لابن الشباط، نصان جديدان ، تحقيق أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد سنة ١٩٧١م ، مورور تقع قرب قرطبة ، نفس المصدر ص١٣٧) .

٥- «ثغر فى شرق الأندلس... وهى المدينة البيضاء ، أعظم مدائن الأندلس (ابن الكردبوس، المصدر السابق ص١٥٠) .

٦- ابن بسام ، الذخيرة ق١ م١ ص٢٦ ، ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١١٣ ، ص٧٥ .

ولم يعد البربر يهتمون بالولاء للخلافة الأموية بل أخذوا يتدخلون فى شئونها ويسلبون سلطانها ، فقوى بذلك نفوذهم واشتد خطرهم[١]، أما الصقالبة فقد استقلوا ببعض مدن شرق الأندلس [٢]، وأصبح سلطان الخلافة الأموية لايتعدى قرطبة وأشبيلية ولبلة[٣]، وأكشونة وباجة[٤].

وهكذا أمست الخلافة الأموية فى الأندلس ممزقة الأوصال منقسمة على نفسها مقسمة بين البربر والأمويين والصقالبة فطمع فيها الطامعون ، إذ رأوا فى ضعفها على تلك الصورة فرصة لتحقيق أطماعهم . وكان على رأس هؤلاء الطامعين على بن حمود الحسنى الذى كن قد ولى سبته من قبل الخليفة سليمان المستعين ، فأرسل إلى خيران العامرى، صاحب المرية كتابا زعم فيه أنه تلقاه من الخليفة هشام المؤيد يوليه فيها ولاية عهده، وقام الخليفة هشام المؤيد بارسال هذا الكتاب سرا إلى سبتة[٥].

استجاب خيران العامرى والفتيان العامرين من الصقالبة لعلى بن حمود وبايعوه ودعوا له بولاية العهد، أما على بن حمود ، فأعلن تمرده على الخليفة سليمان المستعين ودعا لهشام المؤيد على منابر سبتة وطنجة وقام بسك عملة باسم هشام المؤيد ، ونقش اسمه عليها بصفته وليا للعهد[٦].

١- ابن عذارى ، نفس المصدر ، نفس الصفحة ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام جـ٣ ص١١٩ .

٢- Dozy, Spanish Islam . p. 562 .

٣- تقع كورة لبلة فى جنوب غرب الأندلس، راجع (العذرى، نصوص عن الأندس ص١١٠، ص١١١ ، الحميرى، الروض المعطار، ص١٦٨، تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ص١٤٥ حاشية ٢) .

٤- تقع باجة فى جنوب البرتغال وهى فى الغرب من قرطبة ، وهى أقدم مدائن الأندلس.. وهى أرض زرع وصنوع (تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ص١٤٦ راجع الحميرى ص٦) .

٥- ابن عذارى، البيان جـ٣ ص١١٤ ، الضبى ، بغية الملتمس ص٢١ .

Levi Provencal , L'Esp. Musul. T II pp. 563, 564 .

ابن بسام الذخيرة ق١ مجلد١ ص٢٦ ، ص٢٩ .

٦- Codera : Numismatica, p. 116, 117 Medried 1879.

ابن سعيد المغربى، المغرب فى حلى المغرب جـ١ ص٢٤٥ .

F.G. Rables, Malga Musulman p. 65 . Malga1880 .

سار على بن حمود من سبتة إلى مالقة واستولى عليها[١]، ولكى يضمن كسب أنصار له من الصقالبة وأهل قرطبة أعلن أنه ما جاء إلا لنصرة هشام المؤيد[٢]، ودخل قرطبة سنة ٤٠٧هـ[٣]/ ١٠١٦م وذلك بمساعدة الصقالبة والبربر.

وقام على بن حمود بقتل الخليفة سليمان المستعين وأخيه ووالدهما «وجعل رؤس الثلاثة فى طشت ونادى هذا جزاء من قتل هشام المؤيد»[٤] ثم دعا لنفسه وبويع بالخلافة بالناصر لدين الله[٥].

ونجح بنو حمود الأدارسة فى القضاء على الخلافة الأموية فى الأندلس كما فاز البربر فى خضم هذه الأحداث وأصبحت لهم الكلمة العليا فى شئون البلاد.

أما الصقالبة العامريون، فلم يعطيهم الخليفة على بن حمود فرصة الاستئثار بالسلطة دونه فانسحبوا إلى شرق الأندلس واستمرت بلاد الأندلس وحتى سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م فى فوضى واضطراب وثوب خليفة على آخر إلى أن أعلن الوزير ابن حزم بن جهور قراره بابطال الخلافة وازالة الأمويين وطردهم من قرطبة [٦]، فنودى فى الأسواق ألا يبقى أحد من الأمويين وألا يحميهم أحد[٧]. وكان آخر خليفة على الأندلس هو هشام المعتمد الذى فر إلى مدينة لاردة حيث توفى بها وكان خلعه فى ١٢ من ذى الحجة ٤٢٢هـ[٨] / ١٠٣١م، وبخلعه انتهت الدولة الأموية فى الأندلس وقامت على أنقاضها دول الطوائف .

١- الضبى ، بغية الملتمس ص٢٠ ، المراكشى المعجب ، ص٤٤ .

٢- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٢٠ ، ص١٢١ .

٣- ابن عذارى، المصدر السابق جـ٣ ص١٢١ .

٤- الضبى، بغية الملتمس ص٢١ ، الحميدى، الجذوة ص٢٠ .

٥- ابن بسام ، الذخيرة ق١ م ص٧٩، الحميدى، نفس المصدر ص٢٢ ، ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٢٢، ابن الخطيب، أعمال الاعلام جـ٣ ص١٠٨ ، المراكشى، المعجب ص٤٩ .

٦- ابن الخطيب، المصدر السابق ص١٣٨ ، ص١٣٩ .

Levi - Provencal , L'Esp. Musul. T II p. 340 .

٧- ابن الخطيب ، المصدر السابق جـ٣ ص١٥٢ ، ابن عذارى البيان جـ٣ ص١٥٢ .

٨- ابن عذارى ، المصدر السابق جـ٣ ص١٤٥ .

ولقد نتج عن سقوط الخلافة الأموية أن انقسمت الأندلس إلى دويلات صغيرة متنازعة كما سبق أن ذكرنا، واستقر كل أمير بناحيته، وأعلن نفسه أميرا عليها ، فأظل البلاد عصر ملوك الطوائف[١].

وأسهم البربر فى هذه الأحداث وأسسوا دويلات بربرية فى الأندلس ومن أهمها أيضا دولة بنو زيرى فى غرناطة وهم من قبيلة صنهاجة ، وبنو حمود الأدارسة الحسنيون العلويون حيث انتهز أحد أمرائها وهو على بن حمود وكان يلى سبتة وطنجة ، فرصة ضعف الخلافة الأموية فى الأندلس ، فاستولى على مالقة، ثم تقدم إلى قرطبة وقتل الخليفة الأموى سليمان بن الحكم بن سليمان ابن عبد الرحمن «الملقب بالمستعين » وذلك ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م وأسس دولة الحموديين وجعل قاعدتها مالقة[٢].

على أن نفوذ ابن حمود فى الأندلس وإن كان قد امتد إلى قرطبة فترة قصيرة من الوقت، إلا أنه كان قاصرا على منطقة مالقة والجزيرة الخضراء. أى فى الجزء الجنوبى من الأندلس المجاور لممتلكاتهم فى شمال المغرب . ولم يلبث بنو حمود أن انقسموا على أنفسهم ، وصار كل واحد منهم يدعى الخلافة لنفسه ويلقب نفسه بلقب خلافى، مثل المهدى والعالى والمستعلى..[٣].

ولم يلبث نفوذ بنى حمود أن انتهى فى الأندلس بأن استولى بنو زيرى ملوك غرناطة على مالقة . وعاد الحموديون مرة أخرى إلى مقرّهم الأصلى فى العدوة المغربية.

ومن هذا نرى أن البربر الذين فتحت الأندلس أبوابها لهم، لم يكونوا مخلصين الاخلاص الكافى للأمويين فى الأندلس، فحين أحسوا بضعف الخلفاء الأمويين فى أواخر عصر الخلافة وعجزهم عن تدبير شئون الدولة وجدوا الفرصة سانحة لتحقيق أطماعهم ، فتدخلوا فى شئون الدولة ونصروا خليفة على آخر ولم يرعوا للخلافة حرمة بل اهتموا بتحقيق أطماعهم فاستقلوا

١- العبادى، أحمد مختار العبادى، فجر تاريخ المغرب والأندلس ص٢٧٥ ، ص٢٧٦ ، انظر الفصل الأول ص.

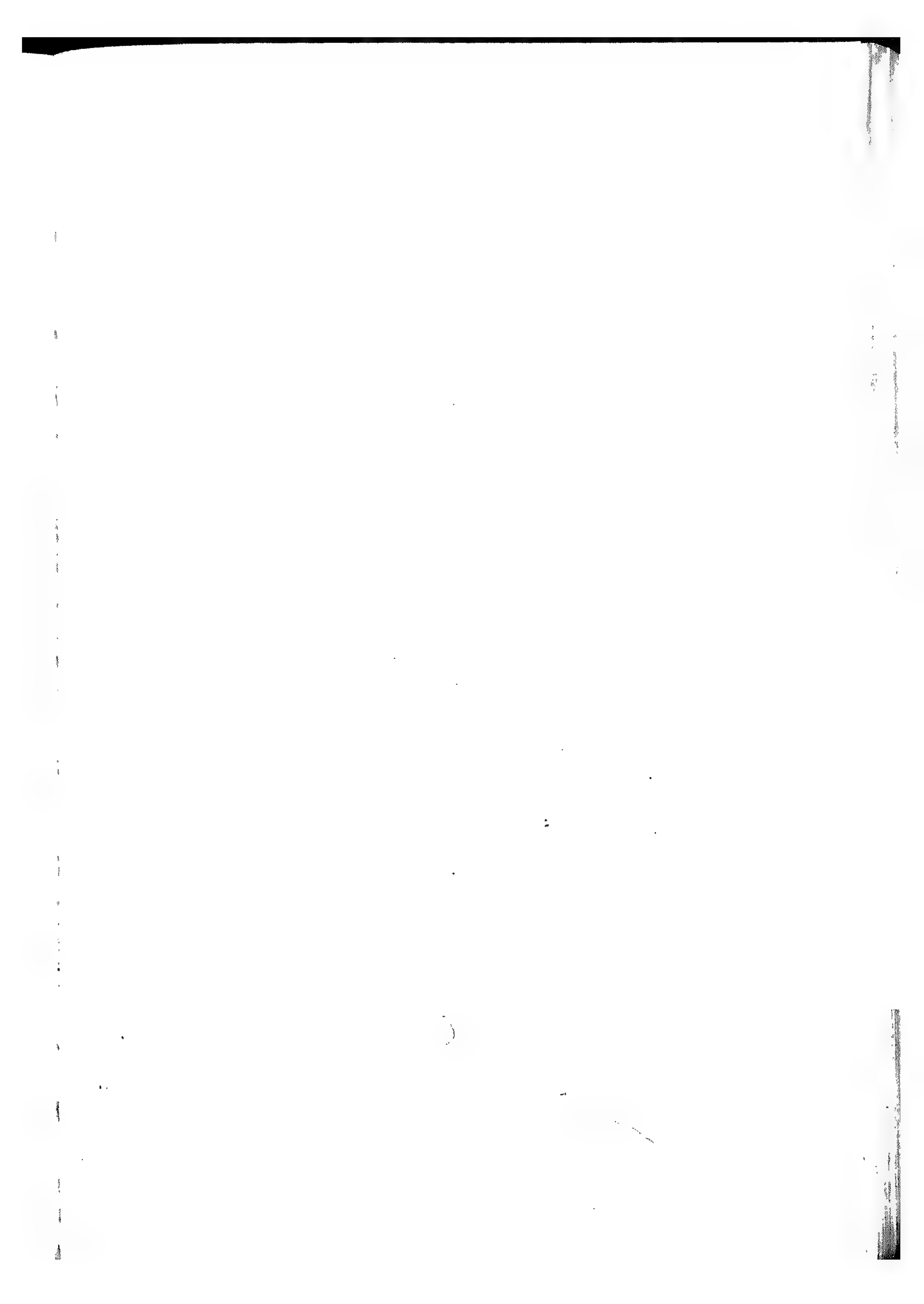
٢- ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، قسم ٣ ص١٤٨ ، ص١٤٩ .

العبادى، فى تاريخ المغرب والاندلس ص٢٧٦ .

٣- عبد الواحد المراكشى، المعجب ص٦٣ ، ص٦٤ ، ابن الخطيب، أعمال الأعلام.

ببعض الأقاليم وأعملوا السلب والنهب الأمر الذى جعل ياقوت يقول «والبربر أجفى خلق الله وأكثرهم طيشا وأسرعهم إلى الفتنة وأطوعهم لداعية الضلالة وأصغاهم لنمق الجهالة، ولم تخل جبالهم من الفتن وسفك الدماء قط، ولهم أحوال عجيبة واصطلاحات غريبة، وقد حسّن لهم الشيطان الغوايات وزيّن لهم الضلالات حتى صارت طبائعهم إلى الباطلة مائلة وغرائزهم ضد الحق جائلة فكم من ادعى فيهم النبوة فقبلوا ، وكم زاعم فيهم أنه المهدى الموعود به فأجابوا داعيه ولمذهبه انتحلوا ، وكم ادعى فيهم مذاهب الخوارج ، فالى مذهبه بعد الاسلام انتقلوا ، ثم سفكوا الدماء المحرمة ... ونهبوا الأموال واستباحوا الرجال لابشجاعة فيهم معروفة ، ولكن بكثرة العدد وتواتر المدد»[1].

١- معجم البلدان جـ١ ص٣٦٩ .



الفصل الثالث
العلاقات الاقتصادية بين الأندلس والمغرب

- أهم المراكز التجارية فى الأندلس - أهم المراكز التجارية فى بلاد المغرب - الطرق التجارية فى الأندلس والمغرب - الطرق التجارية فى الأندلس- الطرق التجارية فى بلاد المغرب - التجارة الداخلية فى الأندلس والمغرب- الأسواق، الفنادق ، الأسعار، السلع- تسعير السلع- الأشراف على الأسواق- المحتسب ... الخ- وسائل المعاملات - العملة ، السفاتج، الصكوك، الموازين، المكاييل- التجارة الخارجية المتبادلة بين الأندلس والمغرب- الطرق التجارية بين الأندلس والمغرب- السلع المتبادلة

العلاقات الاقتصادية بين الأندلس والمغرب :

تمثل العلاقات الاقتصادية بين الأندلس والمغرب رباطا من أقوى الروابط التى جمعت بين هذين القطرين.

ولما كانت المراكز التجارية فى كل من الأندلس والمغرب وأسواقهما تمثل محورا لهذه العلاقات الاقتصادية التى ربطت بينهما ، كان من الضرورى أن نعرض لهذه المراكز التجارية فى بلاد الأندلس والمغرب حتى تتضح لنا صورة من صور العلاقات الاقتصادية بين القطرين الكبيرين ودورهما فى خدمة الاقتصاد فى كل منهما .

أهم مراكز التجارة فى بلاد الأندلس :

١- أشبيلية :

وهى مدينة قديمة تقع فى الجنوب الغربى من الأندلس بالقرب من البحر المحيط[١]. يطل عليها جبل الشرف وهو جبل يكثر به شجر الزيتون وسائر الفواكه[٢]. وتعتبر مدينة أشبيلية

١- القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص٢٢٥ .

٢- ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص١٩٥ .

من أهم المراكز التجارية انتاجا لزيت الزيتون حيث تقوم بتصديره إلى سلا [١] فى بلاد المغرب والى الاسكندرية وإلى بلاد المشرق أيضا[٣] «ويبقى زيتها برقته وعذوبته أعواما لايتغير»[٤]. وتشتهر أشبيلية بإنتاجها العظيم من القطن حيث تقوم بتصديره لجميع بلاد الأندلس والمغرب[٥] ويوضح الحميرى ، أهمية أشبيلية التجارية ، يقول : «وهى كبيرة عامرة لها أسوار حصينة وأسواقها عامرة أهلها مياسير وجل تجارتهم الزيت يتجهزون به إلى المشرق والمغرب برا وبحرا ... والقطن يجود بأرضها فيعم بلاد المشرق ويتجهز به التجار إلى أفريقية وسجلماسة وماولاها[٦].

كما كانت أشبيلية من أهم البلاد إنتاجا لقصب السكر [٧]، ومما زاد من أهمية أشبيلية التجارية أنها كانت مركزا هاما لصناعة السفن [٨]. ويذكر البكرى أن جباية أشبيلية انتهت إلى خمسة وثلاثين ألف دينار ومئة دينار[٩].

١- الأدريسى ، صفة المغرب ص١٧٨، ابن سعيد ، نزهة الأنظار جـ١ ص١٤ .

٢- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٣٩ .

٣- العذرى «من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبنان فى غرائب البلدان والمسالك والممالك ، تحقيق عبد العزيز الأهوانى، معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٦٥، ص٩٥ .

٤- العذرى، من كتاب ترصيع الأخبار.

٥- ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص١٩٥ .

٦- الحميرى، الروض المعطار ، ص٢٠ ، ٢١ ابن غالب ، فرحة الانفس ص٢٩٢ .

٧- الحميرى، الروض المعطار ص٢٠ ، ٢١ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص٢٩٣ ، العذرى ، ترصيع الأخبار ص٩٦ .

٨- ابن حيان ، المقتبس ص١٠١ .

٩- البكرى ، جغرافية الأندلس وأوربا ص١١٦ .

٢- المرية [١]:

وتقع على الساحل الشرقى للأندلس[٢] بين إمارتى مالقة ومرسية[٣]، وترجع أهمية المدينة التجارية أنها اتخذت قاعدة للأسطول الأندلسى[٤] حيث أن «بحرها مولى للسفن الكبار»[٥]. ويضيف ياقوت أن المرية «كانت بابى الشرق منها يركب التجار وفيها تحمل مراكب التجار، وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب ، يضرب ماء البحر أسوارها[٦]. وكان مرسى مدينة المرية مقسما قسمين قسم للعدد والآلات الحربية والقسم الآخر للمراكب التجارية[٧] ، هذا وقد «رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها»[٨].

وقد انتشرت فى المرية صناعة الموشى : الديباج[٩] فتفوقت على قرطبة وأجادت هذه الصناعة إجادة تامة»[١٠].

وبالمرية من الطرز أعداد كثيرة[١١] ، فقد بلغت طرز الحرير فيها ثمانمائة طراز[١٢].

ويصنع بها من أنواع الثياب الكثير مثل «الديباج والسقلاطونى والاصبهانى والجرجانى

١- R.B. Serheant : Islamic textiles material for a history up to Mongol conquert p. 169 .

٢- الحميرى ، الروض المعطار ص١٨٣، ابن فضل الله العمرى، وصف افريقية والاندلس ص٤٠، عنان الآثار الأندلسية ص٤ .

٣- القلقشندى ، صبح الأعشى جـ٥ ص٢١٧ .

٤- «أنشأها الناصر لتكون مرصدا بحريا (ابن فضل العمرى، وصف افريقية والاندلس ص٤٠) .

٥- ابن الخطيب ، معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار .

٦- ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص١١٩ .

٧- العذرى ، من كتاب ترصيع الأخبار ص٨٦، ابن حيان ، المقتبس ص١٠ ، العبادى، من كتاب ترصيع الأخبار ص٨٦ .

٩- ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص١١٩، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص٢٨٤.

١٠- ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص١١٩، عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص١٥٥ .

١١- الأدريسى ص١٩٨ .

١٢- الحميرى، الروض المعطار ص١٨٤، وانظر زكى محمد حسن فنون الاسلام م ص٣٨٩ .

والمستور المكملة والثياب المعينة والعتابى الفاخر[١]«واستشهرت المرية بانتاجها الوفير لمعدن الحديد الذى استخدم فى الصناعات المختلفة من أهمها آلات الحرب من التروس والرماح والسروج[٢] والدروع وصناعة السفن أيضا، فقد كانت بها دار لصناعة السفن[٣]. ومن أهم واردات مدينة المرية القمح، إذ ترد الحنطة إلى المرية من بر العدوة»[٤]، وقد ازدحمت مدينة المرية بأعداد كثيرة من الفنادق فقد كان بها «ألف فندق إلا ثلاثين فندقا»[٥].

٣- قرطبة :

ومدينة قرطبة[٦] من المدن الأندلسية التى كانت تزدحم بالأسواق التجارية ومعظم أهلها يشتغلون بالتجارة، يقول ابن حوقل : «وهى متصلة الأسواق والبيوع والحمامات والخانات»[٧].

وقد اتصلت بها العمارة فى أيام دولة بنى أمية ثمانية فراسخ وفى عرضها فرسخين وذلك من الأميال أربعة وعشرون ميلا فى الطول وستة أميال فى العرض[٨] «وكان إقليم قرطبة يضم كورا[٩] كثيرة »[١٠].

١- الحميرى، الروض المعطار ص١٨٤ «الديباج هو قماش من الحرير وهو نوع من الأقمشة الحريرية والقطنية المختلفة الألوان» (أما العتابى فينسب إلى حى Dozy, Diction pp. 113-436).

عتاب فى بغداد حيث توجد مصانعه (انظر : Dozy, Op. cit. p. 110 .

٢- الادريسى، صفة المغرب ص١٩٧، المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٥٤ .

٣- ابن حيان، المقتبس ص٢٨، الحميرى، الروض المعطار ص١٨٣ .

٤- العمرى، «وصف افريقية والادنلس» مسالك الأبصار ص٤٦، القلقشندى صبح الأعشى جـ٥، ص٢١٧ .

٥- الحميرى، الروض المعطار ص١٨٤ .

٦- R. B. Serjeant: Islamic textiles pp. 168-169 .

٧- ابن حوقل، صورة الأرض ص١٠٨ .

٨- مجهول، وصف جديد ص١٦٦ .

٩- الكور مفردها كورة : وهى مصطلح يطلق على الأقسام الادارية فى الأندلس (وهو أشبه باللواء أو المديرية أو المحافظة) وكان هذا التقسيم الادارى على أساس الكور متبعا فى الأندلس عدا الثغور، راجع حسين مؤنس، فجر الأندلس ص٥٥٥، ٥٧٨، البكرى، جغرافية الأندلس وأوربا، تحقيق الحجى ص١٠٤).

١٠- البكرى، جغرافية الأندلس ص١٠٤ .

ويصف الحميرى مدينة قرطبة موضحا أهميتها كعاصمة لبلاد الأندلس، وكمركز تجارى عظيم بقوله : «وهى قاعدة الأندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها ... وتجارها مياسير وأحوالهم واسعة وهى فى ذاتها مدن خمس يتلو بعضها البعض وبين المدينة والمدينة سور حاجزة وفى كل مدينة ما يكفيها من الأسواق والفنادق والحمامات وسائر الصناعات وهى فى سفح جبل مطل عليها يسمى جبل العروس»[١].

ترجع أهمية قرطبة التجارية إلى شهرتها بالإنتاج الوفير من معدن الزئبق[٢] حيث كانت تصدره إلى بلاد المغرب، يقول المراكشى: «وعلى أربع مراحل من قرطبة موضع يسمى شلون فيه معدن الزئبق ، ومنه يفترق على جميع بلاد المغرب»[٣]. وكان معدن البللور يستخرج من حصن منتون من عمل قرطبة[٤] ، واشتهرت مدينة قرطبة باستخراج نوع جيد من الفضة[٥]، وكانت بجبل قرطبة مقاطع للرخام الأبيض الناصع اللون والخمرى[٦]، كما اشتهرت باستخراج مادة الزنجفور التى تستخدم فى الصباغة [٧]. ومعدن الحديد[٨] ولذا اختصت قرطبة بصناعة الآلات والعدد الحديدية خاصة ما يتعلق منها بأعمال البناء[٩]. كما قامت فيها صناعة هامة وهى صناعة آلات السفن كالمراسى والمسامير[١٠].

هذا وقد حظيت قرطبة فى عصر الخلافة بشهرة واسعة فى صناعة المنسوجات بأنواعها مثل الأقمشة الحريرية بمختلف أنواعها[١١]، ولكن هذه الصناعة لم تلبث أن اضمحلت بعد سقوط

١- الحميرى، الروض المعطار ص١٤٠ .

٢- الادريسى، صفة المغرب ص٢١٣، المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٨٦ .

٣- المراكشى ، المعجب ص٣٦٣ سنة ١٩٤٩ .

٤- البكرى ، جغرافية الأندلس ص١٢٧ .

٥- المقرى، نفح الطيب جـ٢ ص٦١ ، جـ١ ص١٨٦ .

٦- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٨٦ .

٧- الادريسى ، صفة المغرب ص٢١٣ ، الحميرى الروض المعطار ص١٠ .

٨- ابن غالب ، فرحة الأنفس ص٢١ ، الحميرى، الروض المعطار ص١٤٣ .

٩- سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس جـ٢ سنة ١٩٧٢، ص١٣٥ .

١٠- سالم، المرجع السابق ص١٣٥ .

١١- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٠٢ ، ١٢٣ ، سالم، تاريخ مدينة المرية ص١٥٥ .

الخلافة فتفوقت عليها المرية[١] وكانت مدينة قرطبة ذات تجارة نشطة مزدحمة أسواقها بمختلف أنواع السلع وكانت غالبية هذه الأسواق تحيط بجامع قرطبة[٢]، وكانت بمتاجر قرطبة مخازن للبضائع تؤجر للتجار الأجانب[٣].

٤- مالقة :

وهى من المراكز التجارية والصناعية الهامة فى بلاد الأندلس وتقع «على بحر الزقاق المعروف بالمجاز»[٤] وهى واسطة بين الجزيرة الخضراء والمرية[٥]. ويعدد المقرى مزايا مدينة مالقة كمركز تجارى هام بقوله: «وهى إحدى قواعد الأندلس، وبلادها الحسان ، جامعة بين مرافق البر والبحر، كثيرة الفواكه ، رأيت العنب يباع فى أسواقها بحساب ثمانية أرطال بدرهم صغير ورمانها المرّسى الياقوتى الذى لانظير له فى الدنيا»[٦]. وتشتهر مدينة مالقة بكثرة نتاجها من الفاكهة المختلفة مثل التين واللوز الذى كان يصدر إلى داخل البلاد وخارجها[٧]، فيحمل إلى مصر والشام والعراق[٨].

واشتهرت مالقة أيضا بزراعة العنب ويذكر المقرى أنه ليس بالأندلس أكثر عنبا وتينا يابسا منها[٩]، وتحتوى مدينة مالقة على مبان فخمه وحمامات حسنة وأسواق جامعة كثيرة[١٠]، ومن الصناعات التى اشتهرت بها مدينة مالقة يقول العمرى «صناعة الفخار المذهب العجيب

١- ياقوت، معجم البلدان مجلد ٥ ص١١٩ .

٢- الحميرى ، الروض المعطار ص١٤٠ .

٣- Levi Provencal , l'Esp., Musul. p. 181 .

٤- ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص٤٣ .

٥- ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص٤٣ .

٦- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٥٢ .

٧- المقرى ، نفح الطيب جـ١ ص١٥٢ ، القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص٢١٩ ، ابن سعيد ، المغرب جـ١ ص٤٢٣ .

٨- الحميرى، الروض المعطار ص١٧٨، المقرى، النفح الطيب جـ٤ ص٢٠٥ .

٩- المقرى، أزهار الرياض فى أخبار عياض جـ١ ص٤١ .

١٠- الحميرى، الروض المعطار ص١٧٨ .

وكان يصدر إلى خارج البلاد[١] وصناعة نوع من الجلود يسمى السفن ، وهو خشن غليظ كجلود الماشية يستخدم فى الصناعات الجلدية، وكانوا يصنعون منه الأغشية والأحزمة والمدورات والحقائب والأحذية [٢].

وصناعة المنسوجات مثل الثياب المصنوعة من الحرير الموشاة بالذهب التى كانت تصدر إلى بلاد المشرق والمغرب وتباع بأغلى الأسعار «وربما تجاوز ثمن الحلة الواحدة الآلاف»[٣] ومن الصناعات المتعلقة بالمنسوجات صباغة الحرير[٤]، وصناعة الملابس الكتانية التى كانت تصدر إلى البلاد الأخرى منها ملابس للعامة ، وثياب للحكام لاتقل جودة عن الحرير الديبقى «وثيابها دقيقة تضاهي رفيع النطوى الجيد»[٥].

وعرفت مالقة أيضا بصناعة الحديد فصنعوا منه المقصات والسكاكين والآلات اللازمة لمختلفة الأغراض اليومية، كما صنعوا من الحديد أيضا التراس والرماح والدروع والسيوف[٧].

وقد نشطت الحركة التجارية فى مدينة مالقة وانتشرت بها الأسواق التجارية التى امتلأت بمختلف أنواع السلع من غلال وشعير وقمح وذرة وأصناف فاكهة [٨]، والتمر المجلوب من بلاد المغرب من فاس وتنس كما جلبت إليها الأغنام من تاهرت وقصب السكر من المغرب الأقصى .

١- العمرى مسالك الأبصار ص٤٧، القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص٢١٩ .

٢- الاصطخرى ، المسالك والممالك ص٣٥، العمرى، مسالك الأبصار ص٤٨، القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص٢١٩ .

٣- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٧٨، جـ٤ ص٢٠٦ .

٤- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٦٦، ١٦٧ .

٥- الديبقى: نوع من القماش الحرير الذى كان ينسج فى بلدة دبيق فى مصر (زكى محمد حسن ، فنون الاسلام ص٣٤٧) .

٦- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١٠٩ .

٧- العمرى، مسالك الأبصار (وصف أفريقية) ص٤٨، المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٣٨ .

٨- ابن حزم ، الرد على ابن التغريلة اليهودى ص١٧٥، ١٧٧ .

وقد ساعد الموقع الجغرافى لمالقة على الساحل الشرقى الجنوبى[١] لبلاد الأندلس على أن تكون منفذا تجاريا عظيما إلى بلاد المغرب، ومنها إلى بلاد المشرق. وكانت مالقة يصدر منها العنبر والكتان والحرير والمرجان والرصاص والذهب والفضة والعسل[٢]. كما كانت من المدن التى يستخرج منها الياقوت الأحمر الذى استخدم فى صناعة الحلى من الجواهر والذهب[٣].

ومما زاد من أهمية مالقة كميناء تجارى هام أنه أقيمت بها دار لصناعة السفن التجارية إلى جانب السفن الحربية وخاصة الحراريق[٤].

وقد زادت ثروة مالقة بسبب المكوس المفروضة على تجارة الصادر والوارد وخاصة تجارة الرقيق من الخدم المجلوبين من أرض الصقالبة [٥].

٥- الجزيرة :

كانت الجزيرة من أهم المدن التجارية فى بلاد الأندلس «فهى وسطى مدن الساحل وأقرب مدن الأندلس عبورا إلى العدوة[٦]، وبين الجزيرة وبين قرطبة خمسة وخمسون فرسخا[٧].

ويعتبر مرسى الجزيرة من أجود المراسى للعبور وأقربها من البحر[٨] فكانت تقع على ربوة مشرفة على البحر جنوبى أسبانيا وتطل على مضيق جبل طارق . وكانت بها دار صناعة السفن[٩]، وكان مرساها أحسن المراسى[١٠].

١- الحميرى، الروض المعطار ص١٧٧ ، عنان ، الآثار الأندلسية ص١٩٦ .

٢- الاصطخرى ، المسالك والممالك ص٣٧، ابن حوقل ، صورة الأرض ص٩٤ ، ٩٥ .

٣- Scott : Hist. of the Moorish Empire. Vol III p. 628 .

٤- القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص٢١٨ ، العمرى ، مسالك الأبصار ص٤٧ .

٥- المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص٤٤٢، ص٤٤٣ .

٦- الحميرى، الروض المعطار ص٧٤ .

٧- ياقوت ، معجم البلدان جـ٢ ص١٣٦ .

٨- العذرى ، نفس المصدر ص١١٧، ١١٨، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص٢٩٤ ، الادريسى، صفة المغرب ص١٧٦، ١٧٧ .

٩- الحميرى، الروض المعطار ص٧٤ .

١٠- ابن سعيد ، المغرب جـ١ ص٣٢٠ .

وقد بلغت جباية كورة الجزيرة وحدها نحو ستمائة دينار وثمانية عشر دينار[١].

٦- غرناطة :

أما غرناطة فتقع فى جنوب الأندلس ومن أهم مراكزها التجارية، بينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخا[٢].

وكانت غرناطة من أهم المراكز التجارية إنتاجا للكتان وتصديرا له[٣]، وكانت تنتج «ثياب اللباس المحررة الصنع ويعرف بالبلد ذو الألوان العجيبة[٤].

واشتهرت المدينة بإنتاج وفير من أنواع الفاكهة ، فيذكر القلقشندى أن غرناطة بها من الفواكه والتفاح والقرصيا البعلبكية التى لاتكاد توجد فى الدنيا منظرا وحلاوة .. وبها الجوز والقسطل والتين والأعناب. وكانت تستخرج منها المعادن والذهب[٥] والفضة والعصفر والحديد والرصاص والتوتيا والنحاس[٦].

٧- طليطلة [٧]:

تقع على شاطىء نهر تاجة[٨] بين الجوف والشرق من قرطبة[٩] «وهى مدينة كبيرة ذات

١- العذارى من كتاب ترصيع الأخبار ص١٣٠ ، الحميرى، الروض المعطار ص٧٤، البكرى، جغرافية الأندلس وأوربا ص١١٨ .

٢- ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ، ص١٩٥ .

٣- الحميرى، الروض المعطار ص٢٤ .

٤- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٨٧ ، والمبلد نوع من القماش الحرير كان يصنع فى غرناطة . (Dozy, Diction. p. 114)

٥- ياقوت ، معجم البلدان، جـ٤ ص١٩٥ .

٦- الحميرى، الروض المعطار ص٢٤ ، ابن الخطيب، الاحاطة فى أخبار غرناطة جـ١ تحقيق عنان، القاهرة سنة ١٩٦٦ ص١٠٤ .

٧- يقول البكرى ، «واسم طليطلة باللاتينى ترلاطو ومعناه «فرح ساكنوها» ، يريدون لحصانتها وصناعتها. راجع وصفها أيضا (الحميرى ، الروض المعطار ص١٣٠، ١٣٥ .

٨- ياقوت ، معجم البلدان جـ٤ ص٤٠ .

٩- ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، وصفه لابن الشباط ص١٤٨ ، تحقيق أحمد مختار العبادى ، معهد الدراسات الإسلامية مدريد سنة ١٩٧١ .

خصائص محمودة[١] «اشتهرت بانتاجها الوفير من الزعفران[٢] الذى يصدر إلى جميع الجهات، «وطليطلة من أجل المدن قدرا وأعظمها شأنا ومن خاصيتها أن الغلال تبقى فى مطاميرها سبعين سنة لاتتغير »[٣]. كما أن حنطتها لاتسوس على مر السنين. وكانت طليطلة مركزا هاما لانتاج كثير من أنواع الفاكهة المختلفة أهمها «صنف من التين فى نهاية الحلاوة » [٤].

بعض المراكز الأخرى: مثل :

١- بجانة [٥]:

فهى ميناء يقع على ساحل الأندلس الجنوبى على مصب وادى أندرش شرقى المرية وبينها وبين المرية فرسخان[٦] ، وبجانة ذات أهمية تجارية عظيمة لوقوعها على الساحل الجنوبى للأندلس إذ كانت منفذا من المنافذ المؤدية إلى بلاد المغرب «كانت تجلب إليها الميرة- من بر العدوة»[٧]. وكان بها الكثير من الفنادق[٨] لنزول التجار والغرباء هذا وقد انتشرت بجانة طرز صناعة الحرير التى جنت من ورائها أرباحا وفيرة[٩].

١- ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٣٩ .

٢- ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٤٠ ، ابن غالب فرحة الانفس ص٢٨٨ .

٣- ياقوت ، معجم البلدان جـ٤ ص٤٠ ، القزوينى، آثار البلاد ص٤٤٦ .

٤- ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب جـ٢ ص١٧ ، حسين مؤنس المسلمون فى حوض البحر المتوسط ص١٢٣ .

٥- «كانت لبجانة (Pechina) أهمية كبيرة وكانت مرصدا للحراسة البحرية وحين بنى الخليفة عبد الرحمن الناصر المرية سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م نافست بجانة وذهبت بأهميتها وأصبحت المرية قاعدة بحرية عظيمة » أنظر (الحميرى، الروض المعطار ص٣٧، ياقوت ، معجم البلدان جـ٢ ص٦١ ، العذرى ص٨٢ ، ابن سعيد المغربى ، المغرب جـ٢ ص١٩٠، القزوينى آثار البلاد ، وأخبار العباد ص٥٠٩) .

٦- ابن سعيد المغرب جـ٢ ص١٩٠، ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص٣٣٩ .

٧- الحميرى ، الروض المعطار ص٣٨ .

٨- «كانت هذه الفنادق مبنية من الحجارة » (القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد ص٥٠٩) .

٩- الحميرى ، الروض المعطارص٣٨ .

٢- جيان :

كانت جيان أيضا من المراكز التجارية الهامة فى بلاد الأندلس وتقع فى شرق قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا [١]، وتعد جيان من أهم المراكز التجارية إنتاجا للحرير حيث يربى فيها «دود الحرير[٢] حتى أنها عرفت بجيان الحرير لكثرته[٣] فيها «بالإضافة إلى أنها كانت من أعظم مدن الأندلس وأكثرها خصبا وتشتهر برخص أسعار المواد الغذائية مثل اللحوم والحبوب[٤]. وكانت من أكثر بلاد الأندلس إنتاجا للفاكهة[٥] والقمح والشعير والباقلاء وسائر الحبوب[٦] وتميزت بكثرة الأسواق الجامعة والقرى ذات العمائر الواسعة[٧].

٣- المنكب : (Almunica)

وتقع على ساحل شبه جزيرة الأندلس وهى من أعمال البيرة بينها وبين غرناطة أربعون ميلا[٨]، ولم تكن مجرد دار لصناعة السفن[٨]، بل كانت تضم عددا كبيرا من الأسواق والأرباض مما جعلها مركزا هاما لتصدير عدة محاصيل أهمها قصب السكر والموز والزبيب[١٠].

١- ياقوت ، معجم البلدان جـ٢ ص١٩٥ .

٢- الادريسى، صفة المغرب ص٢٠٢ ، الحميرى، الروض المعطار ص٧٠ .

٣- ابن سعيد ، المغرب ص٥١ .

٤- ابن سعيد ، نفس المصدر السابق ص٥١ .

٥- القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص٢٢٩ .

٦- الحميرى، الروض المعطار ص٧٠ .

٧- الحميرى ، الروض المعطار ص٧١ ، ياقوت ، معجم البلدان جـ٢ ص١٩٥ .

٨- الحميرى، الروض المعطار ص٧١ ، ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص٢١٦ .

٩- القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص٢١٨ ، العمرى، وصف أفريقية ص٤٧ .

١٠- القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص٢١٨ ، العمرى ص٤٧ .

٤- البيرة :

أما البيرة فهى بين القبلة والشرق من قرطبة [١]، كثيرة الأشجار والأنهار «وما يطول ذكره من صنوف الخيرات»[٢]. وكانت للبيرة شهرة واسعة فى انتاج الحرير ونسجه[٣].

وكذلك غزل الكتان ونسجه [٤]، وكانت أكثر بلدان الأندلس انتاجا للفاكهة وخاصة الموز وقصب السكر[٥]، كما اشتهرت بانتاج أنواع من المعادن أهمها الذهب والفضة والحديد وحجر التوتيا[٦]. «والرخام من النوع اللين الذى يستعمل فى صناعة الأطباق والأكواب والأقداع حيث يصدر إلى معظم بلدان الأندلس»[٧].

مما سبق يتبين كيف كان الانتاج الاقتصادى وفيرا ببلاد الأندلس فى جميع مظاهره الزراعية والصناعة، فكانت الثغور نشطة والصناعات منطورة والانتاج غزيرا.

إلى أن سقطت الخلافة فأصاب الأندلس ما أصابها من نقص فى الانتاج واضطراب فى الاقتصاد .

أهم مراكز التجارة فى بلاد المغرب :

١- برقة :

كانت برقة من أهم المراكز التجارية فى بلاد المغرب فيصفها ابن حوقل بقوله : «وأما برقة فمدينة وسطه ليست بالكبيرة الضخمة ولا بالصغيرة ... ولها كور عامرة وغامرة ... وبها من التجار وكثرة الغرباء فى كل وقت ما لا ينقطع لما فيها من التجارة ، عابرين عليها مغربين

١- الحميرى، الروض المعطار ص١٨٦ .

٢- ابن سعيد ، المغرب جـ٢ ص٩١ .

٣- الاصطخرى ، المسالك والممالك ص٣٦، ياقوت معجم البلدان جـ١ ص٢٤٤ .

٤- ابن غالب ، فرحة الأنفس ص٢٨٤ ، ياقوت معجم البلدان ص٢٤٤ .

٥- القزوينى ، آثار البلاد وأخبار العباد ص٥٠٢ ، الحميرى ، الروض المعطار ص٢٤ .

٦- ياقوت، معجم البلدان جـ١ ص٢٤٤ ، الحميرى، الروض المعطار ص٢٤ .

٧- ابن غالب ، فرحة الأنفس ص٢٨٣ .

ومشرقين وذلك أنها تنفرد فى التجارة بالقطران الذى يسمى فى كثير من النواحى كهو، والجلود المجلوبة للدباغ بمصر والتمور الواصلة إليها من جزيرة أوجلة، ولها أسواق حادة حارة من بيوع الصوف والفلفل والعسل والشمع والزيت وضروب المتاجر الصادرة من الشرق والواردة من الغرب[١].

وكانت برقة من أهم مراكز صنعة الجلود ودبغها ، وكانت تصدر كميات وفيرة منها[٢].

كما كانت من أهم مراكز عصر الزيوت وخاصة زيت الزيتون [٣]، وقد أوضح البكرى فى كتابه أهمية مدينة برقة التجارية بقوله : «وهى دايمة الرخاء كثيرة الخيرات وأكثر ذبايح أهل مصر منها ويحمل منها إلى مصر الصوف والعسل والقطران»[٤].

ويضيف ياقوت «وفى مدينة برقة أسواق ومنبر ولها عدة محارس»[٥].

٢- طرابلس :

أم مدنية طرابلس فكانت من أهم المراكز التجارية فى بلاد المغرب[٦] فهى خصبة الأرض تكثر بها الفواكه ، وكان مرساها صالحا لرسو السفن[٧]، وكانت المراكب تحط عليها ليلا ونهارا وترد اليها التجارة على مر الأوقات والساعات صباحا ومساء من بلد الروم وأرض المغرب مليئة بضروب الأمتعة والمطاعم[٨].

وتكثر بها الأسواق[٩] التى كانت حافلة جامعة بمختلف أنواع السلع والتجارات[١٠].

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٦٩ .

٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٦٩ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٦٩ .

٤- البكرى، المغرب فى ذكر بلاد افريقية والمغرب ص٥ .

٥- ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص٣٨٩ .

٦- ياقوت ، معجم البلدان جـ٤ ص٢٥ .

٧- ابن حوقل صورة الأرض ص٧٢ .

٨- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٢ .

٩- ابن حوقل، صورة الأرض ص٧٢ .

١٠- ياقوت ، معجم البلدان جـ٤ ص٢٥ .

وكانت هذه الأسواق بها الكثير من النفادق والحمامات[١] المجهزة لخدمة التجار الوافدين ، كما عرفت بانتاج «الصوف المرتفع وطبقان الأكسية الفاخرة الزرق، والكحل النفوسية * والسود والبيض الثمينة»[٢].

كما اشتهرت بتجارة الرقيق الأبيض والأسود ، وذلك لموقعها على رأس احدى الطرق التجارية الهامة المؤدية إلى السودان[٣] ، ومنها أى طرابلس - كانوا يرسلون إلى الشرق الإسلامى. وأكثر أهل طرابلس تجار يسافرون برا وبحرا ويعرفون بالسماحة وحسن المعاملة[٤].

٣- القيروان :

لم تكن حاضرة تونس فحسب إنما كانت من أعظم المراكز التجارية فى بلاد المغرب، وصفها المقدسى بقوله : «بأنها مفخر المغرب ومركز السلطان»[٥].

وترجع أهمية القيروان التجارية إلى أنها كانت مصدرا لتصدير القمح إلى الاسكندرية والرقيق السودانى إلى بلاد البحر المتوسط الشرقية، وربما إلى الأندلس أيضا[٦]، وأضاف الادريسى أيضا فى وصفه اياها قوله : «أم أمصار، وثاعدة أقطار، وكانت أعظم مدن المغرب قطرا وأكثرها بشرا، وأيسرها أموالا، وأوسعها أحوالا واتقنها بناء، وأنفسها وأربحها تجارة وأكثرها جباية وأنفقها سلعة، وأنماها ربحا»[٧].

١- البكرى، المغرب ص٧٠ .

* لم أجد فى المراجع المتداولة فى هذه الحواشى ما يساعد على التعريف بلفظ النفوسية، ولعله نوع من الألوان .

٢- ابن حقول، صورة الأرض ص٧٢ .

٣- ارشيبالد لويس، القوى البحرية والتجارية ص٣٣٠ .

٤- مجهول، الاستبصار ص١١٠ .

٥- المقدسى، احسن التقاسيم ص٢٢٥ .

٦- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ص٢٥٣ .

٧- الادريسى، صفة المغرب ص١١٠ .

ويقول البكرى إن حوانيت القيروان كانت مصطفة على طول الطريق داخل أسواقها وأنها كانت تمتد الحوانيت حوالى ميلين[١]، وكانت هذه الأسواق تعقد يومى الخميس[٢] والأحد[٣]، بل كانت هذه الأسواق متنوعة ومتخصصة ، يقول المقدسى : «فهناك سوق العطارين وسوق اللحامين والصباغين والرماحين»[٤].

٤- قابس :

وتقع على ساحل البحر غربى مدينة طرابلس [٥]، وكانت مركزا لانتاج أطيب الحرير وارقه «وليس يعمل بأفريقية حرير إلا بها»[٦].

كما اشترت بصناعة دبغ الجلود التى تصدر إلى معظم بلاد المغرب[٧] كما اشتهرت بزراعة الزيتون وعصره[٨] «وهى كثيرة الثمار ... والموز بها كثير وليس بافريقية موز إلا فيها»[٩].

ومدينة قابس حافلة بالأسواق والفنادق[١٠] والحمامات [١١]، كما كانت مرفأ تردها السفن من كل مكان[١٢].

١- البكرى ، المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب ص٢٥ .

٢- المقدسى، أحسن التقاسيم ص٢٢٥ .

٣- القيروانى، قضاة قرطبة وعلماء أفريقية ص٢٣٢ .

٤- المقدسى، أحسن التقاسيم ص٢٢٥ .

٥- ياقوت، معجم البلدان جـ٤ ص٢٨٩ .

٦- ياقوت، المصدر السابق جـ٤ ص٢٨٩ ، مجهول ، الاستبصار ص١١٣ ، الادريسى، صفة المغرب ص١٠٦ ، البكرى، المغرب ص١٧ .

٧- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٢ .

٨- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٢ ، والادريسى، صفة المغرب ص١٠٦ .

٩- مجهول ، الاستبصار ص١١٣ .

١٠- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٢ .

١١- البكرى ، المغرب ص١١٧ ، مجهول ، الاستبصار ص١١٣ .

١٢- البكرى، المغرب ص١١٧ .

٥- المهدية [١]:

أما مدينة المهدية فكانت من أهم المراكز التجارية فى بلاد المغرب في القرن الرابع الهجرى، بعد أن أسسها الخليفة الفاطمى عبيدالله المهدى سنة ٣٠٣هـ.

وتقع المهدية على بعد ستين ميلا جنوبى القيروان[٢] ، ويحيط بها البحر من ثلاث جهات[٣]. وكانت المدينة سوقا نافقة مايئة بالسلع التى كانت تحملها السفن من الاسكندرية والشام وصقلية والأندلس وغيرها[٤]. «وهى نظيفة المنازل والدور ، حسنة الحمامات والخانات، خصبه رفه الفواكه والغلات»[٥] «طيبة الدخل»[٦] وكانت ذات مرسى عظيم منقور فى حجر صلد يسع ثلاثين مركبا[٧].

وقد رتب الخليفة عبيدالله المهدى أرباب المهن وجعل لكل طبقة منهم سوقا خاصة[٨].

وتتميز أسواق المهدية بأنها كانت مبنية من الصخر ولها بابان من حديد لاخشب فيها، زنة كل واحد منهما ١٠٠٠ قنطار ، وطوله ٣٠ شبرا، كما أن بها ٣٦٠ ماجلا للمطر[٩].

١- أنظر :

Derek Hill : Islamic Architecture in North Arica.

أعطانا تفصيلات قيمة عن عمارة المهدية صفحات ١٠٢ إلى ١٠٦ وفى اللوحة رقم ١٥٢ أورد صورة نادرة لجامع المهدية من العصر الفاطمى تعتبر الأولى من نوعها وقد تأثرت بها العمارة الفاطمية فى مصر حتى العصر المملوكى.

٢- البكرى، المغرب ص٢٩، الاصطخرى ، المسالك والممالك ص٣٨ ، ٣٩ .

٣- البكرى ، المغرب ص٢٩ ، مجهول ، الاستبصار ص١١٧ .

٤- البكرى، المغرب ص٢٩ .

٥- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٣ .

٦- Heyd , Histoire du commerce, Tome Ip. 43 , 44 .

٧- ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٢٣١ ، القزوينى، آثار البلاد ص٢٠٦ .

٨- ياقوت، معجم البلدان جـ٥ ص٢٣١ ، البكرى، المغرب نفس المصدر ص٣٠ ، ٣١، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الاسلام جـ٣ ص٥٩٨، عبيدالله المهدى ص٢٠٥ .

٩- مجهول الاستبصار ص١١٧ ، ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص٢٣١ .

وكان لها ضاحية كبيرة تعرف بزويلة فيها الأسواق والحمامات .

وقام الخليفة الفاطمي عبيدالله المهدي باسكان أرباب المهن من البزازين وغيرهم في الدكاكين المقامة داخل الأسواق بزويلة[١].

٦- سوسة :

أما سوسة فكانت من أهم المراكز التجارية في بلاد المغرب لوقوعها على الساحل ، فكانت مرفأ من أهم المرافيء التجارية الموجودة في بلاد المغرب، وهي في جنوب تونس يذكرها القلقشندي بقوله : «وهي مدينة أزلية بها سوق وفنادق وحمامات وهي عامرة بالماس، كثيرة المتاجر، والمسافرون إليها قاصدون وعنها صادرون ، وعليها سور من حجر حصين»[٢].

وتتميز مدينة سوسة بكثرة الأسواق والفنادق والحمامات[٣] ويؤكد ابن حوقل هذا المعنى بقوله: «وهي احدى فرض البحر ولها أسواق حسنة وفنادق وحمامات طيبة وبها رباط يعرف بالمستنير يقصده أهل أفريقية لوقت من السنة فيقيمون فيها أياما معلومة ، ويحضر بفاخر الأطعمة ونفيس المأكل ويقيم جمعهم به مدة ثم يتفرقون إلى أوطانهم[٤].

واشتهرت سوسة بانتاجها الوفير من الكتان حيث كان يزرع فيها بكميات وفيرة وأنشئت بها مصانع لغزل ونسج الكتان[٥]، وأكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة وكان ثمن الثوب منها في بلدها عشرة دنانير «ويحمله التجار إلى جميع البلاد شرقا وغربا ويباع الغزل بها زنة المثقال بمثقالين ذهب»[٦]. كما أقيمت في مدينة سوسة دار لصناعة السفن والمراكب[٧].

١- ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص٢٣١ ، القزويني، آثار البلاد ص٢٧٦ .

٢- القلقشندي، صبح الأعشى جـ٥ ص١٠٣ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٦٥ .

٤- ابن حوقل ، المصدر السابق ص٧٥ .

٥- حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة جـ٢ ص٧٣ ، ٧٤ .

٦- ياقوت ، معجم البلدان جـ٣ ص٢٨٢ .

٧- مجهول ، الاستبصار في عجائب الأمصار ص١١٩ ، الادريسي، صفة المغرب ص١٢٥ ، البكري ص٣٤، ٣٦ .

٧- سجلماسة :

من أهم المراكز التجارية فى بلاد المغرب على طرف الصحراء وبينها وبين غانة فى بلاد السودان شهرين[١] . وترجع أهمية مدينة سجلماسة التجارية فى المغرب إلى أنها مركز لتجارة الذهب[٢] والوارد من بلاد السودان[٣]. ويقول القلقشندى : «وهى كثيرة العمارة كثيرة البساتين ، رائعة البقاع ذات قصور ومنازل رفيعة ... وبها الرطب والتمر والعنب الكثير والفواكه الجمة وأهلها مياسير ولها تجارة إلى بلاد السودان يخرجون إليها بالملح والنحاس والودع ويرجعون منها بالذهب والتبر[٤] . ويقول المقدسى: «فسجلماسة من المدن التجارية التى اشتهرت بوجود الذهب والفضة فى رستاقها»[٥].

وقامت بالمدينة صناعة غزل ونسج الصوف فكان لنسائهم صناعة عجيبة فى غزل الصوف ونسجه[٦] وكان ثمن الثوب يبلغ أزيد من عشرين مثقالا [٧]، فضلا عن بساتينها ونخيلها وأعنابها وفاكهتها[٨] ، وكانت تنتج من التمر نحو ستة عشر صنفا منه «وأكثر أقوات أهل سجلماسة من التمر»[٩].

كما اشتهرت بانتاج عدة أنواع من الحبوب الغذائية مثل القمح[١٠] والذرة[١١]، ويذكر

١- مجهول ، الاستبصار ، المصدر السابق ص٢٠٠ ، ٢٠١ .

٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٩٩ . Bovill, E. W. : The Golden Trade of the Moors p. 235.

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٩٩ .

٤- القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص١٦٤ .

٥- المقدسى، أحسن التقاسيم ص٢٣٠ .

٦- ياقوت، معجم البلدان جـ٣ ص١٩٢ ، البكرى ص١٤٧ .

٧- البكرى ص١٤٧ ، مجهول ، الاستبصار ص٢٠١ .

٨- مجهول ، الاستبصار ص٢٠١ .

٩- ياقوت ، معجم البلدان جـ٣ ص١٩٢ ، القزوينى ، آثار البلاد ص٤٢ .

١٠- يصف البكرى قمح سجلماسة «وقمحهم دقيق حين يسع مد النبى صلى الله عليه وسلم خمسة وسبعين ألف حبه» البكرى، المغرب ص١٥١ .

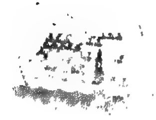
١١- ابن رسته ، الأعلاق النفيسة ص٣٥٩ .

ابن حوقل أن حصيلة الضرائب التى فرضت على أنواع الانتاج الاقتصادى والتجارى بلغت حول ٤٠٠,٠٠٠ ألف دينار فى السنة [١].

وفى القرن الرابع الهجرى زادت أهمية سجلماسة التجارية لما بلغته من شهرة فى تجارة الذهب وغيرها من أنواع التجارة، يصف ابن حوقل مدى ما وصلت إليه سجلماسة من ازدهار ورخاء بقوله: «وسجلماسة مدينة حسنة الموضع جليلة الأهل فاخرة العمل وأهلها قوم مياسير يباينون أهل المغرب فى المنظر والمخبر وأبنيتها كأبنية الكوفة إلى أبواب رفيعة على قصورها مشيدة عليه[٢].

٨- فاس :

وهى من أهم المراكز التجارية فى بلاد المغرب الأقصى ، لأنها «قريبة من وادى سبو الذى تسيل منه القوارب والسفن إلى البحر الأعظم وتطلع منه إلى ملتقى واديها »[٣] وتحتوى مدينة فاس على أكثر من ثلاثمائة رحى [٤]، كما تحتوى على نحو عشرين حماما [٥].كما حوت مدينة فاس عددا كبيرا من الخانات التى ينزل بها التجار الغربا »[٦]، ومدينة فاس كثيرة الخصب والرخاء ، كثيرة البساتين والمزروعات والفواكه ، وجميع الثمار »[٧]، وترجع أهمية فاس كمركز تجارى هام إلى وفرة المحاصيل الزراعية والصناعات المختلفة، فقد عرفت بانتاج عدة أصناف من الفاكهة أهمها التفاح فى عدوة الأندلسيين» حسن طيب الطعم يعرف بالطرابلسى »[٨] كما اشتهرت أيضا بانتاج التين[٩] وكذلك الزيتون [١٠].



١- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١٠٠ .
٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٩٠ .
٣- الجزناتى ، زهرة الأس فى بناء مدينة فاس ص٣٣ .
٤- البكرى، المغرب ص١١٥ ، ١١٦ .
٥- البكرى ، المصدر السابق ص١١٥ .
٦- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٨٩ .
٧- مجهول ، الاستبصار ص١٨١ .
٨- مجهول ، الاستبصار ص١٨١ ، القلقشندى ، صبح الأعشى جـ٥ ص١٥٤ .
٩- المقدسى، أحسن التقاسيم ص٢٢٩ .
١٠- المقدسى، أحسن التقاسيم ص٢٢٩ .

ولم تكن مدينة فاس مركزا لانتاج الفاكهة فحسب، إنما كانت مدينة صناعية أيضا اشتهرت بعدة صناعات مختلفة يذكرها ابن سعيد المغربى بقوله : «وهى من خواص المغرب الملاء بالخيرات والصنائع الغريبة»[١]، فامتلأت مدينة فاس بالمصانع المختلفة ومنها دور الطراز ، ويقول الجزنائى : «والاطرزة ثلاثة آلاف وأربعة وتسعين ودور عمل الصابون سبعة وأربعين ودور الدباغين ستة وثمانين ودور الصباغ مائة وستة عشرة وكل ذلك بداخل المدينة»[٢].

كما عرفت المدينة بصناعة المنسوجات والجلود والمصنوعات الخشبية والخزفية والمعدنية [٣]، وكان يصنع بها الأرجوان، والأكسية القرمزية[٤] وبرع أهلها فى صناعة الأدوات المصنوعة من النحاس [٥]. ويقول الادريسى «ومدنية فاس هى حاضرتها الكبرى ومقصدها لزشهر وعليها تشد الركائب وإليها تقصد القوافل ويجلب إلى حضرتها كل غريب من الثياب والبضائع والأمتعة»[٦].

وكانت بها دارات لسك العملة واحدة فى عدوة القرويين والأخرى فى عدوة الأندلسيين ، وكانت هذه الدور تسك العملة الذهبية [٧].

١- ابن سعيد، بسط الأرض فى الطول والعرض ص٧٤ .

«دار الطراز» : وهى المصنع الذى تقيمه الدولة حيث تقوم صناعة الطراز، وهى الملابس وقد عرف أيضا باسم دار الديباج وكان على رأس الادارة فى هذه المصانع الحكومية دائما موظف كبير يختار من بين الفقهاء أو رجال الحرب، وقد تصنع فى هذه المصانع الملابس لرجال الدولة على طبقاتهم وقد تعمل للأغراض التجارية كذلك «دائرة المعارف الإسلامية، مادة طراز» .

٢- الجزناتى ، زهرة الأس ص٣٣ .

٣- عبد العزيز عبد الله، الأثار الإسلامية بالمغرب ، المؤتمر الثالث ى البلاد العربية المنعقد فى فاس نوفمبر سنة ١٩٥٩ ص٣٧٩، القاهرة ١٩٦١ .

٤- ياقوت ، معجم البلدان جـ٤ ص٢٣٠ .

٥- مجهول ، الاستبصار ص١٨١ ، القلقشندى ، صبح الأعشى جـ٥ ص١٥٧ .

٦- الادريسى، صفة المغرب ص٧٩ .

٧- محمد المنونى العلوم والآداب والفنون ، على عهد الموحدين تطوان سنة ١٩٥ .

بعض المراكز الأخرى:

وهناك عدة مراكز تجارية أخرى هامة منها طبرق ، مثلا التى كانت كثيرة القمح والشعير» ولها من الغلات والزروع مالم يتوافر بجميع بلاد المغرب ... وهى كثيرة الرخاء وافرة الأرباح على تجارها والمزارعين بها واشتهرت بكثرة ورود المراكب الأندلسية والتجار عليها ونزولهم بها وتعشيرهم فيها »[١]. ومدينة المنصورية شيدها الخليفة المنصور سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م ابن القائم ونقل الخليفة المعز أسواق القيروان إليها فاجتمعت بها جميع الصناعات[٢] فأصبحت «شديدة العمارة كثيرة الأسواق »[٣] أما مدينة مرسى الخرز فتعد من المراكز التجارية على الساحل وبها معدن المرجان ، ويقصدها التجار من المراكز التجارية على الساحل وبها معدن المرجان، ويقصدها التجار من كل مكان ولهم أموال كثيرة من سماسرة بيع المرجان وشرائه [٤].

أما مدينة بونة ووهران وتنس فقد نشطت بها الحركة التجارية وخاصة مع بلاد الأندلس، فقد امتلأت تلك المدن بأنواع مختلفة من السلع والبضائع[٥].

نضيف إلى ذلك كله تاهرت التى كانت من المراكز التجارية المليئة بمختلف أنواع السلع والبضائع «فبأرضها مزارع وضياع جمة وأسواق عامرة»[٦].

وكان يصنع بمدينة تونس نوع من القماش عرف باسم القماش الافريقى وهو نسيج خليط من القطن والكتان معا[٧] كما كان يعمل بها غضار حسن الصباغ[٨]، وكانت صناعة الخزف بها فى جودة الخزف العراقى المجلوب [٩].

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٦ .

٢- البكرى، المغرب ص٢٥ ، ياقوت معجم البلدان جـ٥ ص٢١٠ .

٣- المقدسى ، أحسن التقاسيم ص٢٢٦ .

٤- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٦ .

٥- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ص٣٣ .

٦- البكرى، المغرب ص٦٠ .

٧- القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص١٠٢ ، العمرى، مسالك الأبصار ص٤٧ .

٨- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٥ «الغضار الطين الحر، وقيل الطين الأخضر».

٩- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٥ والغضار ، الصفحة المتخذة منه .

وزويلة كانت تقع فى قلب الصحراء «تقرب من بلاد كانم وهى من السودان »[١] وكان لازدياد نشاط التجارة فى مدينة زويلة أن أقيمت بها الحمامات والأسواق «يجتمع بها الرفاق من كل جهة »[٢]. واشتهرت هذه المدينة بتجارة الرقيق [٣].

وكانت بلاد السوس الأقصى تضم عدة مدن أهمها تارودنت وهى من أكثر البلاد شهرة فى انتاج قصب السكر وتصديره إلى الخارج وخاصة إلى بلاد الأندلس [٤]، وكانت غدامس مركزا تجاريا هاما فى الصحراء على طريق بلاد الكانم[٥]. واشتهرت بتصدير الجلود[٦]، وإليها ينسب الجلد الغدامسى[٧].

أما جزائر بنى مزغناى فهى مدينة ساحلية كثرت بها الأسواق الرائجة وأكثر تجارتهم المواشي ويجلب منها التين إلى القيروان ويتاجر أهلها فى العسل والحنطة والشعير لأنه يزيد عن حاجتهم[٨].

ومدينة تنس كان يقصدها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها [٩]، يقول ابن سعيد : «وأول ما يلقاك منه مدينة تنس وهى مشهورة بكثرة القمح ومنها يحمل فى المركب إلى سواحل الأندلس[١٠]».

وكانت السفن القادمة من البحر المتوسط تدخل بجاية التى اشتهرت بصناعة الزجاج[١١].

١- مجهول ، الاستبصار ص١٤٦ ابن منظور ، لسان العرب .

٢- البكرى، المغرب ص١٠ .

٣- مجهول ، الاستبصار ص١٤٦ .

٤- مجهول، نفس المصدر ص٢١٢ .

٥- أبو الفدا ، تقويم البلدان ص١٤٧ ، القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص١٠٨ .

٦- القلقشندى ، المصدر السابق جـ٥ ص١٠٨ ، مجهول ، نفس المصدر ص١٤٥ .

٧- ياقوت ، معجم البلدان جـ٤ ص١٨٧ ، مجهول الاستبصار ص١٤٥ .

٨- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٨ .

٩- ابن حوقل ، صورة الأرض ٧٨ .

١٠- ابن سعيد ، الجغرافيا ، تحقيق اسماعيل العرب جـ١ بيروت سنة ١٩٧٠ ، ص١٤٢ .

١١- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية والتجارية ص٣٣٠ ، Marcaiz La Beberie Orientale p. 18.

وترجع أهمية سبته التجارية إلى أنها تقع بين بلاد المغرب والأندلس، يقول ابن سعيد : «وهذه المدينة بين بحرين وهى ركاب البحرين تشبه الاسكندرية فى كثرة الحط والاقلاع وفيها التجار الأغنياء الذين يتبايعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها فى صفقة واحدة»[٢].

وقد كثرت فى مدينة سبتة أشجار الفاكهة المختلفة واشتهرت بزراعة قصب السكر وكان يحمل منها إلى ما جورها من البلدان [٣]، كما اشتهرت بكثرة مصايدالأسماك [٤]، ومرساها من أجود المراسى على البحر وهى تشبه المهدية من هذه الناحية[٥] وتقع سبتة على ساحل مضيق جبل طارق[٦]، وازدهرت بها تجارة الذهب القادمة من السودان إلى الأندلس، فقد كانت تنقل عن طريق سبتة كما كانت قفصة تصدر زيتها إلى مصر وصقلية وأوربا وعدة جهات أخرى من بلاد المغرب [٧].

وتصنع بقفصه أردية وطاليس وعمائم من صنوف فى نهاية الرقة تضاهى ثياب الشرب، وتصنع بها أوان للماء من خزف تعرف بالريحية، شديدة البياض فى نهاية الرقة ... ويصنع بها زجاج حسن، وأوان عجيبة وأوان مذهبة غريبة [٨].

مما تقدم يتبين فى وضوح أن بلاد المغرب لم تكن تقل عن الأندلس تنوعا فى مصادر الثروة وغنى فى التجارة ووزنا اقتصاديا عظيم القيمة. كان البلدان كفتان متعادلتان .

بعد أن عرضنا لمراكز التجارة فى القطرين على نحو ما ورد فى المراجع القديمة .

سوف نعرض بعد هذا لأهم الطرق التجارية التى كانت تربط هذه المراكز بعضها ببعض باعتبارها مسالك للحاصلات الزراعية والمنتجات الزراعية .

١- القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص١١١ .

٢- ابن سعيد ، كتاب الجغرافيا ص١٣٩، ابن حوقل ، المسالك والممالك جـ١ دى غوية ليدن جـ١ بريل سنة ١٨٧٣ ص٥٤ .

٣- ابن سعيد ، تحفة الأنظار ص٢٧ .

٤- القلقشندى ، صبح الأعشى جـ٥ ص١١١ .

٥- ياقوت ، معجم البلدان جـ٣ ص١٨٢ .

٦- البكرى ، المغرب ص١٠٣ .

٧- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية ص٢٣٢ .

٨- البكرى ، المغرب ص٢٠ .

الطرق التجارية فى الأندلس والمغرب

الطرق التجارية فى بلاد الأندلس

اهتم الخلفاء الأمويون فى بلاد الأندلس بتأمين الطرق التجارية داخل البلاد ، فاهتموا بتوفير الفنادق والحمامات وذلك لخدمة التجار والمسافرين [١].

ولقد توفرت للبلاد شبكة من الطرق التجارية التى سهلت ربط المدن والمراكز التجارية الأندلسية بعضها ببعض مما كان له أكبر الأثر فى انتعاش التجارة داخل الأندلس وخارجها.

فمن مدينة قرطبة حاضرة الأندلس كانت تخرج شبكة من الطرق التجارية عددها ستة[٢]، وهى على النحو التالى:

طريق من قرطبة إلى أشبيلية[٣] فقادس ، فالجزيرة الخضراء ، وعند أشبيلية يتفرع طريق آخر يذهب إلى شلب [٤].

أما الطريق الثانى فيخرج من قرطبة إلى طليطلة[٥] فسرقسطة فلاردة[٦] والطريق الثالث من قرطبة إلى غرناطة إلى مرسية فبلنسية[٧] فطرطوشة فلاردة[٨] ، والرابع من قرطبة إلى مالقة مارا بأستجة ثم إلى مرسية[٩] ثم يتلقى بالسابق.

أما الطريق الخامس فيمضى من قرطبة إلى المعدن[١٠] إلى قورية فسلمنقة

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١١١ .

٢- حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس مدريد ١٣٨٦هـ- ١٩٦٧م ص٢٨٨ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١١٠ .

٤- حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ص٢٨٨ ، وابن حوقل، صورة الأرض، نفس الصفحة .

٥- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١١١ .

٦- حسين مؤنس، الجغرافية والجغرايون، ص٢٨٨ .

٧- ابن حوقل، صورة الأرض ص١١١ .

٨- حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون، نفس الصفحة.

٩- ابن حوقل، صورة الأرض ص١١١ .

١٠- ابن حوقل ، المصدر السابق ص١١٠ .

قسمورة[1] والطريق السادس من قرطبة إلى الجزيرة الخضراء مارا باستجة ومورور وشذونة[2].

وتوفرت لبلاد المغرب كذلك شبكة من الطرق التجارية عبرت جميع أنحاء البلاد.

فمن القيروان كانت تخرج عدة طرق تتجه جنوبا ، فيخرج طريق من القيروان متجها إلى مدينة قفصة وطريق آخر من القيروان ويتجه إلى نفزاوة ويمتد هذا الطريق حتى يصل مدينة قسطيلية ثم يتجه صوب غدامس[3].

وإلى الجنوب أيضا يخرج طريق من مدينة طرابلس إلى مدينة زويلة مارا بجبل نفوسة وطريق آخر من مدينة أجدابية إلى زويلة، وطريق من مدينة سرت إلى زويلة يقطع في اثنى عشر يوما [4].

ومن مدينة فاس كان يخرج طريق يتجه إلى القيروان فيمر بتازا وتلمسان ومنها إلى تيهرت ثم المسيلة ثم يتجه غربا إلى مكان يسمى مسكيانة ومن هذا المكان يتفرع الطريق إلى فرعين أحدهما يمر بمدينة تبسة وإلى الشمال من هذا الطريق يخرج الفرع الآخر يمر بمدينة مجانة ومنها إلى القيروان [5].

كما كان يخرج من مدينة القيروان طريق إلى طرابلس ، يمر بمدينة قابس وصبرة ، ومن طرابلس يتجه الطريق إلى مدينة سرت ومنها إلى أجدابية ثم إلى مدينة برقة [6].

أما مدينة فاس فكانت تخرج منها مجموعة من الطرق: طريق يخرج من فاس ويتجه شمالا نحو سبتة وطنجة[7]. ومن فاس أيضا تخرج عدة طرق أخرى تتجه إلى الداخل ، الأول : إلى مدينة سجلماسة ، والثاني يتجه نحو أغمات ثم يمتد إلى السويس ويخرج طريق من سجلماسة إلى أغمات وطريق آخر من درعة إلى سجلماسة [7].

١- حسين مؤنس ، الجغرافية والجغرافيون ص٢٨٩ .

٢- حسين مؤنس ، نفس المرجع ونفس الصفحة .

٣- البكري، المغرب ص١٠ ، ص١١ .

٤- البكري، المغرب ، ص١٤١ ، ص١٤٦ .

٥- البكري ، المغرب ، ص٦ ، ص١٧ .

٦- البكري، المغرب، ص١٠٩ ، ص١١٥ .

٧- البكري، المغرب ص١٤٦ .

التجارة الداخلية فى الأندلس والمغرب

فإلى أي حد خدمت هذه الطرق التجارية الداخلية فى البلدين ؟

تمركزت التجارة الداخلية فى الأسواق التى أنشئت لمزاولة النشاط التجارى والصناعى فى بلاد الأندلس والمغرب وذلك لممارسة الصنائع والحرف المختلفة وممارسة البيع والشراء .

ولذا كانت الأسواق التجارية فى الأندلس والمغرب محورا للحياة الاقتصادية .

ولم تختلف أسواق الأندلس والمغرب فى نظمها عن باقى أسواق البلدان الإسلامية الأخرى، فقد كانت معظم هذه الأسواق ذات نظم وقوانين متشابهة .

ومما هو جدير بالذكر أن أول من قام بترتيب الأسواق التجارية فى البلدان الإسلامية الخليفة هشام بن عبد الملك[١]، وكانت القيروان من أول المدن الإسلامية فى بلاد المغرب التى حظيت باهتمامه إذ أمر بترتيب أسواقها[٢] ثم قام الوالى العباسى يزيد بن حاتم المهلبى سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٢م بترتيب أسواق القيروان وجعل كل صناعة فى مكان خصص لها[٣].

أما الخليفة عبيدالله المهدى فقد قام بترتيب أرباب المهن وجعل لكل طبقة سوقا خاصة[٤] فى حاضرته الجديدة المهدية .

فى حين قام الخليفة الحكم المستنصر بتنظيم الأسواق داخل مدينة قرطبة فأمر صاحب السوق أحمد بن نصر باخلاء دار البُرد وتوسيعها ونقل البرازين إليها «لينفسح يوسقهم وتستوعب صناعتهم إذ شكوا بضيقها»[٤] كما أمره أيضا بتوسيع سوق قرطبة «لضيقها عن مخترق الناس وازدحامهم فيها ... كى ينفسح الطريق ولايضيق بالواردين والصادرين[٥].

١- البكرى، المغرب ص٢٦ ، حسن حسنى ، عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية ، قسم ٢ ص٦٩ .

٢- ابن عذارى، البيان جـ١ ص٦٨ .

٣- البكرى، المغرب ، ص٣٠ ، ص٣١ ، حسن ابراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسى جـ٣ ص٥٩٨، ياقوت ، معجم البلدان جـ٥ ص٢٣١ .

٤- ابن حيان ، المقتبس ، ص٦٦ .

٥- ابن حيان ، المقتبس ص٧١ «كانت هذه الدار من بنيان الأمير عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)، نفس المرجع والصفحة .

كذلك قام الخليفة المنصور الفاطمى ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م بتنظيم أسواق مدينة المنصورية ورتب بها جميع الصناعات[١] ويبدو أن هذه الأسواق كانت تقام فى أماكن قريبة من المسجد الجامع الكبير[٢] فكانت غالبية أسواق قرطبة تحيط بجامع قرطبة [٣]. أما أسواق مدينة القيروان فكانت تحيط بالمسجد الجامع فى موضع يسمى السماط الكبير[٤] وانتشر هذا النظام فشمل جميع بلاد الأندلس والمغرب[٥]، وكان معظم التجار المسلمين يتخذون منازلهم بالقرب من الأسواق لممارسة تجارتهم وأعمالهم[٦].

وكانت أسواق بلاد الأندلس والمغرب لاتختلف كثيرا عن باقى الأسواق التجارية فى باقى المدن الإسلامية الأخرى وكانت المتاجر تعرض بطريقة تجذب المشترين[٧] وأغلبها كان مرتبا ترتيبا حسنا بحيث تخصصت كل سوق فى بيع سلعة معينة[٨] من السلع التجارية.

كانت كل سوق من الأسواق تضم عدة متاجر تتاجر فى سلعة واحدة[٩] وكان كل نوع من أنواع التجارة أو حرفة من الحرف يحتل دربا أو سوقا باسمه[١٠] كسوق العطارين وسوق الفاكهة وسوق النحاسين[١١] وفى قرطبة مثلا سوق للخشابين[١٢] كما وجد فى مدينة القيروان سوق للصباغين وآخر للحامين وغيرها للرماحين[١٣].

١- البكرى، المغرب ص٢٥ .

٢- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ص٩٩ ، سنة ١٩٦٣، حسن حسنى عبد الوهاب ، ومضات من الحضارة العربية قسم ٢ ص٦٨ ط تونس سنة ١٩٦٦ .

٣- Levi Provencal, L'esp. Musul. aux. S.p. 181 .

٤- المقدسى ، أحسن التقاسيم ص٢٢٥ .

٥- حسن حسنى عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية بافريقية جـ١ ص٥٨ ، ص٥٩ .

٦- عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٠٠ .

٧- ديمومبين ، النظم الإسلامية ص٢٩٤ .

٨- المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ص٢٢٥ .

٩- عثمان الكعاك ، الحضارة العربية فى البحر المتوسط ص٦٦، المقدسى أحسن التقاسيم ص٢١٥ .

١٠- السقطى، آدب الحسبة ص٣٢ ، ابن عبدون ثلاث رسائل فى الحسبة ص٤٤ .

١١- عثمان الكعاك ، الحضارة العربية ص٦٦ .

١٢- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص٥٧ .

١٣- عثمان الكعاك ، الحضارة العربية ص٦٦ .

وقد تميزت الأسواق التجارية فى المغرب والأندلس بالنظافة وحسن الترتيب ، يذكر ابن حوقل أن أسواق مدينة فاس كانت ترش طرقاتها بالماء فى الصيف للتخفيف من شدة الحرارة[١] وللمحافظة على نظافتها.

ومما هو جدير بالذكر أن هذه الأسواق لم تكن مكانا لممارسة النشاط التجارى من بيع وشراء وتجارة صادرة أو واردة فقط، وإنما عبارة عن مدارس لأصحاب الحرف التى تقوم بتعليم الصبيان أصول تلك الصنعة[٢]. كما كان لهذه الأسواق آدابها العامة كأن يمنع من اختلاط الرجال بالنساء فى أماكن البيع داخل الأسواق[٣].

هذه الأسواق كانت لها أيام معينة يعرض فيها التجار بضائعهم فأسواق مدينة شوزر من كورة جيان بالأندلس تعقد يوم الثلاثاء[٤] أما سوق مدينة قرمونة فكان يعقد يوم الخميس[٥] وسوق مدينة قبرة[٦] يعقد يوم الخميس[٧] كذلك أما فى بلاد المغرب فكان سوق مدينة القيروان يعقد يومين فى الأسبوع وهما يوما الأحد[٨] والخميس[٩] وسوق مدينة سبتة يعقد يوم الجمعة[١٠]. وسوق مدينة أصيلا يعقد يوم الجمعة أيضا [١١].

١- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٨٩ .

٢- ابن حيان ، المقتبس تحقيق الحجى ص٢٠٧ .

٣- الطرطوسى ، الحوادث والبدع ، تحقيق الطالبى ص٤١ .

٤- الحميرى ، الروض المعطار ص١١٧ .

٥- الحميرى، الروض المعطار ص١٥٩ .

٦- قبرة مدينة بالاندلس على بعد ثلاثين ميلا من قرطبة (الحميرى ، الروض المعطار ص١٤٩) .

٧- الحميرى، نفس المصدر ص١٤٩ .

٨- القيروان ، قضاة قرطبة وعلماء افريقية ص٢٣٢ .

٩- المقدسى، أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم .

١٠- البكرى، المغرب ص١٠٨ .

١١- البكرى ، المغر ص١١١ .

الفنادق :

أدى ازدياد حركة النشاط التجارى فى بلاد المغرب والأندلس فى القرن الرابع الهجرى وكثرة عدد التجار الأجانب الواردين على تلك البلاد إلى بناء عدد من الفنادق داخل هذه الأسواق وذلك لمبيت التجار الأجانب والاحتفاظ ببضائعهم داخل هذه الفنادق بعد إغلاقها بأقفال رومية الصنع[١].

وكانت هذه الفنادق من عدة طوابق مقسمة إلى عدة أمكنة خصص بعضها للنوم والراحة والآخر لعقد الصفقات التجارية من عقود بيوع وغيرها[٢].

وزود الفندق بكنيسة ليقيم التجار النصارى شعائرهم الدينية وفرن لصناعة الخبز وكان يشرف على الفندق موظف يسمى الفندقى[٣]. وقد انتشرت هذه الفنادق فى بلاد الأندلس والمغرب ، فازدحمت مدينة المرية بأعداد كثيرة من الفنادق «وتحتوى مدينة المرية على ألف فندق إلا ثلاثين فندقا » أما بجانة فى بلاد الأندلس فقد جهزت أيضا بعدة فنادق[٥] لخدمة التجارة الغرباء .

وفى بلاد المغرب امتلأت القيروان بالفنادق لخدمة الوافدين عليها[٦] وكذلك مدينة سوسة وبها «فنادق وحمامات طيبة»[٧]. أما طرابلس «فكثيرة الفنادق والحمامات» [٨].

١- آدم متز ، الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى جـ٢ ص٣٧٨ .

Heyd, Histoire ; du Commerce, Tom, II pp. 430 .

٢- عثمان الكعاك، الحضارة العربية ص٦٤ ، ص٦٥ «كانت هذه الفنادق تبنى بالحجارة » القزوينى ص٥٠٩ .

٣- جمال سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق ص١٦٠ .

٤- الحميرى، الروض المعطار ص١٨٤ .

٥- القزوينى، آثار البلاد وأخبار العباد ص٥٠٩ .

٦- ابن عذارى، البيان جـ١ ص٢٧٢ .

٧- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٤ .

٨- البكرى، المغرب ص٧ .

واحتوت الفنادق على خانات أو مخازن لحفظ أصناف الفاكهة[١] المختلفة وكافة البضائع .

كما كانت هذه المخازن عبارة عن غرف تؤجر للتجار الأجانب المارين بالمدينة وقد زودت مدينة قرطبة بعدد كبير من الخانات[٢] ، كما احتوت مدينة فاس على عدد كبير من «الخانات التى ينزل بها التجار والغرباء»[٣].

أما القياسر فهى عبارة عن مجموعة من المبانى العامة تضم مخازن وحوانيت ومساكن لمبيت التجار وكانت تعرض فى داخل القياسر أنواع السلع المختلفة وقد اشتهرت قياسر قرطبة ببيع أنواع من التجارة والسلع الفاخرة[٤].

وضمت هذه القياسر بعض المساجد ، كما كان يعلوها رباع ذات مساكن يقيم فيها الصناع والتجار بأجر[٥] وكانت الحكومة تقوم ببناء تلك القياسر وبتأجيرها لأرباب المهن والصنائع والتجار مقابل كراء متفق عليه [٦].

أسعار السلع : أسعار السلع كانت غير ثابتة فهى تخضع للحالة الاقتصادية التى تمر بها البلاد «ففى بعض الأحيان يكثر الانتاج فيزيد عن الحاجة فكان يصدر إلى الخارج فتنخفض الأسعار نتيجة لذلك، وتنتعش الأحوال الاقتصادية. أما فى أيام الشدة حين يقل الانتاج فترتفع الأسعار، فمثلا حدث أن حلت المجاعة بالأندلس سنة ٣٠٢هـ/ ٩١٥م بسبب حدوث قحط شديد فعزت الأقوات وارتفعت الأسعار[٧].

كما كان لأحداث الفتنة البربرية التى صاحبت سقوط الخلافة وهجوم البربر على مدينة قرطبة

١- المقدسى، أحسن التقاسيم ص٢٢٥ .

Levi provencal , l'Esp., Musul. aux . s.p. 181 .

٢- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١٠٨ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٨٩ .

٤- ابن الأبار ، التكملة لكتاب الصلة ص٩٠٧ .

٥- المقريزى، الخطط جـ٢ ص٨٧ ، ٨٩ ، سرور تاريخ الحضارة الإسلامية ص١٦٠ .

٦- حسن حسنى عبد الوهاب، ورقات من الحضارة العربية جـ٢ ص٧٢ ، ٧٣ .

٧- عبدالله عنان، دولة الإسلام فى الأندلس ، العصر الأول قسم٢ ص٣٧٨ .

وتخريبهم لها واضطرار أهل قرطبة إلى طلب الأمان أكبر الأثر فى ارتفاع الأسعار وزيادة الغلاء[1].

كذلك كان من أسباب ارتفاع الأسعار فى بعض الأحيان تعرض البلاد لثورة من الثورات، مثلما حدث فى بلاد المغرب ففى سنة ٣٠٧هـ/ ٩١٩م تعرضت البلاد لأزمة اقتصادية ، وغلاء فى الأسعار أيام ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد. فقد اشتد حصاره على مدينة المهدية واضطر الخليفة القائم إلى فتح الأهراء التى كان المهدى قد أقامها فى المدينة ووزع ما فيها من حبوب على رجاله [2].

وقد ارتفعت الأسعار فى بعض الأحيان بسبب نقص سلعة معينة لاتنتجها بلد معينة ، فسعر الطعام مثلا فى مدينة قسطيلية فى بلاد المغرب كان غالى الثمن لاعتمادها فى جلبه على المناطق المجاورة لها ، ولكن تميز القرن الرابع الهجرى فى بلاد الأندلس والمغرب بوجه عام برخص الأسعار وكثرة الانتاج ، فأسعار بلاد الأندلس كانت رخيصة فى أغلب الأوقات ،إذ عرفت تلك البلاد بوفرة الانتاج وكثرة الزرع من حبوب وفاكهة وغلات فمدينة بلنسية[4] كانت كثيرة الفواكه والثمار رخيصة الأسعار. أما جيان فكانت كثيرة الخصب رخيصة الأسعار[5] ، أما مدينة دروقة[6] فهى كثيرة الثمار والكروم والبساتين وكل شىء بها كثير رخيص [7]. أما سرقسطة[8] «فهى رخيصة الأسعار حتى أنه بيع وسق القارب من التفاح بها تباع به الأرطال

١- ابن عذارى ، البيان جـ٣ ص١٠٥ ، ص١٠٦ ، ص١١٢ .

٢- البكرى ، المغرب ص١٦١ ، ص١٦٢ .

٣- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٩٤ .

٤- مدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير ، وهى شرقى تدمير وشرقى قرطبة ، وهى برية بحرية ذات أشجار وانهار «ياقوت معجم البلدان جـ١ ص٤٩٠» .

٥- الحميرى ، الروض المعطار ص٧٠ .

٦- «مدينة بالأندلس من عمل قلعة أيوب بينها وبين قلعة أيوب ثمانية عشرة ميلا (الحميرى، الروض المعطار ص٧٦ ، ياقوت معجم البلدان جـ٢ ص٤٥٣) .

٧- الحميرى، الروض المعطار ص٧٧ .

٨- الحميرى ، الروض المعطار ص٩٧ «تقع سرقسطة فى شرق الأندلس » نفس المصدر ص٩٧ .

اليسيرة »[١] وكانت قلعة أيوب كثيرة الأشجار والثمار، كثيرة الخصب ، رخيصة الأسعار[٢]، وبلاد المغرب كانت فى نفس الوضع ، فمدينة تنس مثلا كانت رخيصة الأسعار لكثرة الزرع بها ووفرة الانتاج الذى كانت تقوم بتصديره إلى سائر البلاد وخاصة بلاد الأندلس «حيث ينقل إليها الطعام»[٣].

كذلك كانت مدينة ميلة[٤] ومدينة سطيف[٥] رخيصتا الأسعار[٦] وقابس أيضا كانت كثيرة الفاكهة فائضة الرخص[٧] . أما برقة فإن أسعارها فى معظم الأوقات كانت «فائضة الرخص فى جميع الأغذية»[٨].

تسعير السلع :

ومن السمات التجارية التى حظيت الاهتمام داخل أسواق الأندلس والمغرب، تسعير السلع الاستهلاكية مثل القمح والشعير وغيرها من السلع الغذائية الهامة التى يعتمد عليها عامة الناس وذلك «حماية للناس والعامة»[٩].

وفى أغلب الأحيان كانت الحكومة سواء فى بلاد الأندلس أو المغرب تتدخل لتحديد أسعار السلع بطريقة مناسبة حتى لايقع فيها ظلم سواء على المستهلك أو التاجر، ويرى الفقيه يحيى

١- الحميرى، الروض المعطار ص٧٧ .

٢- الحميرى، الروض المعطار ص١٦٣ ، ياقوت ، معجم البلدان جـ٣ ص٢١٢ .

٣- مجهول ، الاستبصار ص١١٣ (عن مدينة تنسى أنظر البكرى ص٦١، ياقوت معجم البلدان جـ٢ ص٢٨ ، والادريسى ص٨٣ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٨ .

٤- ميلة مدينة صغيرة بأقصى افريقية بينها وبين بجاية ثلاثة أيام «ياقوت معجم البلدان جـ٥ ص٢٤٤ .

٥- «سطيف مدينة فى جبال كتامة بين تاهرت والقيروان (ياقوت ، معجم البلدان، جـ٣ ص٢٢٠، أنظر البكرى، ص٧٦ ، الالدريسى ص٩٨، ابن حوقل صورة الأرض ، ص٩١ .

٦- مجهول ، الاستصبار ص١٦٦ .

٧- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٢ .

٨- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٦٨ .

٩- أحمد سعيد المجيلدى، التسعير فى أحكام التسعير ، تحقيق موسى يقبال الجزائر سنة ٩٧٠، ص٤٩ .

بن عمر ضرورة التشدد فى مراقبة الأسواق وضرورة تسعير السلع الغذائية الهامة مثل القمح لأنها غذاء العامة وعدم احتكار هذه السلع حتى تصبح فى متناول الجميع «وأرى على صاحب السوق أن يأمر البدويين أهل الأرياف والمناطق الزراعية ، إذا أتوا بالطعام يبيعونه فلاينزلوه فى الدور أو الفنادق وأن يخرجوه إلى أسواق المسلمين حيث يدركه الضعيف والعجوز والكبير[١] وكان تسعير السلع الغذائية يتم بالتراضى بين المحتسب والتجار[٢].

الإشراف على الأسواق :

اتخذت الحكومة الإسلامية فى الأندلس والمغرب نظاما دقيقا للاشراف على التجار والأسواق وكان هذا النظام يتمثل فى المحتسب الذى كان يتولى مهمة الإشراف على الأسواق .

وقد عرف المحتسب فى بلاد الأندلس والمغر باسم صاحب السوق [٣].

وقد لعبت الحسبة دورا عظيما بجانب وظيفتى القضاء والمظالم فى اقرار العدل بين الناس في القطرين، فالحسبة كانت من الوظائف الإسلامية من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر[٤].

وقد حدد العلماء الشروط الواجب توافرها فيمن يقوم بوظيفة المحتسب فيجب أن يكون فقيها عارفا بأحكام الشريعة حرا عدلا ذا صرامة وخشونة فى الدين لايميل ولايرتشى [٥].

١- يحيى بن عمر «أحكام السوق ، التيسير فى أحكام التسعير ص٥١ ، ص٥٢ ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد مجلة ٤ سنة ١٩٥٦ ، تحقيق حسين مؤنس .

٢- ابن عبد الرؤوف ، رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب ص٨٩ ، نشر ليفى بروفنسال سنة ١٩٥٥ .

٣- يحيى بن عمر: أحكام السوق ، ص١٠٨ «وكذلك فى المشرق : انظر تاريخ خليفة بن خياط جـ١ ص٦٢ .

٤- ابن خلدون ، المقدمة ، مطبعة الكشاف، بيروت ص٢٢٥ ، ومطبعة الشع ، ص٢٠٢ ، ابن تيمية، الحسبة فى الإسلام ، ص٩ ، ابن بسام نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص١٠ ، الماوردى ، الأحكام السلطانية ث٢٢٧ .

٥- الشيزرى، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص٦ ، تحقيق الباز العرينى ؛ الماوردى ، الأحكام السلطانية ص٢٤١، سنة ١٩٦٧، مطبعة الحلبى، ابن عبدون رسالة الحسبة ص٢٠ ، عطية مشرفة ، القضاء فى الإسلام ص١٧٩ .

ووظيفة المحتسب داخلة فى عموم ولاية القاضى ، يولى باختياره[١] وفى بعض الأحيان كان الوالى هو الذى يقوم بتعيين صاحب السوق [٢].

والحاجة إلى صاحب السوق (المحتسب) كانت ضرورية «لأن الناس معوجون مخالبون أشرار»[٣].

وتعتبر خطة السوق (الحسبة) من أعظم الوظائف فى الدولة الإسلامية لأنها تجمع «بين نظر شرعى وزجر سلطانى»[٤].

ولما كانت وظيفة صاحب السوق (المحتسب) ذات طابع اسلامى من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فكان عليه أن يدعو الناس إلى قمع الظلم والجور والسعى إلى العدل والتعلق به[٥].

كما كان من اختصاص صاحب السوق أيضا أن يأمر الناس بإقامة الصلوات الخمس وصلاة الجمعة [٦]، ثم مراقبة المعاملات التجارية داخل أسواق الأندلس والمغرب كمراقبة البيع والشراء ومراقبة الموازين والمكاييل ، فكان يجب عليه التأكيد من سلامة الوزن[٧].

وكان من عمل صاحب السوق أيضا فى داخل الأسواق أن يحول دون بروز الحوانيت حتى لاتعوق المارة ومراقبة دور الضرب والتأكد من سلامة وزن وعيار العملة، ومراعاة اثبات اسم الخليفة على العملة ، وأن يراعى تنفيذ الشروط الصحية المفروضة على المحلات بتفتيش قدور الأطعمة وختم اللحوم، بالإضافة إلى مراقبة الأسعار ، ومنع الاحتكار[٨].

١- ابن خلدون المقدمة ص٢٠١ ، النباهى، تاريخ قضاة الأندلس ص٥ .

٢- يحيى بن عمر ، أحكام السوق ، ص١٠٣ ، ص١٠٤ .

٣- ابن عبدون ، رسالة فى الحسبة، ص٢٠ .

٤- السقطى ، آداب الحسبة ص٢ .

٥- النباهى، قضاة الأندلس.

٦- ابن تيمية : الحسبة فى الإسلام ص٩ ، ص١٠ ، ص١١ سنة ١٩٦٧م دمشق .

٧- السقطى، آداب الحسبة ص١٢ ، ابن عبدون ص٤٣ .

٨- الشيزرى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، ص٩ ، ص١٢ .

كما كا من حقه تحديد أسعار المبيعات ومراقبة من يبيع بسعر أعلى[١] ومراقبة التجار داخل الأسواق التجارية [٢]. وكان صاحب السوق يستطيع أن يعاقب المخالفين للمرة الأولى بالتوبيخ والزجر وفى المرة الثانية بالسجن والوعيد وفى الثالثة بالضرب والتشهير. وإن عاد المخالف للمرة الرابعة فيعاقبه بالتنكيل ورفعه عن سوق المسلمين[٣] ونفيه عن الوطن[٤].

كما كان من حق المحتسب طرح الشيء المغشوش وإتلافه[٥].

وحتى يؤدى صاحب السوق وظيفته كاملة كان يستعين بالأعوان والغلمان[٦] لمساعدته فى عمله، فكان يختار رجالا يثق فيهم من أهل الأسواق ووجوه أرباب الصنائع ويستظهر بهم على الباقين حتى يطلعوه على ما خفى من أسرارهم وخبيث تصرفاتهم وما يجلب إلى سوقهم وما تستقر عليه من الأسعار وغير ذلك من الأسباب التى يلزم صاحب السوق معرفتها[٨] وفى بلاد الأندلس والمغرب كان صاحب هذه الوظيفة يسمي العريف، وكان مسئولا أمام صاحب السوق وشيخ التجار[٩]، هؤلاء الأعوان أو العرفاء كانوا بمثابة العيون التى توصل لصاحب السوق الأخبار مما يؤدى إلى بث الرعب والخوف فى قلوب العامة»[١٠].

وسائل المعاملات : ومن أهم وسائل المعاملات داخل أسواق بلاد الأندلس والمغرب السكة (العملة)[١١] ويعرف ابن خلدون العملة (السكة) بقوله «وهى النظر فى النقود والمتعامل بها

١- المقرى ، نفح الطيب ، جـ١ ص٢١٨ ، ص٢١٩ .

٢- ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٢٥ .

٣- السقطى، آداب الحسبة ، ص٩ .

٤- الشيزرى ، نهاية الرتبة ص١٤ .

٥- عبد المنعم ماجد، الحضارة الإسلامية ص٥٦ .

٦- ابن بسام ، ص١٠ ، ابن خلدون ، المقدمة ص٢٢٥ .

٧- السقطى، نفس المصدر ص٩ .

٨- الشيزرى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص١١ .

٩- سالم (عبد العزيز) قرطبة فى عصر الخلافة جـ٢ ص١٣١ .

١٠- ابن تيمية، الحسبة فى الإسلام ص٩ ، ص١٠ ، ص١١ سنة ١٩٦٧ .

١١- ابن خلدون ، المقدمة ، ص٢٢٦ .

بين الناس وحفظها مما يداخلها من غش أو نقصان ، إن كان المتعامل بها عددا أو ما يتعلق بذلك ويوصل إليه من جميع الاعتبارات، ثم في وضع علامة السلطان على تلك النقود بالاستجادة والخلوص برسم تلك العلامة فيها من خاتم حديد اتخذ لذلك ونقش فيه نقوشا خاصة به فيوضع على دينار بعد أن يقوم الضرب عليه بالمطرقة حتى ترسم فيه النقوش ، وتكون علامة على صورته بحسب الغاية على وقف عندها السبك والتخليص في متعارف أهل القطر ومذاهب الدولة الحاكمة »[1].

وترجع أهمية العملة ى أنها وسيلة من الوسائل الهامة في التبادل التجارى من عمليات البيع والشراء، فقد استخدمها التجار في عملياتهم التجارية .

كما ترجع أهمية العملة أيضا إلى أنها توضح مدى التقدم والازدهار الاقتصادى والحضارى للدولة. فالعملة تعطينا صورة من صور التعامل الاقتصادى ومدى رواج التجارة أو تدهورها .

كما كانت تدل أيضا على مدى قوة الدولة أو ضعفها وما تتمتع به تلك الدولة من استقرار أو اضطراب سياسى.

وكان وزن العملة يتغير وسعرها يرتفع أو ينقص حسب الأحوال السياسية والاقتصادية للدولة، فمثلا ارتفع وزن العملة من الدراهم الفضة في عصر الخلافة عنه في عصر الامارة والولاة ، كما ارتفع أيضا في عصر ملوك الطوائف[2].

كذلك كانت العملة نوعا من أنواع تأكيد السيادة السياسية على الدولة ولتأكيد هذه السياسة، حرص الخلفاء الأمويون في الأندلس على تأكيد سيادتهم في الأجزاء المغربية الخاضعة لهم وذلك بضرب عملات تحمل أسماءهم.

فقد وجدت في مدينة سجلماسة بالمغرب الأقصى بعض عملات، نقش عليها اسم الخليفة هشام الثانى (المؤيد) وذلك في سنوات (٣٦٦، ٣٧٨هـ ٣٩٥هـ/ ٩٧٦م، ٩٨٨م، ١٠٠٤م،)[3]، كما وجدت في مدينة فاس أيضا عملات أموية تحمل اسم الخليفة هشام الثانى

١- ابن خلدون ، المقدمة ص٢٢٦ .

٢- عبد الرحمن فهمى، موسوعة النقود الإسلامية جـ١ ص٨٦٠، ص٨٦٧ .

٣- Miles G.C. The Coinage of the Umayyads of Spain, pp. 46, 47 .

المؤيد وذلك فى الفترة ٣٧٧ / ٣٩٨هـ ٩٨٧م / ١٠٠٧م[١]، فقد وجد فى مدينة فاس مثلا عملة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م نقش عليها (لا إله إلا الله وحده لاشريك له) . وفى الهامش (بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدرهم فى مدينة فاس سنة أثنتين وتسعين وثلاثمائة) أما على الوجه الآخر للعملة فقد نقش عليها الإمام أمير المؤمنين المؤيد بالله «عامر» وفى الهامش محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله»[٢].

أما فى بلاد المغرب ، فقد كانت العملة أيضا نوعا من أنواع تأكيد السيادة على الدولة كما سبق أن ذكرنا ، فنري أن أبا عبدالله الشيعى قد أمر بضرب أول عملة ذهبية تحمل اسم الدولة الفاطمية، فور دخوله مدينة رقادة وذلك لتأكيد السيادة الفاطمية على بلاد المغرب، وقد سميت هذه العملة بالسيدية[٣].

وفى سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م قام الخليفة عبيدالله المهدى يضرب العملة الفاطمية من الدنانير الذهبية وقام بنقش اسمه عليها فى الوجه نقش عليها (عبدالله لا إله الله وحده لاشريك له أمير المؤمنين) وفى الهامش (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على على الدين كله) وعلى الوجه الآخر للعملة (الإمام محمد رسول الله المهدى بالله) وفى الهامش (بسم الله ضرب هذا الدينار بالقيروان سنة ثلاث ومائة)[٤].

لم تكن العملة الذهبية هى وحدة التعامل فقط، فقد اشتملت العملة على عدة أنواع من الدراهم الفضية والفلوس النحاسية ، فقام الخليفة المهدى بسك عملات من الدراهم الفضية فى كل من المهدية والقيروان [٥].

١- Miles, Op. cit pp. 49-50 .

٢- عبد الرحمن فهمى، موسوعة النقود العربية وعلم دار الكتب ص٨٦٨، ٨٦٩ Miles, Op. cit pp. 49-50 .

٣- ابن عذارى ابيان جـ١ ص١٤٨ .

٤- Stanly lane - poole Catalogue of Oriental Coins in the British Musucum vol . IV London 1879 .

٥- أنظر : S. Lane Poole Op. cit p. 3 , 4 , 5 .

«لم تظهر باقى الكتابة بحيث لم يعرف لها تاريخ» .

تابع الخلفاء الفاطميون سياستهم فى سك العملات لتأكيد سيادتهم على بلاد المغرب. فقام الخليفة القائم بالله زبو القاسم محمد ٣٢٢ / ٣٣٤هـ (٩٣٣-٩٤٥م) بضرب عملات ذهبية نقش عليها فى الوجه (محمد أبو القاسم لا إله إلا الله وحده لاشريك له المهدى بالله) وفى الهامش (محمد رسول الله ... الخ) وعلى الوجه الآخر للعملة نقش (الإمام القائم بالله محمد رسول الله أمير المؤمنين) وفى الهامش (بسم الله ضرب هذا الدينار...)[١].

كما قام الخليفة المنصور بالله أبو الطاهر اسماعيل ٣٣٤- ٣٤١هـ/ (٩٤٥ / ٩٥٢م) بسك عملات ذهبية وفضية فى مدينة المهدية والمنصورية[٢].

أما الخليفة المعز لدين الله ٣٤١هـ/ ٣٦٥هـ (٩٥٢-٩٧٥م) فقد اضاف اضافات جديدة على الكتابات التى تنقش على الدينار، ومثال ذلك الدينار الذى ضرب فى مدينة المنصورية سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م حيث نقش على الوجه الأول (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وفى الهامش (على أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين لا إله إلا الله محمد رسول الله) وعلى الوجه الآخر (بسم الله ضرب هذا الدينار بالمنصورية سنة ٣٤٣هـ)[٣].

ويذكر بعض المؤرخين أمثال ابن عذارى وابن سعيد أن أول من قام بسك العملة باسم الدولة هو الأمير عبد الرحمن الثانى[٤] (٢٠٦هـ - ٢٣٨هـ / ٨٢١ / ٨٥٢م) .

وكانت أغلبية العملة المتداولة فى عصر الولاة وعصر الامارة تأتى من خارج البلاد[٥] عن طريق التجار الوافدين على الأندلس ، ولكن لايعنى هذا أنه لم تسك فى الأندلس عملة قبل عهد الأمير عبد الرحمن الثانى، فقد وجد فى عصر الولاة بعض العملات الذهبية والفضية سكت داخل الأندلس مثال ذلك عملة نقش عليها فى الوجه «بسم الله الرحمن الرحيم» وعلى الوجه الآخر للعملة نقش لا إله إلا الله وحده » «ضرب هذا الدينار سنة اثنتين ومائة»[٦].

١- S. Lane - poole, Op. cit p. 5 .

٢- S. Lane Poole, op. cit pp. 6 , 7 , 8 .

٣- S. Lane - poole : Catalogue of oriental coins vol IV p. 9 London 1879 .

٤- ابن عذارى ، البيان جـ٢ ص٩١ ، ابن سعيد ، المغرب جـ١ ص٤٦ .

٥- G.C. Miles: The Coinage of the Umayyads of Spain pp. 39, 40 .

٦- G. C. Miles op. cit, p. 113, 114 , 115 .

أما فى عصر الخلافة فقد سكت كثير من الدنانير الذهبية والدراهم الفضية فى الأندلس ومدينة الزهراء لتأكيد سيادة الدولة ورفع مكانة واسم الخلافة .

فقام الخليفة عبد الرحمن عبد الناصر بسك عملات ذهبية ودراهم فضية تمثل اسم ولقب أمير المؤمنين، ومن هذه العملات، عملة سكت بمدينة الزهراء ٣٤٣هـ نقش على الوجه الأول منها (لا رله إلا الله وحده لاشريك له محمد) وفى الهامش .بسم الله ضرب هذا الدينار بمدينة الزهراء سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة) وعلى الوجه الآخر (الإمام الناصر لدين الله عبد الرحمن أمير المؤمنين) وفى الهامش (محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله »[1].

كما قام بسك عملات من الدراهم الفضية فى الأندلس سنة ٣٢٤هـ، ٣٣١هـ ، ٣٣٤هـ، ٣٣٦هـ، وبالزهراء سنة ٣٣٨هـ، ٣٣٩هـ، ٣٤٠، ٣٤٢هـ إلى سنة ٣٤٩هـ[2].

وتوالى سك العملات الذهبية والدراهم الفضية فى الأندلس ومدينة الزهراء بعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر وخاصة فى عهد الخليفة الحكم المستنصر وابنه هشام المؤيد.

هذا وتشمل العملة على عدة أنواع وهى الدنانير الذهبية والدراهم الفضية والفلوس النحاسية كما سبق أن ذكرنا ، وكان الدنانير يعادل عشرة دراهم قديمة والدراهم نوعان، دراهم قديمة جديدة والقديم كان مخلوطا بالنحاس، أما الدراهم الجديدة، فكانت من الفضة الخالصة ، ولذلك كان كل عشرة دراهم قديمة تعادل ثمانية دراهم جديدة [4].

لم تكن العملة هى وسيلة التعامل الوحيدة فى بلاد المغرب والأندلس فقد وجدت إلى جانب العملة السفاتج [5]والصكوك[6] وهى من وسائل المعاملات الهامة فى ذلك الوقت .

١- S. Lane - poole, Catalogue of Oriental Coins pp. 14 , 15 .

٢- S. Lane- Poole op. cit pp. 15 , 16 , 17 , 18 .

٣- Ibid pp. 19 , 20 , 21 , 23 , 24 , 25 , 26 , 27 .

٤- القلقشندى ، صبح الأعشى جـ٥ ص١١٤ .

٥- السفاتج «وهى كلمة فارسية مفردها سفتجة ومعناها خطاب ضمان مال» جمال سرور ، تاريخ الحضارة الإسلامية فى المشرق ص١٦٣ .

٦- أما الصك ، فمعناها سند الدين وهى تشبه فى الوقت الحاضر الكمبيالة أو الشيك (محمد على حيدر، الأوضاع الاقتصادية فى العراق والمشرق ص٢٨٦ .
=

ولقد استخدم التجار الأندلسيون والمغاربة فى معاملاتهم التجارية السفاتج والصكوك وذلك ضمانا لاتمام العمليات التجارية وتسهيلها وكانت السفاتج والصكوك وسيلة من الوسائل المأمونة من الضياع والسرقة .. وقد استخدمت الصكوك فى المعاملات التجارية كدفع الديون[١] وفى أعمال البيع المختلفة.

أما الموازين والمكاييل فقد استعملها الأندلسيون والمغاربة على السواء فى معاملاتهم التجارية. وكانت وحدة الوزن فى بلاد الأندلس والمغرب هى القنطار والرطل والأوقية والدرهم ، وكان الرطل يحتوى على ١٦ أوقية وكل أوقية ٢١ درهما[٢].

وقد اختلفت قيمة الوزن حسب نوع السلعة ، كذلك اختلفت الأوزان باختلاف المكان فكان لكل «اقليم وبلد فى المعاملة على أرطال تتضاءل فى الزيادة والنقصان »[٣] ويتضح من هذا النص أنه كان لكل اقليم أوزانه الخاصة به «فكان الرطل فى بلاد الأندلس يحتوى على ١٦ أوقية ، أما الأوقية فكانت تساوى ٢١ درهما[٤].

أما أهل مدينة فاس فى المغرب الأقصى فقد استعملوا الأوقية[٥] فكانت جميع السلع التجارية ، وخاصة أنواع الطعام المختلفة من عسل وزبيب تباع بالأواق [٦]، أما تونس فاستخدمت إلى جانب الموازين المختلفة ، الرطل ، وكان الرطل فى مدينة تونس يساوى ١٢ درهما[٧].

= «وانتشر استعمال هذه الصكوك فى بلاد المغرب والأندلس حتى أن تجار سجلماسة كانوا يتبادلون فيما بينهم صكوكا تبلغ قيمتها نحو أربعين ألف دينار ، الاصطخرى ، المسالك والممالك ص٣٧ ، ٣٨ .

١- مصطفى الهمشرى ، الأعمال المصرفية فى الإسلام ص٢١ ، ص٢٢ .

٢- القلقشندى ، صبح الأعشى جـ٥ ص١١٤ ، ص١٧٧ .

٣- الشيزرى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص١٥ .

٤- القلقشندى، صبح الأعشى جـ٥ ص١١٤ .

٥- البكرى، المغرب ص١١٧ ..

٦- البكرى، المغرب ، نفس الصفحة.

٧- المقدسى، أحسن التقاسيم ص٢٤٠ .

أما المكاييل فهى نوعان ، الأول يسمى القفيز ويساوى ١٦ ويبة ، وكل ويبة ١٢ مدا[١] والثانى يسمى الصحفة أو الوسق ، وكل صحفة تساوى ١٢ مدا وكانت الصحفة تساوى ٦٠ صاعا ، فكأن المد يعادل خمسة صاعات[٢] ولم تكن هذه المكاييل موحدة إذ كانت هى الأخرى تختلف من إقليم إلى آخر حسب أحوال وظروف ذلك الإقليم ، فمثلا كان المد فى مدينة فاس يعادل ثمانين أوقية[٣].

أما الوسق فكان يباع فى مدينة فاس كل أربعة أوسقة من القمح بنصف مثقال، كما كانت تباع الثمانين وسقا من الفاكهة والثمار بنصف مثقال أيضا[٤]. أما قرطبة فكان مد القمح بثلاثة دراهم[٥].

١- «المد كيل معين اختلف سعته فى العالم الإسلامى حسب الأمكنة والعصور والمذاهب، وكان المد يتداول فى بلاد المغرب والأندلس فى العصر الوسيط. فكان مد مدينة أصيلة سعته عشرين مدا نبويا وسعة المد فى مليلة ٢٥ مدا نبويا، أما سعة المد فى قرطبة أيام عبد الرحمن الناصر فقد حدده النويرى قوله «فاشتد بها الغلاء فبيع مدى القمح – وهو قفيزان ونصف بالقروى- نسبة إلى القيروان بثلاثة دراسهم انظر أبو الحسن على بن يوسف : الدوحة المشتبكة فى ضوابط السكة، نشر مؤنس ص٨٦، مدريد سنة ١٩٦٠، كتاب إمام السوق للونشريش : نشر محمود على مكى، معهد الدراسات المصرى، دورية العدد ١-٢ (١٩٥٦) .

٢- القلقشندى ، المصدر السابق جـ٥ ص١١٤ .

٣- البكرى، المغرب ص١١٧ .

٤- ابن أبى زرع ، الأندلس والمغرب ، جـ٢ ص٩٤ جـ١ .

٥- أبو الحسن على بن يوسف ، الدوحة المشتبكة فى ضوابط السكة نشر مؤنس، ص٨٦ ، كتاب إمام السوق للنوشريشى ، نشر محمود على مكى، معهد الدراسات المصرى ، مدريد العدد ١-٢ (١٩٥٦م) .

التجارة الخارجية المتبادلة بين الأندلس والمغرب

الطرق التجارية بين بلاد الأندلس والمغرب

نشطت الحركة التجارية بين بلاد الأندلس والمغرب وذلك نتيجة للازدهار الزراعى والصناعى والتقدم الحضارى الذى ظهر خلال القرن الرابع الهجرى وصارت أسواق الأندلس والمغرب تزدحم بالمنتجات المغربية والأندلسية ونشطت هذه الأسواق نشاطا عظيما، مرجع ذلك إلى الارتباط الوثيق الذى ربط بين هذين القطرين .

هذا وقد لعب الموقع الجغرافى والظروف المناخية المتشابهة لكل من الأندلس والمغرب دورا عظيما فى ازدياد النشاط التجارى بين القطرين .

وقد ربطت بين الأندلس والمغرب خطوط بحرية، حيث كانت السفن التجارية تتنقل بصفة دائمة بين سواحل بلاد الأندلس والمغرب فكانت السفن التجارية تنتقل فى البحرين مالقة أو المرية وبين تنس التى أنشأها البحريون من الأندلسيين[1] فى بلاد المغرب، كما ترددت هذه أيضا بين مالقة وبين نكور فى بلاد المغرب[2].

أما ميناء قرية طبرقة فقد اشتهرت بكثرة ورد التجار الاندلسيين[3] إليها، كما كان ميناء بونة[4] وتونس[5] من الموانى الهامة التى يصلها تجار الاندلس حاملين منتجاتهم إلى تلك المناطق .

أما ميناء وهران فى المغرب الأوسط «فهى فرضة الأندلس إليها ترد السلاع ومنها تحمل الغلال»[6] فكانت السفن التجارية تتردد بين وهران والمرية حاملة مختلف أنواع التجارات والعلماء المسافرين عبر الثغريين.

١- ابن عذارى، البيان جـ١ ص١٥٤ ، ابن حوقل، صورة الزرض ص٧٨ .

٢- ابن عذارى، المصدر السابق جـ١ ص٢٥٢ .

٣- ابن حوقل ، المصدر السابق ص٧٦ .

٤- البكرى، المغرب ص٥٥ .

٥- الاصطخرى، المسالك والممالك ص٣٨ .

٦- ابن حوقل، صورة الأرض ص٧٩ .

كما كانت موانى سبتة وطنجة وأزيلى مرافىء للحط والأقلاع للسفن الاندلسية حيث كانت أزيلى آخر المعابر المغربية إلى الأندلس[١].

أما سبتة وطنجة فكان لهما أثر عظيم فى رواج التجارة الأندلسية والمغربية ، وذلك لوقوع هذين الثغرين تحت السيطرة الأموية فى الأندلس .

ولذلك كانت سبتة وطنجة معبرا تجاريا عظيما ربط الأندلس بالمغرب ولذا كان الطريق البحرى عبر مضيق جبل طارق من أهم الطرق التجارية بالنسبة للعلاقات الاقتصادية بين البلدين .

السلع المتبادلة :

السلع الأندلسية المصدر إلى بلاد المغرب:

القطن :

كن القطن من الحاصلات الزراعية الهامة التى تصدرها الأندلس إلى بلاد المغرب . فقد صدرت الأندلس إلى بلاد المغرب كميات كبيرة منه .

وكانت أشبيلية من أهم المدن الأندلسية المصدر للقطن حيث كانت تنتج كميات وفيرة[٢] والقطن يجود بأرضها فيعم بلاد المشرق ويتجهز به التجار إلى أفريقية وسجلماسة وما والاها[٣].

زيت الزيتون :

وهو من أهم الحاصلات فى بلاد الأندلس، وتعتبر مدينة أشبيلية من أهم مدن الأندلس انتاجا لزيت الزيتون[٤] ، حيث قامت بتصديره إلى سلا فى بلاد المغرب [٥].

١- الاصطخرى، المسالك والممالك ص٣٨ ، ٣٩ .

٢- الحميرى، الروض المعطار ص٢١ ، ياقوت ، معجم البلدان جـ١ ص١٩٥ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص٢٩٢ ، ٢٨٤ .

٣- الحميرى ، الروض المعطار ص٢٠ ، ٢١ ، ابن غالب ، فرحة الأنفس ص٢٩٢ .

٤- الإدريسى، صفة المغرب ص١٧٨ ، ابن سعيد ، نزهة الأنظار جـ١ ص١٤٨ . الحميرى ، الروض المعطار ص٢٤ ، تاريخ ابن الكردبوس ص١٣٩ ، حاشية ٢ .

٥- الإريسى ، صفة المغرب ص١٣٦ ، ١٧٨ ، ابن سعيد ، المصدر السابق جـ١ ص١٤ ، عبد الحميد محمود الشرقاوى ، الحياة الاقتصادية فى الأندلس الإسلامى فى القرن الرابع الهجرى ص١٠٢ (رسالة غير مطبوعة) .

الفاكهة :

ازدهرت زراعة الفاكهة فى بلاد الأندلس فى القرن الرابع الهجرى، بفضل ما لقيته من عناية واهتمام ويوضح المقرى نقلا عن ابن سعيد مدى ما وصلت إليه بلاد الأندلس من شهرة فى زراعة وانتاج عدة أنواع من الفاكهة «وأما التجار وأصناف الفواكه ، فالأندلس أسعد بلاد الله بكثرتها ، ويوجد فى سواحلها قصب السكر والموز ... ولايعدم منها إلا التمر ، ولها من أنواع الفواكه ما يعدم فى غيرها أو يقل كالتين القوطى والتين السفرى فى أشبيلية ... وكذلك التين المالقى والزبيب المنكبى والزبيب العلى والرمان السَّفرى ، والخوخ والجوز واللوز، وغير ذلك مما يطول ذكره»[١] .

هذا وقد حظيت بلاد المغرب بنصيب كبير منها ومن أهم الفواكه المصدر إلى بلاد المغرب التين والعنب والزيتون[٢] ، وكانت هذه الفاكهة تباع فى أسواق المغرب .

وكانت مالقة من أهم المدن الأندلسية انتاجا لأنواع كثيرة من الفكاهة منها التين الذى عرف بالتين المالقى [٣]. فقد أمتاز هذا النوع من الفاكهة الأندلسية بحلاوة الطعم وعدم تسوسه واحتماله البقاء مدة طويلة دون أن يفسد[٥].

المعادن :

أما المعادن فقد أمدت الأندلس بلاد المغرب بكثير من أنواعها المختلفة لعل من أهمها معدن الزئبق ، وتعد مدينة قرطبة من أهم المدن الأندلسية المنتجة والمصدرة لمعادن الزئبق[٦] والفضة والحديد والرصاص[٧]، كذلك أمدت الأندلس بلاد المغرب بمعدن التوتيا حيث كانت غرناطة[٨] تنتج كميات وفيرة.

١- المقرى ، نفح الطيب جـ١ ص١٦٦ .

٢- ابن سعيد ، نزهة الأنظار ص١٤ .

٣- الحميرى ، الروض المعطار ص١٧٨ ، المقرى جـ٤

٤- الحميرى، الروض المعطار ص١٧٨، المقرى جـ٤ ص٢٠٥ .

٥- ابن الوردى ، فريدة العجائب وخريدة الغرائب ص٣ .

٦- المراكشى ، المعجب ص٣٦٣، الأدريسى، صفة المغرب ص٢١٣، البكرى، جغرافية الاندلس ص١٢٩ .

٧- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٩٥ .

٨- الحميرى، الروض المعطار ص٢٤ ، ابن الخطيب الاحاطة فى أخبار غرناطة جـ١ ص١٤ .

الصناعات الأندلسية :

برعت بلاد الأندلس فى صناعات عدة ويؤيد المقرى هذا القول نقلا عن ابن سعيد بقوله «وإلى مصنوعات الأندلس ينتهى التفضيل وللمتعصبين لها فى ذلك كلام كثير [١]، أما المنسوجات المختلفة فقد حظيت بلاد المغرب بكميات عظيمة من المنسوجات الأندلسية حيث صدرت المرية أنواعا فاخرة من المنسوجات الحريرية[٢]، كما صدرت مالقة أنواعا فاخرة من الحرير الموشى المذهب[٣].

أما البيرة[٤] وجيان[٥] فقد أمدت بلاد المغرب بكميات وفيرة من الحرير الفاخر. كما صدرت الأندلس بالأضافة إلى المنسوجات الفاخرة من الحرير، الأكسية الصوفية الرفيعة[٦].

كذلك أمدت بلنسية بلاد المغرب بالمنسوجات المختلفة[٥].

ومن المصنوعات الأندلسية التى كانت تصدر إلى بلاد المغرب الفخار الذى اشتهرت مالقة بصناعته الدقيقة[٧]. وكذلك «الصفر الحديد من السكاكين والأمقاص المذهبة وغير ذلك من آلات العروس والجندى ما يبهر العقل ومنها تجهز هذه الأصناف إلى بلاد أفريقية وغيرها[٨]، كما كان يرد إلى بلاد المغرب من مدينة شاطبة فى الأندلس أنواع من الورق اشتهرت الأندلس عموما بصناعته [٩].

١- الحميرى، الروض المعطار ص١٨٤، ياقوت معجم البلدان جـ٥ ص١١٩ ، المقرى ، المصدر السابق جـ١ ص١٨٦، ١٨٧ ، سالم (عبد العزيز) تاريخ مدينة المرية ص١٥٥ .

٢- المقرى نفح الطيب جـ١ ص١٨٦ .

٣- الحميرى ، الروض المعطار ص٢٤ ، الاصطخرى المسالك والممالك ص٢٦ .

٤- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٩٥ .

٥- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٩٥ .

٦- المقرى، نفح الطيب جـ٤ ص٢٠٧ جـ١ القاهرة.

٧- الأدريسى، صفة المغرب ص١٩٢، المقرى جـ١ ص١٥٦ .

٨- المقرى، نفح الطيب جـ١ ص١٨٦، ١٨٧، سالم (عبد العزيز) تاريخ المرية ص١٧١ .

٩- ابن حوقل ، صورة الأرض ص١٠٩ .

أما الأخشاب فقد صدرت الأندلس الكثير منه إلى بلاد المغرب حيث كان يأتى من حصن «قيجاطه»[١] . (QUESADA)

كما أمدت الأندلس بلاد المغرب بأنواع متفرقة من أنتاجها فصدرت إلى تونس فراء القنلية[٢]، أما جلد السفن[٣] فقد صدرت الأندلس كميات وفيرة منه إلى بلاد المغرب[٤]. أما الزعفران وعروق الزنجبيل[٥] فكانت تحمل من بياسة وجيان[٦] إلى بلاد المغرب.

صادرات المغرب إلى الأندلس [٧]:

أمدت المغرب بلاد الأندلس بعدة أنواع من السلع الغذائية المختلفة حيث كانت تنقلها المراكب الاندلسية من مراس بلاد المغرب المنتشرة على طول الساحل الافريقى [٨].

كانت أهم هذه السلع الغذائية :

القمح :

حيث تنقله المراكب إلى الأندلس من ميناء وهران وطبرق [٩].

١- الادريسى ، صفة المغرب ص٢٠٧، الحميرى، الروض المعطار ص١٦٥ .

٢- القنلية حيوان أدق من الأرنب .. وكثيرا ما يلبس فراؤها ويستعملها أهل الاندلس من المسلمين والنصارى «المقرى نفح الطيب جـ١ ص١٨٤ ، ص١٨٥) .

٣- «جلد غليظ يشبه جلد التماسيح كان يتخذ جلده مقابض للسيوف » الاصطخرى المسالك والممالك ص٣٥ .

٤- الاصطخرى ، المصدر السابق ص٣٥ .

٥- شكيب أرسلان ، الحلل السندسية جـ٢ ص١٨٢، ١٨٣ .

٦- المقرى، نفح الطيب جـ٢ ص٢٠٤ ، شكيب أرسلان المرجع السابق ص١٨٢ ، ١٨٣ .

٧- هذا وقد انتشرت الصناعات الأندلسية عبر العالم الإسلامى كله، وقد نقل قائمة طبية عن المقرى وابن خلدون عن أهم السلع الأندلسية المصدرة إلى المشرق . انظر :

Serjeant: Islamic Textiles p. 167 .

٨- ابن حوقل ، صورة الأرض ص٨٢ .

٩- ابن حوقل ، صورة الأرض ٧٦، ٧٩ .

الفاكهة :

أما الفاكهة فقد صدرت سبته إلى بلاد الأندلس كميات وفيرة من الفاكهة المختلفة[١]، أما الجوز واللوز والفستق فقد صدرت منه الغرب إلى بلاد الأندلس الكثير حيث كان يأتيها من تفصه[٢]. أما قصب السكر فقد كان من أكثر ما يصدر إلى بلاد الأندلس من قرية تاوردنت على نهر وادى ماسة بالسوس الأقصى ببلاد المغرب الأقصى[٣] أما الزيت فكان يرد إلى الأندلس من سفاقس[٤] ، كذلك صدرت بلاد المغرب إلى الاندلس المنسوجات الصوفية[٥].

أما الأغنام والماشية[٦] فكانت المغرب وخاصة برقة وأودغست تصدر الكثير منها إلى بلاد الأندلس. كذلك كان يرد إلى الأندلس جلد النمر الذى يجلب من ساحل الجزيرة الخضراء[٧]. أما فراء حيوان القنلية[٨] فكان يجلب إلى الأندلس من سبته حيث يلبسه المسلمون والنصارى[٩].

أما الصمغ السماوى الذى يستخدم فى صبغ الديباج ، فقد كان يرد إلى الأندلس من أودغست فى المغرب الأقصى[١٠]، كما استوردت الأندلس من بلاد المغرب، الرخام الوردى والأخضر، حيث كان يرد من سفاقس وأفريقية (تونس) قرطاجنة [١١].

١- الادريسى، صفة المغرب ص١٦٧ .

٢- البكرى، المغرب ص٤٧ .

٣- مجهول ، الاستبصار ص٢١١ ، ٢١٢ .

٤- البكرى ص٢٠ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ص٧٣ .

٥- ابن حوقل المصدر السابق ص٦٩ .

٦- ابن حوقل المصدر السابق ص٧٧ .

٧- العذرى ص١٢٠ .

٨- هو حيوان أدق من الأرنب وأطيب فى الطعم وأحسن وبرا .

٩- المقرى، نفح الطيب جـ٤ ص١٨٤ ، ١٨٥ .

١٠- البكرى ، المغرب ص١٥٨ .

١١- المقرى، نفح الطيب جـ٢ ص٦٧ .

الخلاصة أن العلاقات الاقتصادية كانت صورة طيبة للعلاقات بين القطرين ظهر فيها أثر العلاقات السياسية واضحا حيث كانت الخلافة الأموية تسيطر على جزء كبير من المغرب الأقصى .

كما ظهر فيها العامل البحرى واضحا غاية الوضوح ولعبت البحرية التجارية دورا بارزا فى نقل فائض الانتاج من بلد إلى آخر ، ولعب التكامل الاقتصادى بين القطرين دوره أيضا فكان فائض الانتاج هنا يصدر إلى هناك وهكذا .

فلاعيب أن حظى القطران بذلك الزدهار الاقتصادى الذى عرضنا لبعض مظاهره .

لكن سقوط الخلافة الأندلسية وتفكك الاندلس إلى دويلات طوائف والأحداث التى دهمت المغرب من أنقسامات سياسية وغزوات عرب هلالية ستقطع هذه الصلات المزدهرة وتظل الصلات شبه مقطوعة إلى أن يعيد المرابطون والموحدون هذه العلاقات مرة أخرى .

الفصل الرابع

العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب فى عصر الخلافة

- العوامل المؤثرة فى العلاقات الثقافية- الصلات الجغرافية - الرحلات المتبادلة بين القطرين - الحواضر الثقافية والتبادل الفكرى بينها - تفاصيل عن العلاقات الثقافية بين القطرين - الفقه - المذهب الشيعى- الدراسات اللغوية والأدبية - العلوم .

العوامل المؤثرة فى العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب

اجتمعت عوامل متعددة تركت أثرها الواضح فى تاريخ العلاقات بين المغرب والأندلس فى عصر الخلافة على وجه خاص جعلت التبادل الفكرى أسرع منالا وأشد فعالية، ويسرت التبادل الفكرى بين القطرين فجعلتهما أوثق صلة، وكادت أن تصنع منهما عالما خاصا له قوامه ومميزاته فى عالم الثقافة العربية الإسلامية .

فالقرب الجغرافى من أهم الأسباب التى توثق العلاقات بين إقليم وآخر . والصلات بين الأندلس والمغرب ما أقربها ، فالمضيق الفاصل بينهما كان من السهل عبوره فى أى وقت ، لذلك كان هذا المضيق قناة هامة من قنوات الاتصال بين البلدين فكاد أن يصيرا بلدا واحدا.

وكانت الرحلات المتبادلة بين علماء بلاد الأندلس والمغرب من أهم الروابط التى ربطت بين القطرين ثقافيا. هذا وقد ترجم المؤرخ ابن الفرضى فى كتابه «تاريخ علماء الأندلس» لأكثر من مائة عالم رحلوا من بلاد الأندلس إلى بلاد المغرب وبالعكس ، لطلب العلم والتزود به .

كما ترجم الحميدى فى كتابه «جذوة المقتبس» لكثير من العلماء الأندلسيين والمغاربة الذين رحلوا إلى بلاد المغرب والأندلس.

أما الخشنى فانه يورد فى كتابه «قضاة قرطبة» أسماء الكثيرين من قضاة قرطبة الذين تلقوا العلم فى بلاد المغرب وخاصة فى القيروان .

أما القاضى عياض فإنه يترجم فى كتابه «ترتيب المدارك» لكثير من العلماء الأندلسيين والذين شدوا الرحال طلبا للعلم والتزود به.

وسوف نتحدث بالتفصيل عن أهم هؤلاء العلماء المغاربة والأندلسيين الذين رحلوا فى الفترة التى نؤرخ لها .

العلماء المغاربة الراحلون إلى الأندلس:

منهم عيسى بن علاء بن نزير بن أيمن من أهل سبته [١]، يكنى أبا الأصبغ سمع بقرطبة من أحمد بن خالد ومحمد بن عبد الملك وقاسم بن أصبغ وغيرهما من علماء الأندلس وفقهائها، وقد استقر بقرطبة زمنا، وكان فقيها عالما ومحدثا وضابطا ، وتوفى سنة ٣٠٦هـ[٢].

محمد بن أحمد بن محمد بن جعفر البلوى، من أهل القيروان[٣] ، ويكنى أبا عبدالله ، رحل إلى الأندلس حيث سكن بجانه، حدث عن أبى الفضل صالح بن محمد بن شاذان الأصبهانى- وكان قد قدم عليهم من أفريقية - وأحمد بن زياد وغيرهم، حدث بالأندلس سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة حتى سنة أربعين وثلاثمائة [٤].

محمد بن هشام بن الليث اليحصى من علماء القيروان[٥] ، يكنى أبا عبد الله ، وصل إلى الأندلس واستقر فى قرطبة أيضا، وروى عن يحيى بن عمرو عبدالله بن محمد بن عثمان وأحمد بن إبراهيم بن فتح وخلف بن محمد وغيرهم من العلماء[٦]، وتوفى بقرطبة سنة ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م[٧].

أما مدينة فاس فقد رحل منها العالم الفقيه دراس بن اسماعيل الفاسى[٨] وهو أول من

١- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس جـ ص٣٣٧ .

٢- ابن الفرضى ، نفس المصدر جـ ص٣٣٨ .

٣- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس جـ٢ ص١١١ .

٤- ابن الفرضى ، المصدر السابق ص١١١ .

٥- ابن الفرضى ، نفس المصدر جـ٢ ص١١١ .

٦- ابن الفرضى ، نفس المصدر جـ٢ ص١١١ .

٧- ابن الفرضى ، المصدر السابق جـ٢ ص١١١ .

٨- ابن فرحون ، الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب جـ١ ط الأولى ص١١٦ .

أدخل المذهب المالكى إلى بلاد المغرب الأقصى[١] ، كان فقيها حافظا للرأى رحل إلى الاسكندرية حيث التقى ببعض علمائها أمثال على بن عبدالله بن مطر ثم رحل إلى القيروان حيث سمع منه بعض تلاميذه أمثال أبو الحسن القابس ودخل الأندلس» وتردد بين الثغور مجاهدا[٢] «وقد توفى فى ذى الحجة سنة سبع وخمسين وثلاثمائة ٣٥٧هـ بمدينة فاس[٣].

أما محمد بن أحمد بن محمد الفارسى فهو من علماء القيروان وقد تعلم بها ثم رحل إلى مكة والاسكندرية وعاد ثانية إلى القيروان ومنها رحل إلى الأندلس ، فكان يتنقل بين قرطبة وشذونة وأشبيلية واستقر بقرطبة وسمع منه الناس كثيرا من العلم والمعرفة «وكان خيرا متمسكا بالسنة شديد الانكار على أهل البدع[٤] «وتوفى سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م) .

ومنهم أيضا محمد بن الحارث الخشنى ولد ونشأ بالقيروان حيث تعلم بها على أيد فقهائها وعلمائها أمثال أحمد بن زياد وأحمد بن نصر، كما سمع من عدة رجال من أفريقية[٥] «وكان حافظا للفقه عالما بالفتيا، حسن القياس، ولى الشورى بقرطبة[٧] ، وقد أشاد الضبى فى كتابه بغية الملتمس » إلى أنه جمع كتابا فى أخبار القضاة بالأندلس وكتابا فى أخبار الفقهاء والمحدثين[٧].

وأشار الحميدى إلى أنه جمع كتابا فى الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه »[٨]، وقد صنف الخشنى للخليفة الحكم المستنصر (٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٦م) مائة ديوان وجمع

١- حسن السائح ، الحضارة المغربية عبر التاريخ ص١٢٤ .

٢- ابن فرحون ، الديباج المذهب ص١١٦ .

٣- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس جـ٢ ص١٤٦ .

٤- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس جـ١ ص١١٢ .

٥- الخشنى، قضاة قرطبة ترجمة لكتاب المؤلف ص د ، ابن الفرضى نفس المصدر ص١١٢ .

٦- الخشنى، المصدر السابق ص د ، ابن الفرضى تاريخ علماء الاندلس جـ١ ص١١٢ .

٧- الضبى، بغية الملتمس ص٧١ .

٨- الحميدى، جذوة المقتبس ص٤١ ، الضبى، المصدر السابق ص٧١ .

له فى رجال الأندلس مؤلف كبير [١]، وتوفى الخشنى بقرطبة لثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣٦١هـ[٢]، ومحمد بن الحسين بن النعمان بن المقرى القيروانى، وقد عنى بالقرآن وجوده على علماء القراءة فى القيروان ومصر ثم رحل إلى الأندلس فقرأ عليه كثير من الناس، وتوفى الأندلس سنة ٣٦٨هـ/ ٩٧٨م[٣].

تميم بن محمد التميمى من علماء القيروان رحل إلى الأندلس واستوطن قرطبة حيث حدث عن أبيه وعن عبدالله بن محمد الرعينى وجماعة سواهم وقد سمع منه الناس كثيرا من الأحاديث النبوية[٤] وتوفى سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م[٥].

وحباسة بن حسن اليحصبى ، تلقى العلم بالقيروان على أيدى علمائها أمثال زياد بن عبدالرحمن بن زياد وابراهيم بن عبدالله الزبيدى المعروف بالقلانسى، ثم رحل إلى الأندلس فلزم العبادة ودراسة العلم والجهاد إلى أن توفى بقرطبة سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م[٦].

محمد بن يوسف الوراق [٧]، وكان من العلماء الذين أغراهم كرم الحكم المستنصر وتشجيعه له، تعلم بالقيروان حيث نشأ[٨] بها ورحل إلى الأندلس، واستوطن قرطبة وألف بالأندلس للحكم المستنصر كتابا ضخما فى مسالك أفريقية وممالكها كما ألف فى تاريخ ملوك أفريقية وتاهرت ووهران وسجلماسة ونكور والبصرة وغيرها من مدن المغرب [٩].

١- ترجمة الخشنى من كتابه قضاة قرطبة .

٢- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس جـ ص١١٣ ، ابن فرحون الديباج المذهب ص٢٥٩ .

٣- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس جـ ص١١٣ .

٤- ابن الفرضى ، تاريخ علماد الاندلس جـ ص٩٩ .

٥- المصدر السابق نفس الصفحة .

٦- المصدر السابق ص١٢٨ .

٧- الحميدى، الجذوة ص٩٧ .

٨- عبد العزيز سالم، قرطبة فى علم الخلافة ص١٦٥ .

٩- الحميدى، الجذوة ص٣٥١ .

ومن العلماء المغاربة الذين رحلوا إلى الأندلس أيضا وقام بالتدريس بها الفقيه مكى بن محمد حموش المقرىء. ولد بالقيروان ونشأ بها ورحل إلى مصر حيث قرأ على شيوخها أمثال على بن عبدالمنعم بن غلبون المقرىء الجلى ثم رحل إلى الأندلس واستوطن قرطبة وكان أماما مشهورا فى القراءة [١].

كما وفد على الأندلس من فاس الفقيه موسى بن يحيى الصدينى كان فقيها للمسائل عالما بالرأى رحل إلى المشرق ولقى أبا جعفر الأسوانى المالكى . دخل الأندلس وتردد فى الثغر، وحدّث عنه عبدوس وغيره من تلاميذه ، وتوفى بمدينة فاس سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (٣٨٨هـ/ ٩٩٨م)[٣].

ومن العلماء الذين وفدوا على الأندلس أيضا الفقيه عبدالله أبو محمد بن أبى زيد نغزى النسب[٤]. سكن القيروان، وكان أمام المالكية فى وقته وقد جمع مذهب مالك وعلق عليه بالشرح والتحليل، «كان واسع العلم كثير الحفظ والرواية ... فصيح القلم ذا بيان ومعرفة[٥] «ينظم الشعر ويجيده حتى لقد كان يعرف بمالك الصغير .

سمع من مشاهير علماء القيروان أمثال أبى بكر بن اللباد ورحل إلى المشرق فسمع من الأعرابى وإبراهيم من المنذر ثم رحل إلى الأندلس فسمع من محمد بن موهب القبرى وغيرهم من فقهاء الأندلس، ومن أشهر مؤلفاته «الزيادات على المدونة» و«كتاب الاقتداء بأهل المدينة» و«كتاب تفسير أوقات الصلوات» و«كتاب الرسالة» [٦]، توفى سنة ستة وثمانين وثلاثمائة [٧].

١- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس جـ ص ١٥٠ .

٢- ابن الفرضى ، المصدر الساق جـ نفس الصفحة .

٣- ابن فرحون ، الديباج المذهب فى معرفة علماء المذهب ص١٣٧ جـ١ ١٣٢٩هـ.

٤- ابن فرحون ، المصدر السابق ص١٣٧ .

٥- ابن فرحون ، نفس المصدر ص١٣٧ .

٦- ابن فرحون الديباج المذهب ص١٣٧ .

٧- ابن فرحون الديباج المذهب ص١٣٨ .

زكريا بن بكر بن أحمد الغساني، يعرف بابن الأشبح ويكنى أبا جعفر[١] وهو من أهل تيهرت دخل الأندلس مع أخيه وأبيه سنة ست وعشرين وثلاثمائة ، فسمع المدونة من محمد بن عبدالملك بن أيمن، كما سمع من قاسم بن أصبغ وكانت له رحلة إلى المشرق ، فسمع بمصر من أبي محمد بن الورد وأبي قتيبة مسلم بن الفضل ، كما التقى في مصر الشاعر أبي الطيب أحمد ابن الحسين المتنبي حيث أخذ عنه ديوان شعره رواية ثم عاد إلى الأندلس «فلم يزل مقيما بقرطبة إلى أن توفي سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م[٢].

العلماء الراحلون إلى المغرب:

وبالتالي تتابعت رحلات علماء الأندلس إلى المغرب للتتلمذ على أيدي علمائها وخاصة كنون بن سعيد وولده محمد وكانا أبحر فقهاء المالكية في بلاد المغرب وتلاميذهم أمثال ابن اللباد وأحمد بن يوسف وأحمد بن نصر وغيرهم من فقهاء القيروان .

ومن الفقهاء الأندلسيين الذين شدوا الرحال إلى المغرب عبدالله ابن محمد بن عبدالله بنبدرون من أهل قرطبة سمع من العتبي وعبدالله ابن محمد بن خالد، ورحل إلى القيروان حيث درس وسمع من محمد بن سحنون [٣].

وكان ابن بدرون بليغا بصيرا باللغة والاعراب ، توفي سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م[٤].

صالح بن محمد المرادي ، من أهل وشقة يكنى أبا محمد ، ويعرف بابن الوركاني كان حافظا فقيها[٥].

رحل إلى بلاد المغرب حيث درس في القيروان على أيدي نخبة من علماء القيروان أمثال يحيى بن عمر وأحمد بن يزيد وغيرهما ، وتوفي سنة ٣٠٢هـ[٦].

١- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس جـ ص١٥٢ .

٢- ابن الفرضي، المصدر السابق جـ ص١٥٢ .

٣- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس ص٢٢٠ .

٤- ابن الفرضي ، المصدر السابق ص٢١٩ ، ٢٢٠ .

٥- ابن الفرضي، نفس المصدر ص٢٠١ .

٦- ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس جـ ص٢٠١ .

وقد رحل من أهل شذونه بالأندلس محمد بن وضاح الصدفي المكنى بابن عبدالله سمع من الفقيه محمد بن وضاع المدونة فى قرطبة ثم رحل إلى المشرق ودخل القيروان حيث روى هناك تفسير القرآن ليحيى بن سلام عن أبى داود وأحمد بن موسى بن جرير القروى روى عنه هارون بن عتاب ، توفى فى صدر أيام عبد الرحمن الناصر[١].

كما رحل إلى بلاد المغرب أيضا محمد بن حيون من أهل وادى الحجارة سمع من أبى عبدالله الخشنى، وابن وضاح وعبدالله بن مرة ، ومحمد بن الغازى وجماعة من نظرائهم بالأندلس .

رحل إلى المشرق ، فدرس فى مكة على أيدى بعض علمائها أمثال على ابن عبد العزيز وأبى مسلم الكش ثم رحل إلى بغداد حيث درس الحديث على بعض محدثيها ثم ذهب إلى مصر حيث سمع من عبد السلام النيسابورى وابراهيم بن يعقوب الجوزجانى ثم دخل القيروان فسمع الحديث من تميم ابن محمد التميمى وغيره وتوفى بقرطبة سنة ٣٠٥هـ[٢].

سعيد بن سعيد بن كثير المرادّى من أهل وشقة، يكنى أبا عثمان[٣].

سمع الحديث بقرطبة على أيدى محمد بن يوسف بن مطروح وأبى زيد عبد الرحمن بن إبراهيم وابن مزين وغيرهم . وكانت له رحلة إلى المشرق ثم رحل إلى القيروان حيث سمع من يحيى بن عمر[٤] وتوفى سنة ٣٠٦هـ[٥].

وعبد الله بن محمد بن أبى الوليد الأعرج من أهل شذونة سكن قرطبة، يكنى أبا محمد.

سمع الحديث بقرطبة على أيدى بعض محدثيها أمثال ابن مزين وغيره ورحل إلى القيروان حيث سمع من محمد بن سحنون وقد قام بتبويب المدونة عن العتبى وتوفى سنة ٣٠٩هـ/ ٩٢١م[٦].

١- ابن الفرضى ، نفس المصدر ص٣٠ .

٢- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس ص٢٦ ، ٢٧ .

٣- ابن الفرضى، نفس المصدر ص١٦٤ .

٤- ابن الفرضى ، نفس المصدر ص١٦٤ ، ١٦٥ .

٥- المصدر السابق ص١٦٥ .

٦- المصدر السابق ص١٦٥ ، ص٢٢١ ، ٢٢٢ .

محمد بن عمر بن يوسف بن عامر الأندلسى مولى بن أمية ، ويكنى أبا عبدالله ، روى عن الحارث بن مسكين وابن أبى الضياف[١] وقوم من أهل المغرب وتوفى سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٢م.[٢]

محمد بن عبيدالله بن أيوب المعروف بالدباج [٣]، رحل إلى بغداد حيث سمع من عبدالله بن أحمد بن حنبل واسماعيل القاضى، قاضى بغداد وغيرهم وعاد إلى القيروان فأقام فى فندق ابن خيرون[٤] حيث سمع منه عمر بن يوسف وغيره وتوفى سنة ٣١٧هـ[٥].

وعثمان بن جرير بن حميد الكلابى من أهل البيرة يكنى أبا سعيد، سمع من محمد بن أحمد العتبى ويحيى بن إبراهيم وبقى ابن مخلد ورحل إلى القيروان فسمع من محمد بن سحنون وأبى زيد عبد الرحمن بن محمد وتوفى سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م، وقبل سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٣م[٦].

محمد بن أبى خالد، من أهل بجانة ، تحول عنها إلى البيرة ، يكنى أبا عبدالله .

سمع من ابن وضاح وغيره[٧] وسمع بالقيروان من جماعة من أصحاب سحنون، ودرس بالبيرة الموطأ من أبى المصعب ومن أحمد بن سليمان المعروف بابن الربيعى[٨] ، وتوفى سنة ٣٦٩هـ/ ٩٧٩م .

ومن أهل البيرة أيضا محمد بن فطيس بن واصل الغافقى روى بالأندلس عن محمد بن أحمد العتبى وأبان بن عيسى بن دينار ويحيى بن ابراهيم ابن مزين وبقى بن مخلد وعبيدالله

١- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ص٣٢ ، ٣٣ .

٢- الحميدى، جذوة المقتبس ص٢٦٥ .

٣- كان يجيد عمل الديباج ولذلك سمى بالدباج (ابن الفرضى، نفس المصدر ص٣٧) .

٤- أحد الفقهاء الأندلسيين الذين هاجروا إلى القيروان حيث أقام بها وبنى الفندق ومسجدا سمى باسمه (أنظر فصل العلاقات السياسية) .

٥- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ص٣٨ .

٦- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ص٣٠٣ ، ٣٠٤ .

٧- المصدر السابق ص٣٦ .

٨- ابن الفرضى، نفس المصدر ص٣٧ .

بن عبد الملك بن حبيب ومحمد بن وضاح وغيرهم، ورحل إلى مصر فسمع من يونس بن الأعلى ومحمد بن عبدالله واسماعيل ابن يحيى المزنى ومحمد بن أصبغ بن الفرج وغيرهم . وسمع بمكة من أبى بكر عبدالله بن حمزة القرشي وأبى يحيى بن أبى مرة، ومحمد بن أدريس وراق الحميدى وأحمد بن يحيى المعروف بالصوفى . وسمع بطرابلس من أحمد بن عبدالله بن صالح الكوفى. وسمع بافريقية من شخوة بن عيسى القاضى ، ومن أبى زكريا يحيى بن عون ، وابراهيم بن غياث الخولانى وأبى زيد عبد الرحمن بن محمد وغيرهم من أئمة الحديث وأعلام الرواية[١] ، وتوفى بمدينة ألبيرة سنة ٣١٩هـ/ ٩٣١م[٢].

عبدالله بن الحسن المعروف ابن السندي ، من أهل وشقة سمع بقرطبة ورحل فلقى بافريقية يحيى بن عمر حيث روى عنه موطأ مالك[٣]، رواية ابن بكر ، وانصرف إلى بلده حيث ولاه أمير المؤمنين عبد الرحمن الناصر القضاء على وشقه ، وتوفى سنة ٣٣٥هـ/ ٩٤٦م [٤].

قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف ناصح بن عطاء مولى أمير المؤمنين ، الوليد بن عبد الملك بن مروان [٥]. سمع بقرطبة من بقى بن مخلد، وأبى عبدالله الخشنى ومحمد بن وضاح ومطرف بن قيس ، وأصبغ بن خليل وإبراهيم ابن قاسم بن هلال ، وعبد الله بن قاسم بن هلال وعبدالله بن مسرة ومحمد ابن عبدالله الغازى وغيرهم من علماء الفقه والحديث فى الأندلس. ورحل إلى المشرق الصائغ ، كما دخل العراق فلقي من أهل الكوفة ابراهيم بن أبى العنبس قاضيها وابراهيم بن عبدالله العبس القصار ، حدثهم عن وكيع، وسمع ببغداد من اسماعيل بن اسحاق قاضى القضاة ، وأحمد بن محمد البرتى القاضى وأحمد بن زهير وأحمد بن حنبل وغيرهم من أئمة المسلمين ومشاهير الرواة ثم رجع إلى اقيروان فسمع من أحمد بن يزيد المعلم وبكر بن حماد التاهرتى الشاعر[٥].

١- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس ص٤٠ .

٢- المصدر السابق ص٤١ .

٣- المصدر السابق جـ٢٢٧ .

٤- الحميدى ، جذوة المقتبس ص٣٣٠ .

٥- ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس ص٣٦٤ .

ثم عاد قاسم بن أصبغ إلى الأندلس بهذا العلم الغزير ومال الناس إليه وسمع منه أكثر هذه الكتب أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد ، كما سمع منه أبنه وولى عهده الحكم، وكان قاسم بن أصبغ هذا بصيرا بالحديث والرجال ضليعا فى النحو والشعر وكان يشاور فى الأحكام .

وتوفى سنة ٣٤٠هـ/ ٩٥١م [١].

عبد الله بن محمد بن القاسم بن حزم من أهل قلعة أيوب من ثغر شرق الأندلس رحل إلى القيروان حيث سمع من ابن اللباد[٢] وغيره من علماء القيروان وتوفى سنة ٣٤٤هـ/ ٩٥٥م[٣].

وعلاء بن محمد من أهل تدمير، رحل إلى مصر حيث سمع من بعض فقهائها أمثال جعفر بن عبد السلام البزاز وغيره وسمع بأفريقية من عدة من العلماء، وسمع بتونس من لقمان بن يوسف وأبى البشر التونسى مطر بن بشار وبالقيروان من أبى بكر بن اللباد وغيره[٤].

وكان كثير التأليف ، توفى فى مدينة بونه سنة ٣٤٧هـ/ ٩٥٨م[٥].

مسلمه بن القاسم بن ابراهيم بن عبدالله بن حاتم من أهل قرطبة[٦].

سمع بالأندلس من محمد بن عمر بن لبابه، وأبى حفص بن أبى تمام وأحمد بن خالد، ومحمد بن قاسم ، ومحمد بن زكريا ، وقاسم بن أصبغ : رحل إلى القيروان حيث سمع من أحمد بن موسى المعروف بالنار، ومن محمد بن عبدالله بن طيس وعبدالله بن سرور وسمع بطرابلس من صالح ابن أحمد الكوفى وغيره وتوفى سنة ٣٥٣هـ[٧].

١- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ص٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ .

٢- القاضى عياض ، ترتيب المدارك ص٧٥٤ ، ٧٥٧ .

٣- عياض ، المرجع السابق، نفس الصفحة .

٤- ابن الفرضى ، تاريخ علماء الأندلس ص٣٢٩ .

٥- ابن الفرضى ، المصدر السابق ص٣٢٩ .

٦- ابن الفرضى ، نفس المصدر ص١٢٨ .

٧- ابن الفرضى تاريخ علماء الأندلس ص١٢٨ .

ومحمد بن عمر بن حزم بن سلمه بن وهب اللخمي: من أهل قرطبة يكنى أبا عبدالله ويعرف بابن السراج، سمع من عمر بن حفص بن أبى تمام ومن محمد عمر بن لبابه ونظرائهما [١]، رحل إلى مصر والقيروان حيث سمع من أبى بكر بن بكر بن اللباد. ومن تلاميذه الذين سمعوا منه عبد الرحمن بن عبيد الله ابن سعيد البلوى وخلف بن القاسم وغيرهم وتوفى حول سنة ٣٦٠هـ/ ٩٧٠م[٢].

عبدالله بن محمد بن أمية الأنصارى، ويعرف بابن غلبون ويكنى: أبا محمد أصله من قرطبة سكن طليطلة وتولى قضاء طلبيره، سمع بقرطبة من قاسم بن أصبغ والحسن بن سعد ونظرائه ، ورحل إلى المشرق فسمع بمكة : من أبى سعيد ابن الاعرابى وغيره ، وسمع بافريقية من أبى عبدالله محمد بن أبى المنطور القروى .

كان من العلماء الموثوق بهم وسمع منه بعض تلاميذه أمثال عبدوس بن محمد ابن محمد الثغرى وتوفى سنة ٣٧٢هـ/ ٩٨٢م[٣].

وتمام بن عبدالله المعافرى الطليطلى رحل إلى القيروان حيث سمع من أبى عبدالله بن سرور الغسال[٤] وغيره وتوفى بطليطلة سنة ٣٧٧ / ٩٨٧ [٥].

عيسى بن موسى بن أحمد بن يوسف بن موسى بن خصيب الأموى، يعرف بابن الإمام، من أهل تطيلة ، يكنى أبا الاصبغ سمع من عمه عمر بن يوسف ، ومحمد ابن شبل وسمع بقرطبة من ابن عيسى ونظرائه . رحل إلى المشرق فسمع بالقيروان من القاسم الصقلى وغيره وولى الصلاة هناك وتوفى سنة ٣٨٠هـ / ٩٩٠م [٦].

١- ابن الفرضى : نفس المصدر جـ ص٧١ .

٢- ابن الفرضى : نفس المصدر جـ ص٧١ .

٣- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص٢٣٦ ، ص٢٣٧ .

٤- عياض ترتيب المدارس جـ٤ ص٥٧٨ .

٥- عياض ، المصدر السابق جـ٤ ص٥٧٨، ابن الفرضى، تاريخ علماء الأندلس ص٩٨ .

٦- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص٣٣٦ .

عبدالله بن إبراهيم أصله من كورة شذونة ورحل أبوه إلى أصيلا من بلاد العدوة فسكنها ونشأ بها أبو محمد وطلب بها العلم وتفقه بقرطبة منذ صباه على أيدى الفقيه اللؤلؤى [١]. وأبى إبراهيم وسمع من ابن الشباط والقاضى أبى سليم وابان بن عيسى ونظرائهم وأخذ عن وهب بن مسرة بوادى الحجارة وغيرهم رحل إلى المشرق فلقى شيوخ أفريقية كأبى العباس الأبيانى وأبى العرب وعلى ابن مسرور وعبدالله بن أبى زيد، وفى مصر التقى بالقاضى أبى الطاهر البغدادى ، وابن أشعب والنيسابورى وغيرهم وحج فلقى بمكة أبا زيد المروزى وسمع منه أبو بكر الآجرى وفي العراق التقى بالأبهرى رئيس المالكية[٢] هناك وكان عبدالله بن ابراهيم من حفاظ مذهب مالك وأعلمهم بالحديث وأرسخهم قدما وقد ولى قضاء سرقسطة وولى الشورى بقرطبة ، حتى أصبح نظيرا لابن أبى زيد بالقيروان[٣] وإليه انتهت رئاسة المالكية بالأندلس، وألف كتبا على الموطأ أسماه الدليل ذكر فيه خلاف مالك والشافعى وأبى حنيفة توفى سنة ٣٩٢هـ[٤].

وممن رحل إلى بلاد المغرب أيضا سعيد بن محمد بن سيد أبيه رحل إلى القيروان لتلقى العلم على شيوخها توفى سنة ٣٩٧هـ/ ١٠٠٦م .

أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموى، يعرف بابن ميمونه، من أهل طليطلة ، يكنى أبا جعفر صاحب أبى اسحاق بن شنظير روى بطليطلة عن بعض شيوخها أمثال أبى محمد عبدالله بن محمد بن أمية وأبى محمد عبدالله ابن فتح بن معروف وغيرهم . رحل إلى المشرق سنة ٣٨٠هـ/ ٩٩٠م ، حيث سمع بمكة من أبى الطاهر بن محمد ، وأبى يعقوب يوسف بن محمد الصيدلانى وأبى القاسم السقطى وغيره[٦] . ثم رحل إلى القيروان فسمع من أبى القاسم

١- ابن فرحون : الديباج ، المذهب جـ١ ص٢٣٨ .

٢- ابن فرحون : المصدر السابق جـ١ ص١٣٩ .

٣- ابن فرحون : نفس المصدر جـ١ ص١٣٩ .

٤- ابن فرحون : الديباج المذهب ص١٣٩ .

٥- ابن بشكوال : الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس جـ١ ص٢٠٩ ط مجريط سنة ١٨٨٢ .

٦- ابن بشكوال : المصدر السابق، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة سنة ١٩٦٦ م، ص٢٠-ص٢٢ .

عبد الرحمن بن محمد البكرى وكان حافظا لرأى مالك وأصحابه توفى سنة ٤٠٠هـ[1].

ولم يرحل إلى المغرب طلاب العلم فحسب بل رحل إليها القضاة طلبا للمزيد من الخبرة والتجربة ، ومن هؤلاء القضاة الراحلين إلى المغرب القاضى أسلمه بن عبد العزيز الذى تولى القضاء فى قرطبة من سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م إلى ٣٠٩هـ/ ٩٢١م[2]، رحل إلى القيروان حيث سمع من شيوخها سليمان بن عمران[3] كما لقى بمصر محمد بن عبدالله بن عبد الحكم واسماعيل بن يحيى المزنى وغيرهم[4].

كما رحل إلى بلاد المغرب أيضا قاضى الجماعة فى قرطبة محمد بن عبدالله ابن عيسى توفى سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م[5]، رحل إلى القيروان حيث لقى شيوخها أمثال محمد بن محمد اللباد ومحمد بن على البجلى وغيرهما [6].

فماذا نستخلص من هذه الرحلات المتبادلة ؟

الراحلون إلى المغرب كان أغلبهم من المشتوقين إلى علم مالك خاصة وعلوم الحديث والنقد عامة لأن الثقافة العربية بالأندلس اعتمدت على الرحلة إلى المشرق تماما . لذلك كان أغلب هؤلاء العلماء يرحلون إلى مصر والحجاز والعراق ثم يعرجون على القيروان فيستزيدون من علم مالك فيأخذون ما يسمعون ويعطون ما عرفوه من علماء المشرق ثم يعودون إلى الأندلس . وقد نضجوا علما وتجربة فيجلسون للتدريس فى عواصمها الكبرى ويؤمهم طلاب العلم ويتصلون بالخلفاء ويتولون القضاء .

أما المغاربة الذين رحلوا إلى الأندلس فلم يكونوا يفعلون ذلك إلا بعد رحلة طويلة إلى المشرق وسماع كثير على جلة علماء الشرق ويتشبعون من العلم الذى شاع بالقيروان ثم

١- ابن بشكوال : الصلة ، ص٢٠ ، ص٢٢ .

٢- الخشنى: قضاة قرطبة وعلماء افريقية ص١٠٦ .

٣- الخشنى: نفس المصدر ص١٠٦ .

٤- الخشنى: نفس المصدر ص١٠٦ .

٥- الخشنى: نفس المصدر ص١١٩ .

٦- الخشنى : نفس المصدر ص١١٩ .

يدخلون الأندلس لينفعوا الناس بما حملوا من تراث غزير ويجدون الترحيب الكامل من أهل الأندلس الذين عرفوا بشغفهم بالجديد فى كل فن كما يجدون التشجيع من الخلفاء ورجال الدولة فتطيب اقامتهم هناك وقل منهم من عاد إلى بلده مرة أخرى .

فكان طبيعيا أن يهيىء ذلك كله لذلك التكامل الثقافى الوثيق بين الأندلس والمغرب . هذا التكامل الذى نضج فى عصر الخلافة وهيأ للمغرب الإسلامى أن ينفرد بشخصية خاصة وأن يكون له طابعه الخاص فى ميدان الفقه والحديث.

ومن العوامل التى هيأت لهذا الامتزاج الثقافى فوق ما ذكرنا انتشار الحواضر الثقافية فى البلدين واتصالهما اتصالا وثيقا فى عصر الخلافة وسنتحدث عن حواضر المغرب أولا لأنها أقدم نشأة وأرسخ قدما .

أهم الحواضر الثقافية فى بلاد المغرب والأندلس فى عصر الخلافة

القيروان :

كانت مدينة القيروان من أعظم المراكز الثقافية فى بلاد المغر، وقد حظيت بهذه المكانة خلال تاريخها الطويل وقد وصفها المقدسى فى القرن الرابع الهجرى بقوله «وكانت مصرا بهيا عظيما قد جمع أضداد الفواكه ، والسهل والجبل مع علم كثير- لاترى أرفق من أهلها- ليس بينهم غير حنفى ومالكى مع ألفة عجيبة ، لاشغب بينهم ولاعصبية - فهى مفخرة المغرب، ومركز السلطان ، وأحد الأركان ، أرفق من نيسابور ، وأكبر من دمشق وأجل من أصبهان ... جامعها بموضع يسمى السماط الكبير.... وهو أيسر من جامع ابن طولون بأعمدة من الرخام، ومفروش بالرخام»(٢).

ولم تلبث القيروان أن أصبحت مدينة من مدن العالم الشهيرة التى وفد اليها طلاب العلم من المشرق والمغرب والأندلس لتلقى العلم على أيدى علمائها وخاصة عن سحنون بن سعيد(٣)

١- اختطت مدينة القيروان سنة ٥٠هـ وقد قام ببنائها الأمير عقبة بن نافع لإقرار الجيش العربى الفاتح فى افريقية وتمكينه من الانتشار ومواصلة الفتح «عن القيروان ، انظر (ياقوت معجم البلدان جـ٤ ص٤٢٠، ص٤٢١) انظر (مصطفى زبيس بين الآثار الإسلامية فى تونس منشورات دار الثقافة سنة ١٩٦٦م) .

٢- المقدسى: أحسن التقاسيم ، ص٢٢٦، وما بعدها .

٣- وهو عربى من تنوخ ، كان أبوه من العرب الذين نزلوا القيروان «أحمد أمين ضحى الإسلام جـ١ ص٢٩٨ .

وتلاميذه من فقهاء المذهب المالكى[١] ، وكان طلاب العلم الأندلسيون يغتنمون فرصة مرورهم بالقيروان فيقيمون فيها وقتا يتعلمون من علمائها [٢].

ومع كثرة من سمع من سحنون فى القيروان من أهل الأندلس فان وفودهم كانت تتابع للسماع منه حتى يوم وفاته ، وقد روى أن سليمان بن سالم رأى يوم مات سحنون مشايخ أهل الأندلس يبكون ويضربون خدودهم كالنساء يقولون «يا أبا محمد ليتنا تزودنا منك نظرة نرجع بها إلى بلدنا»[٣].

ولم تكن الصلة بالقيروان قاصرة على الرحلة والتلقى مشافهة بل كانت هناك علاقات فكرية بن القيروان وبين الأندلس عن طريق المراسلة، فقد أشار القاضى[٤] عياض إلى مراسلة بين قاضى القيروان سحنون وبين قاضى قرطبة ، إذ يقول : «أنه جاء فى كتاب سحنون إلى محمد إلى محمد بن زياد قاضى قرطبة يأمره بالشدة والمعاقبة لمن تفالس وتكرار الآداب والعذاب عليه حتى يؤدى أو يموت ، قال سحنون بذلك أخذت فى ابن أبى الجواد ضربته أربعا وعشرين ومائة درة وأوقفته يوم الجمعة للناس فى صحن الجامع وسوف أضربه أبدا حتى يؤدى تحت الدرة أو يموت »[٥].

هكذا أصبحت القيروان من منابع الفكر العربى انتظم بها التعليم فى الكتاتيب والمساجد وتكونت المكتبات العامة التى ضمت الكتب العلمية والأدبية وأنشىء بها معهد لدراسة

١- «دخل المذهب المالكى إلى الأندلس على أيدى جماعة من فقهاء الأندلس الذين درسوا هذا المذهب على يد الإمام مالك فى المدينة ثم عادوا إلى بلادهم وعملوا على نشر هذا المذهب بين أهليهم وكانوا على مذهب أبى حنيفة ومن هؤلاء زياد بن عبد الرحمن اللخمى ٤٣٩ ص٢١٨، ٢١٩ ، المقرى، نفح الطيب جـ٢ ص٢١٨ ، ص٢١٩ ، ص٢٥١م ومن أئمة فقهاء المذهب المالكى أيضا يحيى بن يحيى الليثى (ت ٢٣٤هـ) ، (ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس فى المغرب حتى زيتون منتصف القرن الرابع الهجرى ، مجلة كلية العلوم الاجتماعية ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العدد الثالث ١٣٩٩ / ١٩٧٩ ص١٩٨) .

٢- المالكى : رياض النفوس ص٤٠٧ .

٣- المالكى : رياض النفوس ص٢٨٨ .

٤- محمد محمد زيتون العلاقات الثقافية بين القيروان والمراكز الفكرية فى المغرب ص١٩٩ .

٥- عياض : ترتيب المدارك جـ٢ ص٦٠٦ .

الرياضة والطب والصيدلة وترجمة الكتب اللاتينية وسمى هذا المعهد ببيت الحكمة[١]. وقد عم اشعاعها أرجاء المغرب كله بل أدرك الأندلس .

فكان من الأطباء الذين رحلوا من الأندلس إلى القيروان لتلقى العلم عن ابن الجزار[٢]، أبو حفص عمران بن بريق الأندلسى الذى لازم ابن الجزار فى القيروان فترة أخذ عنه فيها الطب وروى عنه كل تأليفه فى الطب ثم عاد إلى الأندلس فكان فى خدمة الأمراء والخلفاء الأمويين وخاصة عبد الرحمن الناصر وقد أدخل ابن بريق كتب أستاذه ابن الجزار إلى الأندلس فتلقاها عنه الاخصائيون فى الطب من مسلمين ويهود ونصارى ومنهم سليمان بن جلجل [٣].

ومن أهم معالم القيروان الفكرية، المسجد الجامع ، وهو من أقدم مساجد بلاد المغرب الإسلامى والمصدر العلمى والفكرى الأول الذى استقلت منه بلاد المغرب والأندلس معارفها وثقافتها [٤]، كما كان جامع الزيتونة فى تونس من أهم مساجد افريقية أيضا وذلك لشهرته كجامعة قديمة ما زالت تدرس فيها علوم اللغة والتاريخ والفقه [٥].

وإلى جانب المساجد التى ذكرناها ، أقيمت فى القيروان مساجد أخرى على نفقة بعض الأشخاص الصالحين، كعمل من الأعمال الخيرية، ومنها المسجد الذى أقامه محمد بن خيرون المعافرى الأندلس بالقيروان فى سنة ٢٥٢هـ وعرف هذا المسجد بذى الأبواب الثلاثة[٦].

١- الحسن السائح : الحضارة المغربية ص١٢٩ .

٢- «وهو أحمد بن ابراهيم المعروف بابن الجزار من أهل القيروان اشتهر بالطب وخدمة العامة «ابن جلجل» أبو دواد سليمان بن حسان ، الأندلس طبقات الأطباء والحكماء ، تحقيق فؤاد سيد، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة سنة ١٩٥٥ ص١٠٧ .

٣- ابن جلجل : طبقات الأطباء ص١٠٧ ، حسن عبد الوهاب ورقات عن الحضارة العربية بافريقية ص٣٠٩ إلى ص٣١٢ ، الحسن السائح ، الحضارة المغربية ص١٢٩ .

٤- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ص٤٢٩ «عن المسجد الجامع بالقيروان ، انظر أحمد فكرى: المسجد الجامع بالقيروان مصر سنة ١٩٣٦ ص٢٣ ، ص٤٠ ، ص٢٤٠ ، ص٢٦٥ ، ص٥٨ ، ص٥٩ .

G . Marcais, L'Architecture Musulmane d'Occident pp. 18 , L. 50 . 51 .

٥- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير ص٤٣٦ .

٦- Marcias, L'Architecture Musulmane, pp. 24-25, 47 .

فاس :

ومدينة فاس كانت حاضرة المغرب الأقصى وأهم مراكزها الثقافية وقد تأسست مدينة فاس على يد ادريس الثانى (١٧٧هـ- ٢١٣هـ/ ٧٩٣-٨٢٨م) وذلك سنة ١٩٢هـ - ٧٢٦م [١].

كان تأسيس مدينة فاس فاتحة عهد جديد فى تاريخ البلاد ، فقد أصبحت حاضرة المغرب الأقصى يقصدها العلماء والتجار من كل صوب [٢].

ويذكر ابن أبى زرع أن الأمير ادريس الثانى لما شرع فى بناء مدينة فاس قال «اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام بها حدودك واجعل أهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها »[٣].

ويصفها ابن حوقل فى القرن الرابع الهجرى بقوله وهى «مدينة جليلة يشقها نهر وهى جانبان يليها أميران مختلفان وبين أهل الجانبين الفتنة الدائمة والقتل الذريع المتصل ، ونهرها كبير غزير الماء عليه أرحيه كثيرة وهى مدينة خصبة مفروشة بالحجارة أحدثها ادريس بن ادريس » [٤].

أصبحت فاس مركزا علميا عظيما زاوجت بين ثقافة القيروان التى حملها القيروانيون الذين وفدوا على المولى ادريس الأول من ١٧٢هـ - ١٧٧هـ[٥] / ٧٨٨ - ٧٩٣م وعمروا العدوة القروية (المنسوبة إليهم والتى عرفت بعدوة القرويين) وبين الثقافة الأندلسية التى حملها إليهم الفقهاء والعلماء الذين طردهم الحكم الربضى من قرطبة فلجأوا إلى فاس حيث عمروا العدوة (المنسوبة إليهم والتى عرفت باسم عدوة الأندلسيين)[٦]. وقد بنت السيدة مريم أخت فاطمة

١- ابن أبى زرع : روض القرطاس جـ١ ص٦٣ .

٢- الجزنائى : زهرة الأسى: ص٢٢ ، حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى افريقية ص١٥٢ .

٣- ابن أبى زرع : روض القرطاس ص٤٨ .

٤- ابن حوقل : صورة الأرض ص٨٩ .

٥- لين بول : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ص٤٤ .

٦- البكرى : المغرب ص١٥٥ ؛ سالم (عبد العزيز) تاريخ المسلمين وأثارهم فى الأندلس ص٢٢٤ ، تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس ص٧٠ ، الحسن السائح : الحضارة المغربية عبر التاريخ .

الفهرية[١] مسجد جامع القرويين الذى تحول فيما بعد إلى معهد دراسى كبير فأخذت الثقافة المغربية فى فاس طابعا جديدا بعد ظهور هذه الجامعة حيث ازدهرت الدراسات الإسلامية فيها وظهرت حركة علمية نشطة فى تصانيف ومؤلفات جديدة وكان طابع هذا الاستقلال يظهر جليا فى استقلال علماء المغرب بالأخذ بالآراء، والمذاهب التى توافق البيئة المغربية الجديدة فاختاروا من المذاهب الفقهية المذهب المالكى[٢] «ولقد أسست مدينة فاس لتكون دار علم وصلاح فنزلها عدد من الفقهاء والصلحاء والأدباء والشعراء والأطباء»[٣].

ويذكر صاحب كتاب مفاخر البربر أن بفاس «من الفقهاء الأجلة أعيان الأنام ماليس بغيرها»[٤] ومن هؤلاء العلماء أبو ميمونة دراس بن اسماعيل الحراوى الفاسى، وهو الذى أدخل فقه مالك فى المغرب الأقصى بعد أن كان أهله على مذهب أبى حنيفة وكان من الحفاظ المعدودين، والفقهاء المشهورين، وتوفى بفاس ٣٥٧هـ/ ٩٦٧م[٥].

«وموسى بن يحيى الصدينى من أهل فاس، يكنى أبا هارون، كان فقيها حافظا للمسائل، عالما بالرأى، وله رحلة إلى المشرق لقى فيها أبا جعفر الأسوانى المالكى وغيره، ودخل الأندلس وحدث عنه عبدوس وغيره»[٦]. «توفى موسى ابن يحيى بمدينة فاس سنة ٣٨٨هـ/ ٩٩٨م»[٧].

١- «مريم وفاطمة الفهرية هما ابنتان لرجل عربى وافد من القيروان اسمه محمد ابن عبدالله الفهرى، فمات وترك أموالا كثيرة ورثتها ابنتاه فاطمة ومريم وأبدت الابنتان رغبة صادقة فى صرف قسم من هذا الارث الكبير فى بناء جامع القرويين فى مستهل رمضان سنة ٢٤٥هـ وذلك بعد أن ضاق جامعا العدوتين بجموع المصلين، انظر سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير ص٧٥٤، عن بناء جامع القرويين أنظر ابن أبى زرع: روض القرطاس ص٢٨، الجزنائى ص٣٥.

٢- الحسن السائح: الحضارة المغربية عبر التاريخ ص١٢٢.

٣- ابن أبى زرع: روض القرطاس ص٤٧، الحسن السائح: الحضارة المغربية عبر التاريخ ص١٢٢.

٤- مؤلف مجهول، مفاخر البربر ص٧٦.

٥- ابن الفرضى: تاريخ علماء الأندلس جـ ص١٤٦.

٦- ابن الفرضى: المصدر السابق ص١٥٠.

٧- ابن الفرضى: المصدر السابق ص١٥٠.

وأبو عبدالله محمد بن محمود الهوارى قاضى فاس[١] الذى ضرب به المثل فى عدله وورعه وكانت له تعليقات عميقة على المدونة وتوفى سنة ٤٠١هـ[٢] / ١٠١٠م .

ولقد كانت الشخصية العلمية المغربية بارزة فى القرويين فى القرن الرابع الهجرى وكان العلماء الذين درسوا فى فاس يرحلون إلى المشرق والمغرب والأندلس ليعطوا وليأخذوا فكان لمدرسة فاس الفقهية أسلوب خاص فى تحليل المدونة على طريقة خاصة تعتمد على المناقشات اللفظية وضبط الروايات وتصحيحها .

تاهرت :

وكانت مدينة تاهرت بالمغرب الأوسط من أهم المراكز الثقافية ، فقد عمل أئمة الدولة الرسمية منذ انشائها على تشجيع الحركة الثقافية فى بلادهم وكرسوا أنفسهم لنشر العلم والمعرفة بين جميع طبقات الشعب [٣]، فشاركت مدينة تاهرت فى تلك الحركة الثقافية التى أظلت المغرب وقتذاك وتوافد طلاب العلم على هذه المدينة فكانوا يتتلمذون على علماء الأباضية [٤]- فيدرسون الشريعة الإسلامية والفقه والعلوم العقلية من رياضيات وطب وكيمياء وتبادلت تاهرت الهجرات العلمية الواسعة مع بلاد الأندلس ، فكانت السفن تتردد بين وهران والمرية حاملة المتاجر والعلماء[٥].

ومن علماء تاهرت الراحلين إلى الأندلس لتلقى العلم على أيدى شيوخها وعلمائها ، أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن (ابن محمد التميمى) التاهرتى البزاز أبو الفضل ولد بتاهرت وقد كان من جلساء ابن حماد التاهرتى الأديب الشاعر ثم رحل إلى الأندلس، فسمع من قاسم بن أصبغ ووهب بن مسرة وأبى بكر الدينورى وتوفى أبو الفضل سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م.

١- أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ ص٣٠٠ .

٢- الحسن السائح : الحضارة المغربية ص١٢٥ .

٣- دبرز : المغرب الكبير جـ٣ ص٣١٢ ، ص٣٧٣ ، سالم (عبد العزيز) المغرب الكبير (العصر الإسلامى) ص٥٧٤ ، ٥٧٥ .

٤- عن مذهب الأباضية انظر : أبو الربيع سليمان البلرونى، مختصر تاريخ الأباضية ص٢٩ ، تونس ١٩٣٨ ، ولنفس المؤلف : أنظر الأزهار الرباضية فى أئمة وملوك الأباضية ، بدون تاريخ.

٥- (عبد العزيز سالم) المغرب الكبير ص٥٦٩ .

هذا وقد وصف المقدسى مدينة تاهرت فى القرن الرابع الهجرى بقوله «تاهرت هى اسم القصبة ... وهى بلخ المغرب قد أحدقت بها الأنهار والتفت بها الأشجار ... وانتعش فيها الغريب واستطابها اللبيب، يفضلونها على دمشق ... وعلى قرطبة ، وأظنهم أصابوا ، وهو بلد كبير كثير الخير، رشيق الأسواق، غزير الماء، جيد الأهل قديم الوضع»[١]. هذا وقد ظلت مدينة تاهرت وازدهرت طوال حكم الرستميين فى المغرب الأوسط، لكنها فقدت أهميتها بعد أن قضى الفاطميون عليها سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م.

ومن حواضر الأندلس الثقافية التى أسهمت فى هذه النهضة الشاملة وشاركت فى التبادل الفكرى بين القطرين مدينة قرطبة التى كانت من أهم وأعظم الحواضر الثقافية فى القرن الرابع الهجرى، حيث نشطت الحركة العلمية فيها، نشاطا لامثيل له، حتى غدت بحق قاعة العلوم ومركز الآداب، وأصبح اسمها يرتبط ارتباطا وثيقا بالعلم ، بل أصبح العلم من معالمها البارزة التى يتفاخر بها أبناؤها[٢].

وقد وصفها مؤرخو العرب وجغرافيوهم أبدع وصف ، فيصفها الحجارى فى كتابه المسهب نقلا عن المقرى بقوله «حضرة قرطبة منذ افتتحت الجزيرة هى كانت المسهب العناية ومركزا الراية وأهم القرى وقرارة أولى الفضل والتقى ووطن أولى العلم والنهى، وقلب الإقليم وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الإسلام وحضرة الأنام، ودار صوب العقول وبستان ثمر الخواطر ، وبحر درر القرائح ومن أفقها طلعت نجوم الأرض، وأعلام العصر، وفرسان النظم والنثر، وبها أنشئت التأليفات الرائعة ، وصنفت التصنيفات الفائقة ، والسبب فى تبريز القوم حديثا وقديما على من سواهم أن أفقهم القرطبى لم يشتمل قط إلا على البحث والطلب لأنواع العلم والأدب [٤].

ومما يروى عن شهرة قرطبة فى مجال العلوم ما قاله ابن رشد[٥] لابن زهر[٦] فى تفضيل

١- المقدسى ، أحسن التقاسيم ص٢٨٨ .

٢- الحسن السائح ، الحضارة المغربية ص١٢٥ .

٣- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس جـ٢ ص١٥٩ .

٤- المقرى : نفح الطيب، ، جـ٢ ، ص٩ .

٥- «هو أبو الوليد بن رشد الفيلسوف المتوفى ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م».

٦- «هو أبو بكر بن زهر الطبيب المتوفى ٥٩٥هـ .

قرطبة على أشبيلية ، إذ قال : «ما أدرى ما تقول غير أنه إذا مات عالم باسبيلية فأريد بيع كتبه حملت إلى قرطبة حتى تباع فيها، وإن مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت إلى أشبيلية [١].

هذا وقد شهدت قرطبة فى عصر الخلافة وخاصة عصر الخليفة الحكم المستنصر نهضة علمية واسعة إذ كان هذا الخليفة من أشهر الملوك والخلفاء اهتماما بالكتب وأشد الناس احتراما للعلم والعلماء ويجمل ابن الخطيب صفات الحكم العلمية بقوله «كان رحمه الله عالما فقيها بالمذاهب، إماما فى معرفة الأنساب، حفاظا للتاريخ ، جماعا للكتب، مميزا للرجال من كل عالم وجيل وفى كل مصر وألوان ، تجرد لذلك وتهمهم به، فكان حجة وقدوة وأصلا يوقف عنده[٢].

كان الحكم من كبار علماء الأندلس ، سمع من قاسم بن أصبغ ومحمد ابن عبد السلام والخشنى وغيرهم من علماء الأندلس[٣].

«وقلما كان يوجد كتاب من خزائنه إلا وله يه قراءة أو نظر أو تعليق مهما كان موضوع الكتاب ، وكان يعتنى بكتابة نسب المؤلف ومولده وتاريخ وفاته ولذلك كان فى معرفته برجال العلم والأدب والأخبار والأنساب أحوذ يا نسيج وحده وكان ثقة فيما ينقله [٤].

كذلك كان الحكم المستنصر محبا للعلماء ، مكرما لهم كما سبق أن ذكرنا كما استطاع الفلاسفة أن ينصرفوا فى ظله إلى بحوثهم دون خوف من أن يقتلهم الأتقياء الورعون»[٥].

فكان الحكم يبعث فى استقدام العلماء من المشرق ، فيرحب بهم ويكرم مثواهم[٦]، ومن بين علماء المشرق الذين وفدوا إلى قرطبة أيام أبيه أبو على اسماعيل بن القاسم القالى اللغوى صاحب كتاب الأمالى، إذ وفد على قرطبة أيام الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة ٣٣٠هـ /

١- المقرى : نفح الطيب جـ١ ص١٤٧ .

٢- ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص٤١ .

٣- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٦٣ .

٤- المقرى: نفح الطيب جـ١ ص٣٧١ .

٥- Dozy : Histoire des Musul. d'Musul . d'Espagne vol . II, p. 189 .

٦- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس جـ٢ ص١٦٤ .

٩٤١م، فأمر الناصر ابنه الحكم باستقباله عند نزوله بالأندلس واصطحابه معه إلى قرطبة ، هذا وقد عهد إليه الخليفة الناصر بتأديب الحكم ولده وولى عهده [١]. وأهدى القالى كتابه الأمالى إلى الخليفة الناصر[٢].

كان وفود القالى إلى قرطبة يمثل نهضة علمية كبيرة فى الدراسات اللغوية والأدبية ، فعليه تتلمذ أبوبكر الزبيد والعاصمى وغيرهم .

ومن العلماء المشارقة الذين وفدوا إلى الأندلس فى عهد هشام المؤيد الأديب اللغوى أبو العلاء صاعد الحسن البغدادى[٣].

ومن العلماء المغاربة الذين وفدوا على قرطبة فى عصر الخلافة محمد ابن يوسف الوراق الذى نشأ بالقيروان وتعلم ها ثم رحل إلى قرطبة واستوطنها وألف بالأندلس للخليفة الحكم المستنصر كتابا ضخما فى مسالك افريقية وممالكها[٤] وضم أيضا محمد بن الحارث الخشنى الذى ولد بالقيروان وتلقى العلم بها ثم رحل إلى قرطبة فسمع من شيوخها . وكان حافظا للفقه عالما بالفتيا وقد ولى الشورى بقرطبة حيث قام بتأليف كتب كثيرة وخاصة فى الفقه والتاريخ وتوفى ٣٦١هـ / ٩٧١م[٥].

هذا وقد جمع الخليفة الحكم المستنصر «من الكتب مالا يحد ولايوصف كثرة ونفاسة حتى قيل أنها أربعمائة ألف مجلد ، وأنهم لما نقلوها أقاموا ستة أشهر فى نقلها »[٦] واعتنى الحكم المستنصر بهذه الكتب عناية كبرى فجمع فى قصره حذاق النساخين ، والمهرة فى الخط ،

١- جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى، جـ١ ص١٧٣ ترجمة حسين مؤنس .

٢- جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلس جـ١ ص١٧٣ .

٣- عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٦٤ .

٤- الحميدى: جذوة المقتبس ص٧ ، الضبى - بغية الملتمس ص١٤١ ، المقرى والجغرافيين فى الأندلس ص٨٣ .

٥- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص١١٣ ، ابن فرحون ، الديباج المذهب ص٢٥٩ ، انظر مقدمة كتاب قضاة قرطبة للخشنى ص٦ ، ص١١ ، القاهرة ١٣٧٣هـ .

٦- ابن الخطيب : الاحاطة فى أخبار غرناطة جـ١ ص٤٨٦ ، تحقيق محمد عبدالله عنان، القاهرة سنة ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٥م، المقرى: نفح الطيب جـ١ ص٣٧١ .

والمجيدين فى التجليد صيانة لكتبه . ولكن هذه المكتبة العظمى التى اجتهد الحكم فى تكوينها لم تلبث أن بددت عند حصار البربر لقرطبة فى سنة ٤٠٠هـ[١] / ١٠٠٩م .

وقد اشتهر علماء الأندلس وفقهاؤها بكثرة التأليف [٢]. كما أصبحت الكتب فى الأندلس عامة وفى قرطبة خاصة موردا رائعا وسوقها نافقا[٣].

وكثرت فى حوانيت قرطبة الكتب وغدت أسواقها حافلة، بالحركة كما كثرت فى المساجد التى كانت بمثابة دور للعلم المكتبات الزاهرة بمختلف الكتب والمؤلفات المختلفة ليستعملها الطلبة فى دراستهم[٥].

هذا ولم تنشأ عند الأندلسيين مدارس خاصة، بل ظل المسجد[٦] هو المكان المخصص للدراسة. فإن لم يكن المسجد ، فبيت الأستاذ نفسه .

وقد تحدث ابن بشكوال فى كتابه الصلة عن «أستاذ كان يقصده الطلبه فى داره وهم نيف على أربعين تلميذا »[٧].

ومن أشهر شعراء قرطبة فى عصر الخلافة الشاعر أبو عمر يوسف بن هارون القرطبى المعروف بالرمادى المتوفى ٤٠٣هـ[٨].

١- عبد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٦٤ .

٢- عبد الرحمن الحجى : الكتب والمكتبات فى الأندلس ، فصلة من مجلة كلية ، الدراسات الإسلامية (بغداد) ص٣٦٦، العدد الرابع ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٣- الحجى : المرجع السابق ص٣٦٨ .

٤- عنان : دولة الإسلام فى الأندلس جـ٢ ص٥٠٦ ، الحجى: الكتب والمكتبات ص٣٧٨ .

٥- الحجى: المرجع السابق ص٣٧٨ ، عن الكتب والمكتبات فى الأندلس ومبلغ اهتمام الأندلسيين بها ، انظر مقالة للأستاذ خوليان رايبرا ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مدريد مجلد ٤ جـ١ ، جـ٢ ، ترجمة جمال محرز.

٦- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى جـ١ ط الثانية ، دار الثقافة بيروت ص٣٨ .

٧- ابن بشكوال : الصلة جـ١ ص٤١ ، ط القاهرة سنة ١٩٥٥ .

٨- ابن بشكوال : الصلة قسم٢ ، القاهرة سنة ١٩٦٦ ، ص٦٧٤ ، جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ص٦٨ .

وأقدم من اشتهر من أدباء قرطبة أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد الفريد، الذى يعتبر ركنا من أركان الأدب الأندلسى [١].

كذلك اهتمت مدرسة قرطبة بالعلوم الدينية كالحديث وعلوم القرآن والتفسير وصنف العلماء فيها الكتب الكثيرة .

كما أنجبت قرطبة عددا من كبار المؤرخين فى الأندلس من أشهرهم أحمد ابن محمد بن موسى الرازى الملقب بالتاريخى (ت ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م) [٢].

كما ازدهرت الطب والصيدلة بالمدينة أيضا ازدهارا دعا الحكم المستنصر إلى انشاء ديوان للأطباء ، يقيد فيه اسم كل طبيب يحترف مهنة الطب والصيدلة ويزاولها ، فاذا ما ارتكب خطأ يتوجب العقاب أسقط اسمه من الديوان [٣]، كما حدث بالنسبة للطبيب أحمد بن حكيم بن حفصون «الذى لازم الحاجب جعفر الصقلبى، فلما سجن جعفر وسقطت منزلته ثم مات ، أسقط صاحبه الطبيب» من ديوان الأطباء ، وبقى مخمولا إلى أن توفى[٤].

وهكذا ازدهرت العلوم والفنون والآداب فى قرطبة ازدهارا عظيما جعلها من أعظم الحواضر الثقافية فى عالم المغرب الإسلامى .

أشبيلية[٥] :

وكانت أشبيلية أيضا من أهم حواضر الأندلس التى ازدهرت بها الحياة الثقافية ، فكثر الشعراء والأدباء والمغنون ، كما انتشرت بها المكتبات العامة[٦] انتشارا واسعا كما أقبل أهل المدينة على اقتناء الكتب والمصنفات النادرة مثلهم فى ذلك مثل جميع أهل الأندلس فى ذلك الوقت .

١- الضبى : بغية الملتمس ص١٤٨ ، (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٦٨ ، لطفى عبد البديع ، الاسلام فى أسبانيا ص٧٥ .

٢- المقرى : نفح الطيب جـ٤ ص١٦٦ .

٣- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص٢٠٨ .

٤- ابن أبى أصيبعة، عيون الأنباء فى طبقات الأطباء ص٤٩٤ .

٥- العذرى : نصوص عن الأندلس ص٩٥ وابن الكردبوس : تاريخ الأندلس ص١٤٠ .

٦- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ص٣٩ .

هذا وقد بلغت عصر النهضة الأدبية أوجها فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى فى عهد ملوك الطوائف فى فترة حكم بنى عباد فى أشبيلية بالذات[١].

ومن أشهر شعراء عصر الخلافة فى أشبيلية الشاعر محمد بن هانىء الأشبيلى[٢] وقد عاش هذا الشاعر فى أشبيلية حياة استهتار واتهم بالزندقة فنقم عليه أهل المدينة فخرج إلى المغرب حيث لقى جوهرا مولى المنصور فامتدحه ثم ارتحل إلى جعفر ويحيى ابنى على وكانا بالمسيلة - وبالغا فى اكرامه والاحسان إليه ثم رحل المعز إلى مصر فشيعه ابن هانى، وعاد إلى المغرب لأخذ عياله واللحاق به ولكنه لقى حتفه عند برقة سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م[٣].

ومن أدباء أشبيلية المشهورين بسعة العلم، الأديب محمد بن حسن ابن عبد الله الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م[٤]، وكان واحد عصره فى علم النحو وحفظ اللغة واستأدبه الخليفة الحكم المستنصر لابنه هشام[٥] حيث قام بتعليمه وتأديبه ، فعلمه علم الحساب والعربية[٦].

وكان الزبيدى هذا شاعرا يميل إلى الحكمة والزهد ، فيذكر الخوف من الله، وخلود الروح، فيتحدث عن ثواب الآخرة وعقابها[٧].

وكذلك أحمد بن عبد الملك بن هشام الاشبيلى المتوفى سنة ٤٠١هـ - ١٠١٠م[٨]،

١- عن استقلال أشبيلية فى القرن الخامس الهجرى، انظر صلاح خالص ، أشبيلية فى القرن الخامس الهجرى، المكتبة الأندلسية ص١٠٩ ، ص١١٨ .

٢- الحميدى: جذوة المقتبس : ص٩٦ ، عن ابن هانىء انظر فصل العلاقات السياسية .

٣- جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ص٦٤ .

٤- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص٩٠ ، الضبى ، بغية الملتمس ص٦٦ .

٥- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص٩٠ ، الضبى ، بغية الملتمس ص٦٦ . (عبد العزيز سالم) ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس جـ٢ ص١١٧ ، احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى، ص٧٠ .

٦- جانثلث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى، ص٦٤ .

٧- جانثلث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ص٦٥ .

٨- الضبى : بغية الملتمس ص١٣٢ .

وأحمد بن محمد الخولانى المعروف بابن الأبار[١] وهو من شعراء أشبيلية المعروفين «وهو كثير الشعر حسن التعبير»[٢] توفى سنة ٤٣٠هـ/ ١٠٣٨م.

وعرفت أشبيلية فى تاريخ الحياة الأندلسية بأنها مدينة الأدب واللهو والطرب[٣]. فقد اشتهر أهلها بحبهم للهو حتى «ضرب بهم المثل فى الخلاعتش وانتهاز فرصة الزمن ساعة بعد ساعة»[٤]. وشغفوا بالغناء الذى توارثوه عن زرياب مغنى الأندلس المشهور زمن الأمير الأموى عبد الرحمن الثانى.

ويتحدث المقرى عن شهرة أشبيلية فى الغناء فيقول «اشتغل أبو القاسم ابن محمد المليح أول أمره بالزهد وكتب التصوف، فنصحه أبوه بأن يعاشر الظرفاء وأهل الأدب، ويأخذ نفسه بقول الشعر، ومطالعة كتب الأدب، فلما عاشرهم زينوا له الراح، فتهتك فى الخلاقة، وفر إلى أشبيلية وتزوج بامرأة لاتليق بحاله، وصار يضرب معها بالدف[٥].

وقد ازدهرت النهضة الأدبية فى أشبيلية ازدهارا كبيرا فى عهد بنى عياد[٦].

طليطلة :

ولايفوتنا أن نذكر أن طليطلة أيضا كانت من أهم حواضر الأندلس الثقافية حيث انتشرت بها المكتبات[٧] العامة والخاصة واشتهرت بصناعة الورق[٨] «فكان يضرب بها المثل» ويعمل بها الورق الذى لانظير له[٩].

١- الضبى : بغية الملتمس ص١٦٤ .

٢- الضبى : بغية الملتمس ص١٦٤، صلاح خالص : أشبيلية فى القرن الخامس .

٣- عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٠١ .

٤- المقرى : نفح الطيب : جـ٢ ص١٥١ .

٥- المقرى : نفح الطيب جـ٥ ص٢١١ ، عبد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٠٢ .

٦- صلاح خالص : أشبيلية فى القرن الخامس ، ص١٣٨ ، ص١٣٩ ، عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٠٢ .

٧- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ص٣٩ .

٨- عبد الرحمن على الحجى: الكتب والمكتبات فى الأندلس ص٣٦٢ .

٩- المقرى : نفح الطيب جـ١ ص١٦٦ .

وقد رحل إلى القيروان بعض علماء طليطلة منهم حزم بن غالب الرعيني وكان يستغني ببلده وولى الصلاة وأحكام القضاء[١] وزكريا بن قطام الذى ولى قضاء طليطلة [٢].

ومن فقهاء طليطلة المشهورين بسعة العلم الفقيه محمد بن سعيد المعروف بأن الأعرج أبو عبدالله صاحب الصلاة بطليطلة ، وكان فقيها محدثا مشهورا [٣]. ومحمد بن أحمد بن اسماعيل أبو عامر القاضي الطليطلي [٤]، وهو فقيه مشهور روى عن أبي المطرف عبد الرحمن بن محمد بن عيسى ابن البيروله[٥] وأحمد بن سهل بن الحداد الطليطلي كان فقيها مقرئا ، توفى ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م[٦].

ومن أدباء طليطلة أبو العباس الزعمي «وهو أديب وشاعر محسن»[٧] ، وصاعد بن أحمد بن صاعد أبو القاسم الطليطلي القاضي الفقيه المشهور المتوفى سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م [٨].

هذا وقد استقلت بطليطلة بعد سقوط الخلافة الأموية أسرة بربرية أندلسية كانت في خدمة الحاجب محمد بن أبي عامر وهي أسرة ذى النون[٩] وقد بلغت هذه الأسرة من البذخ والترف الغاية ، وأقام ملوكها القصور المنيعة كما شجع هؤلاء الملوك الأدباء والشعراء فصارت طليطلة من أكبر حواضر الأندلس الثقافية في عهدهم .

وقد توثقت الصلات بين هذه المدارس على النحو الذى رأيناه عند حديثنا عن الرحلات المتبادلة بين البلدين. فما تفاصيل هذه العلاقات ؟

تفاصيل العلاقات الثقافية بين الأندلس والمغرب

١- ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ص١١٧ .

٢- ابن الفرضي : البغية ص٦٦ .

٣- الضبي : البغية ص٥٢ .

٤- الضبي : البغية ص٥٢ .

٥- الضبي : البغية ، ص١٨٣ .

٦- الضبي : بغية ، ص١٨٣ .

٧- الضبي : بغية الملتمس ، ص١٨٦ .

٨- الضبي: بغية الملتمس ، ص٣٢٣ .

٩- عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٠٥ .

تجلت هذه العلاقات فى النواحى الآتية :

الفقه : انتشار مذهب مالك فى المغرب والأندلس

من المعروف أن الإسلام والثقافة العربية الإسلامية قد امتدتا إلى بلاد الأندلس عن طريق بلاد المغرب التى لعبت دورا عظيم فى نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية فى تلك البلاد منذ أن افتتحها موسى بن نصير عامل أفريقية ومولاه البربرى طارق بن زياد سنة ٩١هـ-٧٠٩م .

وكان أهم تطور ثقافي شهدته بلاد المغرب والأندلس هو انتشار مذهب مالك وتفشيه فى القسم الغربى من العالم الإسلامى[١] ، فغلبت على ثقافة البلدين التقاليد المالكية التى تدور حول فقه مالك والعلوم المساعدة الأخرى التي تخدم هذا الفقه وتساعد على فهمه[٢] .

هذا وقد ذهب مالك إلى القيروان قادما من مصر حيث رحل كثيرون من طلاب العلم وفقهاء البلاد إلى مصر أو الحجاز طلبا للمزيد من فقه عالم دار الهجرة [٣].

ولكن هؤلاء لم يكن لهم أثر يذكر حتى جاء أسد بن الفرات العالم الشهير فى تاريخ أفريقية [٤]، وهو نيسابورى الأصل قيروانى الدار [٥]، رحل إلى مصر فسمع من إمام المالكية بها على بن القاسم فتأثر به ، ثم رحل إلى المدينة حيث درس موطأ مالك ثم رحل إلى العراق وعاد إلى القيروان فدون خلاصة مشاهداته وتجاربه[٦] فى كتاب أسماه «الأسدية فازداد الناس معرفة بفقه مالك وتقاليده فزاد هذا من رغبة طلاب العلم والفقهاء المغاربة فى السفر والرحلة طلبا للاستزادة من فقه مالك وتعاليمه .

١- حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ص١٥٤ .

٢- الشيخ الأمينك العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين مالى وسنغى «رسالة ماجستير مطبوعة ص١٦٧ .

٣- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ص١٥٥ .

٤- المالكى : رياض النفوس ، تحقيق حسين مؤنس ص١٨١ ، حسن أحمد محمود ، المرجع السابق ، ص١٥٥ كان أسد ابن الفرات، على مذهب ابى حنيفة مذهب أهل العراق ثم درس فقه مالك وتأثر به وأصبح من أكبر فقهاء المالكية أحمد أمين ضحى الإسلام جـ١ ص٢٩٨ .

٥- أحمد أمين ، ضحى الإسلام جـ١ ص٢٩٨ .

٦- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص١٥٥ ، أحمد أمين ضحى الإسلام ، جـ١ ص٢٩٨ .

ثم جاء بعد أسد بن الفرات فقيه المغرب المشهور سحنون بن سعيد تلقى العلم على يد علماء القيروان أولا، ثم رحل إلى مصر فأخذ العلم عن ابن القاسم وأشهب وابن وهب وغيرهم وأقام فى الفسطاط زمنا حتى تشرب المذهب وجمع خلاصة دراساته وقراءاته المالكية[١] فى كتاب أسماه المدونة[٢]، فأقبل عليه طلاب العلم والفقهاء من المغرب والأندلس وذاعت شهرته هناك وأقبل عليه علماء قرطبة قرطبة يسمعون منه ويتتلمذن عليه[٣] .

ويحدثنا القاضى عياض فى كتابه ترتيب المدارك عن كثير من العلماء والفقهاء الأندلسيين الذين أتوا لتلقى العلم والاستزادة من فقه مالك على يد فقيه المغرب المشهور سحنون بن سعيد ومنهم محمد بن خالد بن مرتيل القرطبى (ت ٢٥٦هـ/ ٨٦٩م) سمع من سحنون فى القيروان وعاد إلى الأندلس فكان رأس المالكية بها والمدافع عن المذهب المالكى هناك [٤].

وعثمان بن أيوب بن أبى الصلت (ت ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م) الذى يرجع إليه الفضل فى ادخال المدونة إلى الأندلس [٥].

ومنذ ذلك الوقت بدأ مذهب مالك يدخل الأندلس وينتشر فيها حيث تمكنت تقاليد المالكية من تلك البلاد. ومما يدل على مبلغ اقتناع الأندلسيين بمذهب مالك وتفضيلهم إياه ما رواه القاضى عياض عن الخليفة الحكم، إذ قال المستنصر[٦] «نظرنا طويلا فى أخبار الفقهاء وقرأنا ما صنف من أخبارهم إلى يومنا هذا، فلم نرى فى مذهب من المذاهب أسلم منه، كان فيهم الجهمية والرافضة والخوارج والشيعة إلا مذهب مالك، فإنا ماسمعنا أحد تقلد مذهبه قال بشىء من هذه البدع»[٧].

١- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ص١٥٥ .

٢- الدباغ : معالم الإيمان جـ٢ ص٥٠ .

٣- حسن أحمد محمود ، نفس المرجع ص١٥٥ .

٤- القاضى عياض : ترتيب المدارك جـ٣ ص١٣٤ .

٥- القاضى عياض : ترتيب المدارك جـ٣ ص١٣٧ .

٦- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص١٥٦ .

٧- حسن أحمد محمود : قيام دولة المرابطين ص٩٤ .

ومن أشهر فقهاء القيروان بعد سحنون بن سعيد أبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن اللباد، واشتهر بالحفظ والاتقان وسعة العلم، وسعيه لنشر المذهب المالكى فى المغرب، وإعداد علماء حملوا علمه وأفاد منهم الناس. وقد اضطهد، الفاطميون أيام سطوتهم لأنه لم يتابعهم فى آرائهم، فسجنوه ومات سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م [١].

ثم أبو ميمونة دراس بن اسماعيل الحراوى الفاسي، وهو الذى أدخل فقه مالك إلى المغرب وكانت له رحلة إلى القيروان والأندلس كما سبق أن ذكرنا .

أما فقهاء المالكية فى الأندلس فكان عددهم لايحصى لما كان للمذهب من قوة فى الأندلس، وقد عنى أهل الأندلس بالمعلومات الدينية كالحديث والقراءات وعلوم القرآن والتفسير ، وصنفوا فيها الكتب.

وقد أنجبت الأندلس فى علم أصول الفقه علماء مشهورين بالفضل وسعة العلم، منهم الفقيه العالم يحيى بن يحيى الليثى المتوفى (٢٣٤هـ/ ٨٤٨م[٢]) وأستاذه زياد بن عبد الرحمن اللخمى المعروف بشبطون أول من أدخل المذهب المالكى إلى الأندلس [٣].

أما فقهاء المالكية فى عصر الخلافة قاسم بن اصبغ البيانى تلميذ بقى ابن مخلد ومحمد بن وضاح ، وكان بصيرا بالحديث والرجال وصنف على نهج كتاب السنن لأبى داود كتابا فى الحديث سماه المجتنى[٤].

ومحمد بن يحيى بن عمر لبابه المعروف بالبوجون وقد توفى ٣٣٠هـ / ٩٤٢م [٥]، ومحمد بن يبقى بن محمد زرب المتوفى سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م . وكان أحفظ أهل عصره للمسائل على مذهب مالك وأصحابه[٦].

١- أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ ص٢٩٨ ، ٣٠٠ .

٢- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس قسم ٢ ص١٨٠ .

٣- المقرى: نفح الطيب جـ٢ ص٢١٨ ، ص٢١٩ ، ص٢٥١ .

٤- المقرى: نفح الطيب جـ٢ ص٢٠٤ ، جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى.

٥- ابن الفرضى: تاريخ علماء الزندلس قسم ٢ ص٩٤ .

٦- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس قسم٢ ص٩٤ .

هذا وقد تمكنت تقاليد المالكية من نفوس المغاربة والأندلسيين فوقفوا للمذاهب الأخرى بالمرصاد يهاجمونها ويدافعون عن مذهبهم ويتعصبون له فلما انتشرت فى بلاد المغرب محنة خلق القرآن وآراء المعتزلة كان الملكيون أشد الناس عنفا فى مقاومتهم[1] ولم يزدهر هذا إلا تعصبا وتمسكا بالكتاب والسنة.

انتشار المذهب الشيعي فى بلاد المغرب وامتداده إلى الأندلس :

وعلى أثر قيام الخلافة الفاطمية الشيعية فى بلاد المغرب سنة ٢٩٦هـ ٩٠٨م حاولت تلك الخلافة نشر مذهبها الشيعي ودعوتها الشيعة فى بلاد المغرب والأندلس أيضا وفرض هذا المذهب على أهل البلاد، فجلبوا أئمة المالكية وأخذوا يجادلونهم ويناظرونهم ، فلمْ يتقنعوا[1]، فأغدقوا عليهم الأموال فرفضوا ولم يزدهم هذا الا تعصبا لمذهبهم ، انقلب عليهم الفاطميون وقاموا بتعذيب الفقهاء والعلماء وضربهم بالسياط ومصادرة أموالهم فقتلوا فى وقعة أبى يزيد مخلد بن كيداد خمسة وثمانين من نخبة علماء القيروان[3] «ومن هؤلاء الفقهاء الذين تعرضوا للتعذيب والسجن الفقيه المالكى أبو بكر محمد بن محمد المعروف بابن اللباد حيث قاموا بتعذيبه وسجنه حتى توفى سنة ٣٣٣ / ٩٤٤م[4].

وعلى أثر هذا الاضطهاد من جانب الفاطميين هاجر كثير من فقهاء المالكية من المغرب إلى الأندلس ومن هؤلاء الفقهاء حكم بن محمد القيروانى القرشى الذى سجنه عبيدالله المهدى بسبب مهاجمته للفاطميين وكان يتردد بين قرطبة والقيروان [5].

وعلى الرغم من انتشار مذهب مالك فى المغرب والأندلس وتعلق المغاربة والأندلسيين به، إلا أن هذا لم يمنع من انتشار بعض المذاهب الأخرى كالمذهب الاسماعيلى وأراء المعتزلة والخوارج .

١- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ص١٥٦ .

٢- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص١٥٨ .

٣- أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ ص٣٠٠ .

٤- أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ ص٢٩٩ .

٥- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص١٢١ .

ومن أشهر الفقهاء الذين قاموا بنشر مذهب الشيعة وآراء المعتزلة فى المغرب والأندلس أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن مسرة بن نجيح الجبلى قرطبى ولد سنة ٢٦٩هـ/ ٨٨٢م وتتلمذ على يد أبيه ومحمد بن وضاح والخشنى [١].

استطاع ابن مسرة أن يؤسس سرا مدرسة شيعية فى الأندلس حيث جاهر ببعض الآراء الدينية المغرقة فى التأويل[٢] فاتهم[٣] بالذندقة فغادر الأندلس فارا إلى المشرق وقضى بضعة أعوام حيث تفقه على أيدى المعتزلة والكلاميين وأهل الجدل [٤]، ثم رحل إلى القيروان حيث قضى فترة من حياته الدراسية هناك وهى الفترة التى بلغ نشاط الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب أوجه من الناحية السياسية والدعائية ، فكان التشيع مصدرا من تعاليم ابن مسرة مثل قوله عن اكتساب النبوة وأنها ليست اختصاصا أصلا وهى فكرة تشبه فكرة المهدى عن الباطنية والتى قاربوا بها مرتبة نبوة النساء[٥].

عاد ابن مسرة مرة أخرى إلى الأندلس فاخفى آراءه ومحلته الحقيقية تحت ستار من النسك والورع وكان ذلك فى بداية عهد الناصر، فاختلف إليه الطلاب من كل مكان ، فكان يستهويهم بغزير علمه وسحر بيانه[٦] حتى التف حوله جمهرة كبيرة من الطلاب والأتباع وانتشر مذهبهم فى الأندلس إلى درجة دفعت الناصر إلى تتبع أصحابه وأصدر فى سنة ٣٤٠هـ/ ٩٤٩م كتابا قرىء فى جميع البلاد أدان فيها ابن مسرة ومدرسته وأمر أن يتتبع أنصاره ويؤتى بهم إلى قرطبة [٧].

١- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس ص٣٩ ، ص٤٠ ، ترجمة ١٢٠٤ .

٢- عنان : دولة الإسلام فى الأندلس جـ١ قسم ٢ ص٤٣١ .

٣- عن ابن مسرة وحركته انظر محمود على مكى، التشيع فى الأندلس ص١٠٨ ، ص١٠٩ ، صحيفة معهد الدراسات الإسلامية - مدريد ١٩٥٤ .

٤- ابن الفرضى : تاريخ علماء الأندلس جـ ص٣٩ ، ص٤٠ ، رقم ١٢٠٤ ، الحميدى: جذوة المقتبس ، ص٥٨ ، ص٥٩ ، عنان دولة الإسلام فى الأندلس جـ١ قسم٢ ص٤٣١ .

٥- محمود مكى: التشيع فى الأندلس- مدريد م٢ ص١٠٨ سنة ١٩٥٤ .

٦- إحسان عباس: تاريخ الأدب الأندلسى ص٣٤ .

٧- ابن حيان : المقتبس : السفر الخامس، لوحة ١٣ وما بعدها ، عن عنان : دولة الإسلام فى الأندلس قسم٢ ص٤٠٨ إلى ص٤١٠ .

ومن أشهر تلاميذ ابن مسرة الذين صحبوه وامنوا به وبمذهبه أيوب بن سليمان اسماعيل الطليطلى (توفى ٣٤٣هـ/ ٩٥٤م) وكان قديم الجوار لابن مسرة طويل الملازمة له[١]. وخليل بن عبدالملك المتوفى ٣٢٣هـ/ ٩٣٤م الذى تفقه بكتب ابن مسرة وضبطها وكان غاية فى الورع والزهد[٢] . والقاضى منذر بن سعيد البلوطى المتوفى سنة ٣٥٥هـ/ ٩٦٥م[٣] الذى أصبح قاضى الجماعة بقرطبة وقد خالف منذر جمهور علماء عصره فى مذهبه الفقهى، فبينما كانت الدولة تدين بمذهب مالك نراه ينزع إلى المذهب الظاهرى ويؤلف فى الدفاع عنه كتاباً. على أنه كان حريصا برغم ذلك على احترام وحدة الدولة من الناحية المذهبية ، فكان إذا جلس للقضاء لايحكم إلا بمذهب مالك، هذا ولم يحاول منذر أن يفرض تشيعه على الناس بل احتفظ به لنفسه . ولم يجعل له أثرا فى حياته الرسمية[٤]، كما تأثر بمدرسة ابن مسرة حكم وسعيد ابنا منذر[٥] ابن سعيد القاضى وابن أخيه أيضا [٦].

هذا وقد قام فريق من الفقهاء المشارقة والأندلسيين بالرد على ابن مسرة . ومن الأندلسيين الذين قاموا بالرد على ابن مسرة القاضى محمد بن يبقي بن زرب الذى ولى القضاء سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م فألف كتابا فى الرد على ابن مسرة واعتنى بتتبع أصحابه وأحرق كتبهم [٧].

وعلى الرغم من انتشار مذاهب الشيعة وآراء المعتزلة فى كل من المغرب والأندلس، إلا أن نجاح الدعاية الفاطمية الشيعية كان محدودا وذلك لما كان للمذهب السنى من قوة متأصلة فى نفوس الأندلسيين[٨] والمغاربة على حد سواء .

١- ابن الآبار : التكملة ، ط سنة ١٩٥٥، ص١٩٩ .

٢- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ص٣٥ .

٣- ابن الفرضى ك تاريخ علماء الأندلس قسم ٢ ص١٤٤ إلى ص١٤٥ ترجمة رقم ١٤٥٤ .

٤- محمود على مكى : التشيع فى الأندلس ص١٠٩ .

٥- ابن حزم : طوق الحمامة ص٤٩ .

٦- ابن الآبار : التكملة م١ ص١١٣ ترجمة رقم ٣٨٩ .

٧- ابن الفرضى : تاريخ علماد الزندلس قسم ٢ ص٩٤ إلى ص٩٥ ترجمة رقم ١٣٦٣ .

٨- محمود على مكى: التشيع فى الأندلس ص١١٥ .

ففى المغرب انتشرت المقاومة المالكية ضد الفاطميين كما سبق أن ذكرنا وفشل الفاطميون فى القضاء على المالكية وكان هذا سببا من أسباب توجه الفاطميين إلى مصر[١] بعد أن رأوا استحالة القضاء على المالكية واحلال المذهب الشيعى فى البلاد .

وقد انتشرت المالكية فى بلاد المغرب سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م حين أعلن أمير أفريقية المعز بن باديس قطع الدعوة للفاطميين والدعاء للخلافة العباسية وأصبحت بلاد المغرب مالكية سنية المذهب[٢].

وعلى الجملة كانت الحركة الدينية الفقهية فى المغرب حركة قوية نشيطة خدمت أكثر من خدمت فقه الإمام مالك[٣].

الدراسات اللغوية والأدبية :

أما فى مجال دراسة اللغة والنحو فقد نشأت أول مدرسة منظمة فى الأندلس بعد وفود أبى على القالى على بلاد الأندلس سنة ٣٥٠هـ / ٩٦١م حيث أخذ يقرىء كتاب الأمالى ويتخذ نصوصه مجالا لتعلم اللغة والنحو ، فزلف المقصور والمدود وفعلت وأفعلت فى علوم النحو[٤] وأول من أدخل كتب الكسائى الكوفى فى علم اللغة والنحو إلى المغرب والأندلس جودى بن عثمان الطليطلى المتوفي سنة ١٩٨هـ [٥]، ثم شرحه مفرج بن مالك النحوى المعروف بالبغل الذى توفى زمن المستنصر وكان نحويا لغويا عالما بمعانى الشعر[٦].

ثم دخل كتاب سيبويه بعد ذلك إلى الأندلس والمغرب وصرف المغاربة والأندلسيون اهتمامهم لدراسة كتب سيبويه والأخفشى والكسائى حتى كونوا مدرسة نحوية مغربية أندلسية استفادت من مدرستى البصرة والكوفة[٧].

١- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص١٥٨ ، ص١٥٩ .

٢- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص١٥٩ .

٣- أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ ص٣٠٠ .

٤- الحسن السائح : الحضارة المغربية ص١٢٦ ، ص١٢٧ .

٥- الحسن السائح : الحضارة المغربية ص١٢٧ ، سالم (عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٩٦ .

٦- ابن الفرضى جـ١ تاريخ علماء الاندلس قسم٢ ص٧٩ ترجمة رقم ١٣٢٥ .

٧- الحسن السائح : الحضارة المغربية ص١٢٧ .

أما فى مجال الأدب والشعر فقد ازدهر ازدهارا عظيما فى كل من الأندلس والمغرب. ففى الأندلس لم تبدأ الحركة الأدبية نشاطها الحقيقى إلا منذ أن دخل الأمير عبد الرحمن بن معاوية الأندلس واتخذها مقرا لدولة بنى أمية وذلك لانشغال المسلمين فى عهد الولاة بالفتوح فيما وراء البرتات، وبالفتن الداخلية بين العرب من ناحية وبين اليمنية والقيسية من ناحية أخرى[١].

كان لجمال الطبيعة فى الأندلس وسهولها الخضراء وغياضها الملتفة أثره فى اسراف شعرائها فى تعلقهم بها خلال تاريخها الإسلامى الطويل [٢]، ووصفهم للرياض والبساتين .

ومن أشهر شعراء قرطبة وأدبائها أحمد بن محمد بن عبد ربه «كان من أهل العلم والأدب والشعر»[٣] وله عدة مؤلفات من أشهرها كتابه الكبير المسمى كتاب «العقد» فى الأخبار وهو مقسم على معان وقد سمى كل قسم منها باسم من أسماء نظام العقد كالواسطة[٤].

وقد مدح الأمير محمد والمنذر ، وعبد الله، والخليفة عبد الرحمن الناصر حيث برع فى شعر الغزل والزهد فى أواخر أيامه .

عاش ابن عبد ربه فى أيام الناصر ثمانية وعشرين عاما لم يتوقف فيها عن الانتاج حتى آخر عمره، وهى أكثر فترات حياته غنى بالشعر واهتماما به[٥]، فقد افتتح عهد الناصر بمدحه باشعار كثيرة [٦]، وتوفى ابن عبد ربه بسنة ٣٢٨هـ/ ٩٣٩هـ[٧].

ومن أعظم شعراء الأندلس أيضا أحمد بن دراج القسطلى[٨] وهو أول من مدح المنصور ابن أبى عامر[٩] وتوفى ابن دراج قريبا من سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م.

١- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٦٧ .

٢- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٦٨ .

٣- الحميدى : جذوة المقتبس ص١٤٨ .

٤- انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد .

٥- احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ص١٢٢-١٢٤ .

٦- مدونة من عصر الناصر ص٤٠ ، ص٤١ ، ابن عذارى: البيان جـ٢ ص٢٣٦ ، عن مدح ابن عبد ربه للخليفة عبد الرحمن ، انظر : العقد جـ٤ ص٤٩٩ ، ص٥٠٣ .

٧- الحميدى : جذوة المقتبس ص١٤٨ .

٨- الحميدى : الجذوة ، ص١٥٨ .

٩- ابن سعيد: المغرب فى حلى المغرب جـ٢ ص٦٠ ، احسان عباس ، عن شعر ابن دراج فى مدح المنصور، انظر : ديوان ابن دراج ص٤٨ . القسطلى : تحقيق الدكتور محمود على مكى : دمشق سنة ١٩٦١ .

ومن فحول شعراء عصر الخلافة أيضا أبو عمر يوسف بن هارون القرطبي المعروف بالرمادي[١].

ويروى ابن حزم فى كتابه طوق الحمامة أنه أحب جارية اسمها خلوة من أول نظرة وتغزل فيها[٢].

هذا وقد ظهر فى الأندلس شعر الزهد كرد فعل طبيعى لهذا الاستغراق فى التنعم والركون إلى حياة اللهو الذى يعبر عنه الشعر الغنائى الوصفى والخمريات [٣]، فظهر بقرطبة شعراء زهاد منهم الشاعر أبو عبدالله محمد بن أبى من ٣٢٤هـ- ٣٩٨هـ / ٩٣٥-١٠٠٧م الذى غلب على شعره طابع الزهد والتشاؤم[٤] .

والشاعر عبد الرحمن بن مروان الأنصارى القنازعى[٥] وأبو الوليد عبد الله ابن محمد بن نصر الأزدى القرطبى المعروف بابن الفرضى صاحب كتاب تاريخ علماء الأندلس .

أما فى بلاد المغرب فكان حظهم من الشعر والأدب كبيرا ولكنه لم يصل إلى ما وصلت إليه الأندلس من الرقى والازدهار ، وقد يرجع السبب فى ذلك إلى النزعة المالكية الدينية التى غلبت على المغاربة بوجه خاص فجعلتهم لايعرفون من الدراسات اللغوية والأدبية إلا هذه الناحية يتعصبون لها، فلم يجد الأدب العربى له سوقا رائجة فى بلاد المغرب، حتى التواليف التاريخية والجغرافية كلها تظهر هذا الطابع الدينى الضيق المتزمت[٧]. ومع هذا فقد أنجبت بلاد المغرب شعراء وأدباء كانوا لايقلون من ناحية الاجادة عن شعراء الأندلس ، وقد ازدهر نمو الشعر والأدب فى بلاد المغرب فى عهد الدولة الأغلبية والدولة الفاطمية والدولة الزيرية .

١- ابن بشكوال : كتاب الصلة قسم ٢ ص٦٧٤ ، سنة ١٩٦٦ ، جنثالث بالنثيا تاريخ الفكر الأندلسى ص٦٨ ، سالم (عبد العزيز) قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص١٧٤ ، احسان عباس : تاريخ الأدب الأندلسى ص٢٠٥ .

٢- ابن حزم : طوق الحمامة ص٣٦ ، ٣٧ ، الجذوة ، ص٣٧٠ ، ٣٧١ .

٣- سالم (عبد العزيز) جـ٢ ص١٦٩ .

٤- جنثالث بالنثيا ، تاريخ الفكر الأندلسى ، ص٧١ .

٥- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب جـ١ ص١٦٦ .

٦- جنثالث بالنثيا : تاريخ الفكر الأندلسى ، ص٧١ .

٧- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية ص١٥٧ ، ص١٦٠ .

ومن شعراء الدولة الفاطمية ابن هانيء ويلقب بأبى الحسن محمد ابن هانيء[١] وكان من قبيلة الأزد، ولد فى أشبيلية فى بلاد الأندلس قضى بها أيام صباه[٢] وكان أبوه هانيء من قرية من قرى المهدى فى بلاد المغرب، خرج عن الأندلس بعد أن اتهم بالتشيع بعد أن ظهرت ميوله الاسماعيلية[٣] . وكان ابن هانيء شاعرا مجيدا بزمن حوله من شعراء المغرب أمثال أبو الحسن على بن محمد ابن الأيادى التونسى[٤]، وقد كان شاعرا كبيرا اتصل بالفاطميين أيام القائم والمنصور والمعز[٥] وكذلك على بن عبدالله التونسى وتوفى ابن هانيء ٣٦٢هـ / ٩٧٢م[٦].

وفى عهد الدولة الصنهاجية كان العمران قد استحكم والصلة بين المغرب والأندلس قد تمكنت والحضارة قد ازدهرت ، ففى عهد المعز بن باديس ازدهرت دولة الشعر فى بلاد المغرب، وكان المعز محبا للعلماء والشعراء مقربا لهم فقيل «أنه اجتمع بحضرته من أفاضل العلماء والشعراء مالم يجتمع إلا بباب الصاحب بن عياد»[٧].

ومن أشهر شعراء عصره الحسن بن رشيق أحد البلغاء الأفاضل . ولد بالمسيلة وتأدب بها ثم رحل إلى القيروان ٤٠٦هـ/ ١٠١٥م، وتوفى سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م[٨].

١- الحميدى : جذوة المقتبس ، ص٩٦ .

٢- حسن ابراهيم حسم : تاريخ الدولة الفاطمية ص٤٤٠ .

٣- الحميدى : الجذوة ، ص٩٦ ، ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ٢ ص٤٢٢ ، ديوان ابن هانيء ، ص١٨٢، ص٧٢٢ عن ابن هانى انظر ، فصل العلاقات السياسية .

٤- ابن رشيق القيرواني: العمدة فى محاسن الشعر وأدابه ص١١٠ - دار الجيل .

٥- أحمد أمين ك ضحى الإسلام جـ١ ص٢٠٣ .

٦- الحميدى: جذوة المقتبس ص٩٦ .

٧- أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ ص٢٠٤ .

٨- ابن رشيق : العمدة : ترجمة المؤلف ص٣ ، ص١١ تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد، ابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ ص٣٦٦، تحقيق محيى الدين عبد الحميد .

ومن الشعراء والأدباء النابغين الذين ظهروا في تلك الفترة الشاعر الأديب عبد الكريم النهشلي وكان شاعرا ناقدا عارفا باللغة خبيرا بأيام العرب وأشعارها وتوفي سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م وقد أكثر ابن رشيق من النقل عنه في العمدة[١].

والشاعر على ن أبي الرجال رئيس ديوان الانشاء في الدولة الصنهاجية واشتهر بالكرم وتشجيع الأدب وهو الذى قام بتربية المعز بن باديس وحبب إليه الأدب وهو الذى ألف له ابن رشيق كتاب العمدة فوصفه ابن رشيق كعادة أكثر العلماء بالكرم وسعة العلم، وأبو الحسن في نظر ابن رشيق «قد جمع الخلال الحميدة وزاد عليها «سلامة طبع واندفاعه ، وقرب لفظ واتساعه ، ورقة معان وارهافها »[٢]، وابن أبي الرجال شاعر عظيم ، وابن رشيق مفتون بهو وبأدبه ، وقلما يخلو باب من أبواب كتابه من غير أن يختار من شعره ما يناسب هذا الباب[٣].

ومن كبار المؤلفين في الأدب أبو اسحاق الحصرى ابراهيم بن على بن تيم القيروانى وهو صاحب كتاب زهر الأداب وثمرة الألباب، توفي سنة ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م وقد كان شباب القيروان يجتمعون عنده ويأخذون عنه وأهم ما يتصف به كتابه زهر الآداب إلى جانب الشعر أنه يذكر كثيرا من الآداب الاجتماعية التى كان يألفها الناس في عهده، فيذكر ما يجمل في معاملة الملوك، ويتحدث عن فضل الليل والحرص على الآدب وواجب النساخ ، وما إلى ذلك مما يتصل بما على المرء من الواجبات ، وماله من الحقوق [٤].

وأبو الحسن الحصرى القيروانى[٥] توفي بطنجة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م كن عالما بالقراءات وطرقها وأنه أقرأ الناس القرآن الكريم بسبتة وغيرها، رحل إلى الأندلس في منتصف وطرقها الخامسة من الهجرة بعد خراب وطنه في القيروان حيث كانت دولة الشعر في عصر ملوك

١- ابن رشيق : العمدة : ص١٤ ، ص٢٤ ، ص٥٦ ، ص١٤٣ ، جـ٢ ص٢٨١ .

٢- ابن رشيق : العمدة ك المقدمة ص٣ ، جـ٢ ص٢٢٨ .

٣- انظر ابن رشيق العمدة : ص١١٢ ، ص١١٣ ، من الجزء الأول وص١٠٦ ، ص١٠٧ جـ٢ .

٤- ابن اسحاق القيروانى : زهر الآداب وثمر الألباب ص١٣ ، ص١٤ ، ص١٥ ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الجيل .

٥- هو ابن خالة لأبى اسحاق الحصرى : زهرة الآداب ص١٢ .

الطوائف مزدهرة ، «فتهاداه ملوك الطوائف ، تهادى النسيم، وتنافسوا عليه، ولكنه لم يطمئن هناك فعاد إلى طنجة وبها توفى»[١].

والشاعر حميد بن سعيد بن يحيى الخزرجى من ندماء المعز بن باديس وشعرائه المجيدين[٢].

وعلى الجملة ظهرت فى بلاد المغرب حركة جيدة فى النقد الأدبى ويمثل كتاب العمدة لابن رشيق القيروانى قمة النقد الأدبى فى تلك البلاد، الشعراء وطريقتهم فى الشعر [٣].

العلوم فى المغرب والأندلس :

يعتبر عصر الخلافة الأموية فى الأندلس من أزهى العصور التى نمت فيها العلوم العقلية من طب وصيدلة ورياضة وفلك وغيرها . ومن أقدم علماء عصر الخلافة يحيى بن يحيى المعروف بابن السمينة القرطبى توفى (٣١٥هـ/ ٩٢٧م) وكان بصيرا بالحساب والنجوم والطب متصرفا فى العلوم [٤].

ومن أعظم علماء الرياضة فى الأندلس فى عصر الخلافة أبو القاسم مسلمة ابن أحمد المجريطى القرطبى المتوفى سنة ٣٩٨هـ وقد صنف عددا من الكتب منها تاب فى علم العدد المعروف فى الأندلس باسم المعاملات [٥]. ومن أشهر تلاميذه اصبغ بن السمح البارع فى النجوم والهندسة، وأبو القاسم بن الصفار أستاذ الرياضيات فى قرطبة، وأبو الحسن الزهراوى[٦] الطبيب المشهور.

وفى عهد الناصر والمستنصر تألف عدد كبير من الأطباء ، ومن هؤلاء يحيى ابن اسحاق

١- ابن اسحاق الحصرى القيروانى : زهرة الآداب جـ١ ص٧ ، ص٨ .

٢- العماد الاصفهانى : خريدة القصر وجريدة العصر قسم ٤ جـ١ تحقيق عمر الدسوقى وعلى عبد العظيم: دار نهضة مصر للطبع والنشر- الفجالة مصر .

٣- انظر ابن رشيق : العمدة ، أحمد أمين ، ضحى الإسلام جـ١ ص٣٠٦ ، ص٣٠٧ .

٤- ابن أبى اصيبعة : عيون الأنباء فى طبقات الأطباد ص٤٨٢ .

٥- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص٢١٠ .

٦- أحمد لطفى عبد البديع : الإسلام فى أسبانيا ص٥٧ .

النصراني[١] وقد حظى بثقة الناصر وألف كتابا فى الطب يشتمل على خمسة أسفار يسمى الأبرشم [٢].

وفى عصر الحكم المستنصر برز الطبيب العالم أحمد بن يونس الحرانى حيث اتخذه الحكم طبيبه الخاص وكان أحمد هذا بصيرا بالأدوية المفردة وصانعا للأشربة والمعجونات [٣].

وفى عصر الحكم أيضا ذاعت شهرة الطبيب الجراح أبى القاسم الزهراوى[٤].

أما فى بلاد المغرب فكان من أشهر أطبائها الطبيب المغربى أحمد ابن ابراهيم بن الجزار من أهل القيروان، اشتهر بالطب وخدمة العامة، وكان عنده ما يزن خمسة وعشرين قنطارا من الكتب الطبية، وغيرها. وقد رحل إليه من الأندلس لتلقى العلم على يديه الطبيب الأندلسى أبو حفص عمران بن بريق الأندلسى، وقد لازم ابن حفص أستاذه ابن الجزار فى القيروان فترة أخذ عنه فيها الطب وروى عنه كل تأليفه في الطب، ثم عاد إلى الأندلس فكان فى خدمة الأمراء الأمويين وخاصة الخليفة عبد الرحمن الناصر فتلقاها عنه الاخصائيون فى الطب من المسلمين ويهود ونصارى ومنهم سليمان بن جلجل [٥].

وكان ابن الجزار إلى جانب اشتغاله بالطب مولفا فى التاريخ ، فألف فى علماء زمانه وفى أخبار الدولة الفاطمية [٦].

واسحاق بن سليمان الاسرائيلى ، أصله من مصر، لكنه استوطن القيروان وكان ابن اسحاق ذا فضل فى صناعة الطب وقد ألف فى الطب والحكمة والمنطق وقد خدم الأغالبة والفاطميين وتوفى سنة ٣٢٠هـ/ ٩٣٢م[٧].

من هذا يتبين كيف أن عصر الخلافة الذى وثق بين الأندلس والمغرب فى الحياة السياسية والاقتصادية قد قدح زناد الفكر وأظلت البلدين فى هذا العصر نهضة فكرية حقيقية أشرنا إلى طرف منها .

١- (عبد العزيز سالم) قرطبة حاضرة الخلافة جـ٢ ص٢١٢ .

٢- ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ابن ابى اصيبعة ص٤٨٨ .

٣- ابن جلجل ، طبقات الأطباء ، ص١١٣ ، ابن ابى أصيبعة ص٤٨١ .

٤- ابن أبى أصيبعة طبقات الأطباء ص٥٠١ .

٥- ابن جلجل : طبقات الأطباء ص١٠٧ .

٦- أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ ص٣٠١ .

٧- أحمد أمين : ضحى الإسلام جـ١ ص٣٠١ .

الخاتمة

توفي الأمير عبدالله سنة ٣٠٠هـ / ٩١٢م وخلفه حفيده عبد الرحمن ابن محمد وكان جده الأمير عبدالله قد قام بتعليمه وتربيته كأحسن ما يكون وكانت الأندلس عند ولاية الأمير عبدالرحمن بن محمد تعانى من الضعف والانحلال نتيجة للفتن والثورات الداخلية التى أحدقت بالبلاد فشملت عهود ثلاثة من أمراء البيت الأموى قبيل تولى عبدالرحمن بن محمد الامارة الأموية فى الأندلس وهم محمد الأول والمنذر وعبدالله .

كان عبد الرحمن بن محمد على قدر كبير من الكفاءة السياسية والادارية فقد قضى على الفتن والثورات الداخلية وأعاد الأمن والاستقرارالى ربوع البلاد ، ومد نفوذه إلى بلاد المغرب وصد عدوان الممالك النصرانية فى شمال البلاد وفرض احترامه عليها .

هذا وقد دلت النقوش والعملات بالإضافة إلى المصادر التاريخية على عدم اتخاذ الأمراء الأمويين ألقاب الخلافة حتى سنة ٣١٦هـ/ ٩٢٨م، ولكن بعد هذا التاريخ أعلن الأمير عبد الرحمن بن محمد الخلافة وحمل ألقابها واستمر الخلفاء الأمويون يحملون ألقاب الخلافة حتي سقطت دولتهم سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م.

وعلى الرغم مما شهده عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر من حروب وغزوات ، فإنه كنا عصر رخاء ويسرا استقرت فيه الأوضاع الاقتصادية وبدت الأندلس قطرا غنيا بموارده ، فريدا فى ثرائه .

ولم تحل مهام الملك والسياسة دون قيام الخليفة عبد الرحمن بأعمال الانشاء والعمران، فقام بانشاء عاصمة جديدة إلى جانب حاضرة الخلافة فاختط مدينة الزهراء شمالى غرب مدينة قرطبة.

كما عنى أيضا بالجيش والأسطول لأن قوة الدولة الأموية فى الأندلس كانت تعتمد أساسا على قدرتها العسكرية وكفاءتها الحربية، فحرص عبد الرحمن الناصر وخلفاؤه من بعده على تقوية الجيش والأسطول وتدعيم وحداته المختلفة.

هذا وقد توفى الخليفة عبد الرحمن الناصر فى رمضان سنة ٣٥٠هـ/ أكتوبر ٩٦١م.

تولى الحكم الخلافة بعد وفاة والده عبد الرحمن سنة ٣٥٠هـ/ ٩٦١م وتلقب «بالمستنصر»

وأخذت له البيعة من اخوته وسائر الوزراء ورجال الدولة. وأكابر الفتيان الصقالبة وأكابر الجند.

سار الحكم على نفس سياسة أبيه سواء فى السياسة الداخلية زو الخارجية وقام بمسئولياته كاملة وباشر مهام الملك أحسن مباشرة ، حتى ليذكر بعض المؤرخين «أنه لم يعدم من الناصر إلا شخصه».

فكانت الخلافة الأموية فى الأندلس فى عهده قوية متماسكة ، فرضت سلطانها على بلاد المغرب، وفرضت احترامها على الممالك النصرانية فى شمال البلاد.

هذا وقد توفى الخليفة الحكم المستنصر سنة ٣٦٦هـ / ٩٧٦م بعد أن أخذ البيعة لابنه هشام قبل بلوغه سن الرشد .

تمت البيعة لهشام ولقب بالمؤيد وذلك فى صفر من سنتج ٣٦٦هـ/ ٩٧٨م واتخذ الخليفة جعفر المصحفى حاجبا له، كما عين محمد بن أبى عامر في خطة الوزارة.

أخذ نفوذ محمد بن أبى عامر يزداد ويقوى وذاع صيته ، فقام الخليفة هشام بترقيته رلى خطة الوزارتين ، فزاد نفوذه وارتفعت منزلته لدى الخليفة.

أخذ المنصور بن أبى عامر يدبر المؤامرات لمنافسة جعفر المصحفى، حتى نجح فى الاطاحة بالحاجب جعفر، فقام الخليفة هشام المؤيد بعزله من منصبه .

هذا وقد أصبحت مقاليد السلطة كلها فى يد المنصور بعد أن نجح فى القضاء على منافسة جعفر المصحفى.

وضعفت الخلافة فى عهد هشام المؤيد فقد جمع الحاجب المنصور جميع السلطات العسكرية والمدنية فى يده وقام بالحجر على الخليفة هشام، حتى غدا شبه معتقل أو سجين .

ثم توفى الحاجب المنصور سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م وتولى منصب الحجابة من بعده ابنه عبد الملك .

سار عبد الملك على نفس سياسة أبيه من الاستبداد وجمع السلطة فى يده والحجر على الخليفة هشام المؤيد ، فكان هذا مظهرا من مظاهر ضعف الخلافة الأموية وقتذاك.

ومما زاد من ضعف الخلافة الأموية ، تقلد عبد الرحمن بن محمد بن أبى عامر منصب الحجابة بعد وفاة أخيه عبد الملك سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٧م ولاية العهد وقد هز هذا العمل

الأندلس هزة عنيفة أدت إلى وقوع الفتن وانتشار الفوضى وزوال السلطة العامرية، فأصبحت الظروف مهيأة ليقوم الأمويون بالقضاء على العامريين ووقف أطماعهم وطغيانهم مستعينين بالبربر تارة وبنصارى الشمال تارة أخرى حتى وقعت الأندلس فريسة فى أيدى البربر وهو ما عرف باسم الفتنة البربرية التى أدت فى النهاية إلى سقوط الخلافة الأموية فى الأندلس سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م وانقسام الأندلس إلى دويلات صغيرة عرفت باسم دول الطوائف .

أما بلاد المغرب فقد أقام بها الفاطميون خلافة فاطمية شيعية سنة ٢٩٧هـ/ ويرجع الفضل فى نشر الدعوة الشيعية فى بلاد المغرب إلى رجل يدعى أبوعبدالله الشيعى الذى قام بنشر الدعوة للرضا من آل محمد بين قبائل البربر وخاصة قبيلة كتامة من صنهاجة .

قوى أمر أبى عبدالله الشيعى وازداد خطره، ولم يستطع آخر الأمراء الأغالبة زيادة الله الثالث الصمود أمام أبى عبدالله الشيعى وجيوشه ، ففر من رقادة عاصمة الأغالبة، حيث نهبت قصوره ودخل أبوعبدالله الشيعى القيروان فى رجب سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م ثم توجه أبوعبدالله الشيعى من رقادة إلى سجلماسة بعد أن علم بقدوم عبيدالله المهدى الذى هرب من سلمية فى أرض حمص بعد أن وصله كتاب أبى عبدالله الشيعى يخبره بالفتح، متنكرا فى زى التجار، ولما وصل سجلماسة علم اليسع بن مدرار صاحب سجلماسة بأمر عبيدالله المهدى فسجنه ، فتوجه أبو عبدالله الشيعى إلى سجلماسة فحاصرها ودخلها ، فأخرج المهدى، ثم قام باعلان امامة عبيدالله المهدى .

ولما علم اليسع بن مدرار أمير سجلماسة بوصول أبى عبدالله الشيعى سعى إلى الهرب من سجلماسة ليلا ولكنه قتل .

وفى رقادة أمر عبيدالله المهدى بذكر اسمه فى الخطبة على جميع منابر بلاد المغرب وتلقب بالمهدى بالله أمير المؤمنين .

قام عبدالله المهدى بتوطيد دعائم دولته الجديدة فأسند المناصب الكبرى إلى رجال يثق فيهم. ودون الدواوين وبعث بالعمال إلى الولايات المختلفة لجباية الأموال، وضبط شئونها حتى تم له اخضاع القبائل التى لم تكن قد دخلت فى طاعته .

رأى عبيدالله المهدى ضرورة بناء حاضرة جديدة فى تونس يتخذها عاصمة له فوقع اختياره على مكان يقع على بعد ستين ميلا جنوبى القيروان وأسماها المهدية.

هذا وقد اهتم عبيدالله المهدى وخلفاؤه من بعده بانشاء أسطول بحرى قوى لحماية دولتهم فالى جانب المهدية اهتم الفاطميون ببناء المنشآت البحرية واصلاحها .

توفى عبيدالله المهدى سنة ٣٢٢هـ/ ٩٣٤م فاشتعلت بلاد المغرب بالفتن والثورات الداخلية، إذ وجدت قبائل البربر الفرصة سانحة للخروج على طاعة الفاطميين .

استهل الخليفة القائم بأمر الله حكمه بمحاولة القضاء على تلك الفتن والثورات . على أن أهم هذه الثورات وأكبرها خطرا على الخلافة الفاطميين فى بلاد المغرب كانت ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى الزناتى، وقد شغلت هذه الثورة عصر القائم كله، وعامين من عهد ابنه أبى العباس اسماعيل المنصور الذى نجح فى القضاء على تلك الثورة .

هذا وقد استطاع الخلفاء الفاطميون فى بلاد المغرب اخضاع أجزاء كبيرة من بلاد المغرب الأوسط والأقصى بالإضافة إلى المغرب الأدنى، فأصبحت بذلك تشمل المنطقة الممتدة من حدود برقة شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسى غربا .

لم يقنع الفاطميون بما أحرزوه من نصر، بسيطرتهم على بلاد المغرب فبدأوا يتجهون بابصارهم نحو المشرق الإسلامى وبدأوا فى تحقيق هذا الهدف بمحاولة الاستيلاء على مصر لادراكهم أن هذه البلاد عظيمة الأهمية من النواحى السياسية والحربية والاقتصادية والدينية.

وقبل أن يرحل المعز لدين الله الفاطمى إلى مصر أراد أن يبقى على النفوذ الفاطمى فى بلاد المغرب. فاستخلف عليها أحد قواده وهو أبا الفتوح يوسف ابن زيرى بن مناد الصنهاجى.

هذا وقد حكم بنو زيرى بلاد المغرب الأدنى، كما استقل بنوحماد بالمغرب الأوسط أما قبيلة زناتة من مغراوة وبنى يفرن فقد استقلوا بحكم المغرب الأصى بذلك تحت طاعة الأمويين فى الأندلس.

استمرت الإمارات المغربية تحكم بلاد المغرب فأقسامها الثلاثة إلى أن نكبت بغارات عرب بنى هلال .

أما عن علاقة الأندلس ببلاد المغرب فى عصر الخلافة الأموية فقد ارتبطت الأندلس ببلاد المغر بعلاقات سياسية واقتصادية وثقافية .

على أنه كان قيام الخلافة الفاطمية الشيعية فى بلاد المغرب والأموية السنية فى الأندلس من شأنه أن يحدث صداما بين هاتين القوتين المختلفتين مذهبيا .

وقد يبدو هذا الصراع فى ظاهرة صراعا بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى المغرب، ولكنه كان فى حقيقة أمره صراعا بين السنة والشيعة ، هذا وقد حالفت قبيلة صنهاجة البرنسية الخلافة الفاطمية فى صراعها ضد الأمويين فى الأندلس بينما حالفت قبيلة زناتة البترية الأموية في الأندلس فى صراعهم ضد الخلافة الفاطمية فى بلاد المغرب.

هذا وقد اتخذ العداء بين الأمويين فى الأندلس والفاطميين فى المغرب أشكالا عدة، فحاول كل من الطرفين ارسال دعاته ورجاله للتعرف على مواطن الضعف كل فى بلد الآخر.

كما عمل كل من الطرفين أيضا على تشجيع الثائرين فى البلدين، فشجع الخليفة الفاطمى عبيدالله المهدى الثائر الأندلسى عمرو بن حفصون فرد الخليفة عبد الرحمن الناصر على هذا العمل بأنه قام بتشجيع ثورة أبى يزيد مخلد بن كيداد اليفرنى على الفاطميين فى بلاد المغرب. كما فتحت كل من المهدية وقرطبة أبوابها للاجئين السياسيين من البلدين.

لم يقف العداء بين الفاطميين فى بلاد المغرب والأمويين فى الأندلس عند هذا الحد من التحدى بين الطرفين بل تطرق هذا العداء إلى مرحلة الصدام المسلح فقد قام الأسطول الأندلسى بشن هجوم على السفن الفاطمين وأغرق سفينة تابعة للفاطميين ، فقابل الفاطميون هذا العمل بأن قاموا بشن هجوم مفاجىء على ميناء المرية الأندلسى وتحطيم عدد من وحدات الأسطول الأندلسى.

هذا وقد استمر النزاع بين الفاطميين فى المغرب والأمويين فى الأندلس إلى أن انتقلت الخلافة الفاطمية إلى مصر، فأصبح الميدان خاليا أمام الأمويين فى الأندلس ، لبسط نفوذهم كاملا على بلاد المغربين الأوسط والأقصى .

استمرت قبائل زناتة الموالية للأمويين فى الأندلس تحكم بلاد المغرب الأقصى باسم الأمويين حتى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م.

هذا وكانت العلاقات الاقتصادية بين الأندلس والمغرب رباطا من أقوى الروابط التى جمعت بين القطرين، فكانت المراكز التجارية وأسواقها محور هذه العلاقات إذ نشطت فيها الحركة التجارية نتيجة للازدهار الزراعى والصناعى والتقدم الحضارى الذى ظهر خلال القرن الرابع الهجرى ، فصارت أسواق الأندلس والمغرب تزدحم بالمنتجات الأندلسية والمغربية ونشطت هذه الأسواق نشاطا عظيما.

كما لعبت البحرية التجارية دورا بارزا فى نقل فائض الانتاج من بلد إلى آخر كما لعب التكامل الاقتصادى بين القطرين دوره أيضا، فكان فائض الانتاج هنا يصدر إلى هناك وهكذا.

كما ارتبطت بلاد المغرب ببلاد الأندلس بشبكة هائلة من الطرق البحرية ربطت القطرين بعضهما البعض فكانت السفن التجارية الأندلسية تنتقل بحرية بين ثغور وموانىء بلاد المغرب والأندلس حاملة التجار والبضائع المختلفة.

فلاعجب أن حظى القطران بذلك الازدهار الاقتصادى الذى عرضنا لبعض مظاهره .

كما كانت العلاقات الثقافية بين بلاد المغرب والأندلس من أهم مظاهر العلاقات بين هذين القطرين وساعد على ذلك القرب الجغرافى والرحلات المتبادلة بين أبناء المغرب والأندلس عبر المضيق الذى كان من السهل عبوره واجتيازه .

فكانت الرحلات المتتابعة لأبناء الأندلس من مختلف أرجائه وبقاعة تفد إلى بلاد المغرب للتزود من علمائها .

كما كان أهل الأندلس يقدمون إلى بلاد المغرب لطلب العلم وكان بعض العلماء من أبناء المغرب يرحلون إلى الأندلس فيستوطنون هناك حيث يبثون علمهم ومعارفهم ويأخذون عن شيوخها وعلمائها.

ولقد كان لكثرة تلقى طلاب الأندلس علمهم فى بلاد المغرب على يد فقيه المغرب المشهور سحنون بن سعيد أثر فى انتشار المذهب المالكى فى الأندلس .

هذا وبجانب العلاقات عن طريق الرحلات المتبادلة بين أبناء القطرين كانت هناك علاقات فكرية بين بلاد المغرب والأندلس عن طريق المراسلة، فكان هناك اتصال دائم بين قاضى القيروان وقاضى قرطبة.

هذا وقد كان لهذا الامتزاج الفكرى بين بلاد الأندلس والمغرب ، أن ظلت بالبلدين نهضة فكرية حقيقية ، سواء فى الفقه أو الدراسات اللغوية والأدبية والعلمية .

قائمة المصادر

أولا : المخطوطات

١- مؤلف مجهول:

«شرح لمعة من أخبار المعز لدين الله وتسيير عساكره إلى مصر» مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة برقم ٢٤٠٢٢ .

٢- النعمان : (أبو حنيفة بن حيون المغربي ت ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م) «المجالس والمسايرات ، مخطوط ، ثلاثة أجزاء» مكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٦٠٦٠ .

٣- النويري : (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م) «نهاية الأرب في فنون الأدب جـ٢٦» دار الكتب رقم ٥٥٩، معارف عامة .

ثانيا : المؤلفات العربية القديمة :

١- ابن الأبار : (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي بكر القضاعي) (ت ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م) . الحلة السيراء : جزءان ، تحقيق حسين مؤنس ١٩٦٣م
التكملة لكتاب الصلة : طبعة القاهرة ١٩٥٦م.

٢- ابن الأثير : (علي بن أحمد بن أبي الكرم) (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٨م) . الكامل في التاريخ، طبعة القاهرة ١٣٥٣هـ، الجزء الثامن .

٣- الأدريسي: (محمد بن عبدالله بن ادريس الشريف) (ت ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م) صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، نشر دوزي ودي غوية، طبعة ليدن ١٨٦٦م.

٤- أبو اسحاق القيرواني: (ت في أواخر القرن الخامس الهجري) زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. دار الجيل .

٥- ابن أبي أصيبعة : (موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الصفدي الخزرجي) . (ت ٦٦٧هـ/ ١٢٧٠م) . عيون الأنباء في طبقات الأطباء، نشر نزار رضا بيروت ١٩٦٥ .

٦- ابن بسام : (أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني) (ت ٩٤٢هـ/ ١٥٣٥م) . «الذخيرة

فى محاسن أهل الجزيرة» القسم الأول- المجلد الأول، القاهرة ١٩٣٦ . القسم الأول - المجلد الثانى، القاهرة ١٩٤٢ . القسم الرابع - المجلد الأول، القاهرة ١٩٤٥ .

٧- ابن بسام : (محمد بن أحمد بن بسام المحتسب) (ت فى القرن التاسع الهجرى) «نهاية الرتبة فى طلب الحسبة» . تحقيق حسام الدين السامرائى - مطبعة دار المعارف . بغداد ١٩٦٨م.

٨- ابن بشكوال : (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) (ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) . «الصلة فى تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم» القاهرة ١٩٦٦م .

٩- البكرى : (أبو عبدالله بن عبد العزيز) (ت ٤٨٧هـ/ ١٠٩٧م) «كتاب المغرب فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك». نشر دي سلان الجزائر ١٩٩١ م . «جغرافية الأندلس وأوربا من كتاب المسالك والممالك». تحقيق عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٨م.

١٠- ابن تغرى بردى : (جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكى) (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) «النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . القاهرة ١٩٣٢م.

١١- ابن تيمية : «الحسبة فى الإسلام ، دمشق ١٩٦٧م.

١٢- التيجانى : (أبو محمد عبدالله) (توفى أوائل القرن الثامن الهجرى) «رحلة التيجانى، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب» تونس ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٨م.

١٣- الجزنائى : (أبو الحسن على الجزنائى) زهرة الآس فى بناء مدينة فاس، طبع باعتناء الفريد بيل الجزائر ١٢٤٠هـ / ١٩٩٢م .

١٤- ابن جلجل : (أبو داود سليمان بن حسان الأندلس ت أواخر القرن الرابع الهجرى) «طبقات الأطباء والحكماء» ، تحقيق فؤاد السيد . القاهرة ١٩٥٥م.

١٥- الجوزرى : (أبو على منصور العزيزى الجوزرى) (ت ٣٨٦هـ/ ٩٩٦م) «سيرة الأستاذ جوزر وبه توقيعات الأئمة الفاطميين» تقديم وتحقيق محمد كامل حسين، محمد عبد الهادى شعيرة دار الفكر العربى ١٣٧٤هـ.

١٦- ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم) (ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م) نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق شوقى ضيف: مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة ، مجلد ٢ ديسمبر ١٩٥١ القاهرة العدد ١٣ . «جمهرة أنساب العرب» . تحقيق ليفى بروفنسال ، دار المعارف «طوق الحمامة فى الألف والآلاف» ليدن ١٩١٤م. «الرد على ابن التفريلة اليهودى» ورسائل أخرى تحقيق احسان عباس بيروت ١٩٦٠ .

١٧- الحسن على بن يوسف : «الدوحة المشتبكة فى ضوابط السكة» نشر حسين مؤنس - مدريد ١٩٦٠م.

١٨- الحميدى: (أبوعبدالله محمد بن أبى نصر فتوح بن عبدالله الأزدى) (ت ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م) . «جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس» ضمن المكتبة الأندلسية ١٩٦٦م.

١٩- الحميرى: (أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عبد العظيم) (ت ٨٦٦هـ/ ١٤٦١م) «الروض المعطار » قطعة مأخوذة من كتاب صفة جزيرة الأندلس تحقيق ليفى بروفنسال - القاهرة ١٩٣٧م .

٢٠- ابن حوقل النصيبى : (أبو القاسم محمد بن على ت فى النصف الأخير من القرن الرابع الهجرى) «كتاب صورة الأرض» نشر مكتبة دار الحياة- بيروت .

٢١- ابن حيان : (أبو مروان بن حيان القرطبى) (ت٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م) «المقتبس فى أخبار بلد الأندلس» (يختص هذا القسم بخمس سنوات فقط من عهد الخليفة الحكم المستنصر ٣٦٠هـ ٣٦٤هـ . تحقيق عبد الرحمن الحجى- دار الثقافة بيروت ١٩٦٥ «المقتبس فى تاريخ رجال الأندلس» تحقيق ملشور أنطونيا - باريس ١٩٣٧ .

٢٢- ابن خاقان : (الفتح بن خاقان) (ت ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م) «مطمع الأنفس ومسرح التأنس فى ملح أهل الأندلس» القسطنطينة ١٣٠٢ . «قلائد العقيان فى محاسن الأعيان» طبعة القاهرة ١٣٢٠هـ.

٢٣- ابن خرداذبه : (أبو القاسم عبدالله بن أحمد) (ت٣٠٠هـ/ ١٩١٢م) «المسالك والممالك . طبعة ليدن ١٨٦٧م .

٢٤- **الخشني** : (أبوعبدالله محمد بن حارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي) (ت٣٦١هـ/ ٩٧١م) «قضاة قرطبة وعلماء أفريقية» نشر الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٦م.

٢٥- **ابن الخطيب** : (لسان الدين بن الخطيب السلماني) (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م) «أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ». القسم الثاني تحقيق ليفي بروفنسال . الطبعة الثانية ١٩٥٦ «أعمال الأعمال، القسم الثالث، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحم ابراهيم الكتاني تحت عنوان «تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط» ١٩٦٤ . «الاحاطة في أخبار غرناطة»، المجلد الأول. تحقيق محمد عبد الله عنان. «معيار الاختيار في ذكر المعاهد والديار» فاس ١٣٢٥هـ. «اللمحة البدرية في الدولة النصرية» القاهرة ١٣٧٤هـ.

٢٦- **ابن خلدون** : (عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المغربي) (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) «كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» . ٧ أجزاء طبعة بولاق . «المقدمة ». طبعة بيروت وطبعة دار الشعب .

٢٧- **ابن خلكان** : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر) (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) «وفيات الأعيان» تحقيق احسان عباس - ٨ مجلدات نشر دار الثقافة . بيروت ، وتحقيق محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٤٨م.

٢٨- **الدباغ** : (عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله الأنصاري) (ت ٦٩٦هـ/ ١٢٩٧م) «معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان»- ٤ أجزاء تونس ١٣٢٠هـ.

٢٩- **ابن دراج القسطلي** : (أبو عمر أحمد بن محمد) (ت ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م) «ديوان ابن دراج) «تحقيق محمود علي مكي. دمشق ١٩٦١ .

٣٠- **ابن أبي دينار القيرواني** : (أبو عبدالله الشيخ محمد بن ابي القاسم الرعيني القيرواني) (ت ١١١٠هـ- ١٦٩٨م) . المؤنس في أخبار افريقية وتونس. طبعة تونس ١٢٦٨هـ .

٣١- الذهبي: (الحافظ أبو عبدالله محمد بن أحمد) (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) «العبر في خبر من غبر» الجزء الثاني تحقيق فؤاد سيد ، الكويت سلسلة التراث العربي.

٣٢- ابن رسته : (أبو علي أحمد بن عمر) «الأعلاق النفيسة ». نشره دي غويه- ليدن ١٨٨١-١٨٨٢ .

٣٣- ابن رشيق القيرواني : (ت أواخر القرن الخامس الهجري) «العمدة في محاسن الشعر وآدابه» تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد دار الجيل.

٣٤- ابن أبي زرع : (علي بن محمد الفاسي) (ت ٧٢٦هـ) «الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس» نشره تورنبرج Tornberg أبسال ١٨٤٣ .

٣٥- ابن السراج : (محمد بن محمد الأندلسي الوزير) (ت ١١٤٩هـ/ ١٧٣٦م) «الحلل السندسية في الأخبار التونسية » جـ١ قسم٤ تحقيق محمد الحبيب الهيلة. تونس .

٣٦- ابن سعيد : (محمد الصفاقسي) (ت ١٢٢٨هـ/ ١٨١٣م) «نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار» تونس ١٣٣١هـ.

٣٧- ابن سعيد : (المغربي الأندلسي) (ت ٦٧٣هـ/ ١٢٧٤م٩ «المغرب في حلى المغرب» جزءان. تحقيق شوقي ضيف دار المعارف مصر , ١٩٦٤ «كتاب بسط الأرض في الطول والعرض» تطوان ١٩٥٨ «الجغرافيا» تحقيق اسماعيل العربي. بيروت ١٩٧٠ .

٣٨- السقطي : (أبو عبدالله محمد بن أبي محمد السقطي المالكي الأندلسي) (ت ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م) . «آداب الحسبة» نشر ج.س كولان وليفي بروفنسال.

٣٩- السلاوي : (أبو العباس أحمد بن خالد الناصري) «الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى» الدار البيضاء ١٩٥٢ .

٤٠- الشيزري : (عبد الرحمن بن نصر) (ت ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م) «نهاية الرتبة في طلب الحسبة» تحقيق الباز العريني ١٣٦٥ / ١٩٤٩ .

٤١- ابن شهيد : (أحمد بن أبى مروان عبد الملك بن أحمد) (ت ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م) «الديوان» تحقيق يعقوب ذكى .

٤٢- الاصطخرى : (أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى الاصطخرى المعروف بالكرخى) (ت فى النصف الأول من القرن الرابع الهجرى) «المسالك والممالك» نشر دى غوية ليدن ١٨٦٧م .

٤٣- الضبى : (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة) (ت ٥٥٩هـ/ ١٢٠٢م) «بغية الملتمس فى تاريخ رجال الأندلس» المكتبة الأندلسية . مصر ١٩٦٧ .

٤٤- عبيدالله بن صالح : نص جديد عن فتح العرب للمغرب نشر ليفى بروفنسال . تعليق حسين مؤنس صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٥٤ .

٤٥- ابن أبى الضياف : (أحمد) (ت ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) «إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك وعهد الزمان» تونس ١٩٦٣ .

٤٦- ابن عبد ربه : (أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه) (ت ٣٢٨هـ/ ٩٣٩م) «العقد الفريد» طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر.

٤٧- ابن عبد الرؤوف : (أحمد بن عبدالله) «فى آداب الحسبة والمحتسب» (ضمن مجموعة ثلاث رسائل فى الحسبة) تحقيق ليفى بروفنسال مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية القاهرة ١٩٥٥ .

٤٨- ابن عبدون : «فى القضاء والحسبة » (ضمن مجموعة ثلاثة رسائل فى الحسبة تحقيق ليفى بروفنسال القاهرة ١٩٥٥ .

٤٩- ابن عذارى المراكشى : (ت فى أواخر القرن السابع الهجرى) «كتاب البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب» الجزء الأول والثانى. تحقيق ج. س كولان وليفى بروفنسال دار الثقافة بيروت . الجزء الثالث تحقيق ليفى بروفنسال دار الثقافة بيروت .

٥٠- العذرى : (أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى) (ت ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م) . «نصوص عن الأندلس» من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار . والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك . مطبعة معهد الدراسات الإسلامية . مدريد ١٩٦٥ .

٥١- العماد الأصفهاني : (أبو عبدالله محمد بن محمد بن ماجد بن عبدالله على) (ت ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) «كتاب خريدة القصر وجريدة العصر» القسم الرابع . تحقيق عمر الدسوقي، وعلى عبد العظيم. دار نهضة مصر للطباعة والنشر ١٩٦٤م.

٥٢- ابن عمر : (يحيى) (ت ٢٨٩هـ/ ٩٠١م) «كتاب أحكام السوق » . تحقيق محمود على مكى صحيفة معهد الدراسات الإسلامية . العدد ١-٢ مجلد٤ مدريد ١٩٥٦ .

٥٣- ابن غالب : (محمد بن أيوب الأندلسى) (ت القرن السادس الهجرى) «قطعة من كتاب فرحة الأنفس» تحقيق لطفى عبد البديع . مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد ١ جزء ٢ نوفمبر ١٩٥٥ .

٥٤- الطرطوسى : «الحوادث والبدع» تحقيق محمد الطالبى

٥٥- أبو الفدا : (الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه) ٧٣٢هـ/ ١٣٣١م) «المختصر فى أخبار البشر» طبعة بيروت.

٥٦- ابن فرحون : (برهان الدين ابراهيم بن على بن محمد ابن فرحون المدنى المالكى) (ت ٧٩٩هـ/ ١٣٩٦م) «الديباج المذهب فى معرفة أعيان المذهب» مصر ١٩٢٣م.

٥٧- ابن الفرضى : (أبو الوليد عبدالله بن محمد بن يوسف الأزدى) (ت ٤٠٣هـ/ ١٠١٢م) «تاريخ علماء الأندلس» ضمن المكتبة الأندلسية . القاهرة ١٩٦٦ .

٥٨- ابن فضل الله العمرى : (شهاب الدين أحمد بن يحيى الكاتب الدمشقى العمرى) (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٧٤م) «مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار» «وصف أفريقية والمغرب والأندلس» تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب . تونس.

٥٩- ابن الفقيه : (أبو بكر أحمد بن محمد بن اسحاق الهمذانى) (ألف كتابه ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) مختصر كتاب البلدان . ليدن ١٨٨٥ .

٦٠- ابن القاضى : (أحمد بن محمد) «جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس» ١٣٠٩هـ.

٦١- القزوينى : (زكريا بن محمد بن محمود القزوينى) (ت ٦٨٢هـ/ ١٢٣٨م) «عجائب المخلوقات» بيروت ١٩٦٠ .

٦٢- القلقشندى: (أبو العباس أحمد) (ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا» الجزء الخامس القاهرة ١٣٣١هـ/ ١٩١٣م)

٦٣- ابن القوطية : (محمد بن عمرو بن عبد العزيز أبوبكر) «تاريخ افتتاح الأندلس» تحقيق عبدالله أنيس الطباع ، بيروت ١٩٥٧ .

٦٤- ابن الكردبوس : (أبومروان عبد الملك) (ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٣م) «تاريخ الأندلس، ووصفه لابن الشباط» نصان جديدان . تحقيق أحمد مختار العبادى . مطبعة معهد الدراسات الإسلامية . مدريد ١٩٧١ .

٦٥- المالكى : (أبو بكر عبدالله بن أبى عبيد) «رياض النفوس فى طبقات علماء أفريقية وزهادهم وعبادهم ونساكهم وسير من أخبارهم». نشر وتعليق حسين مؤنس . القاهرة ١٩٥١م .

٦٦- الماوردى : (أبو الحسن على بن محمد البغدادى بن حبيب البصرى البغدادى) (ت ٤٥٠هـ/ ١٠٥٧م) «الأحكام السلطانية» مصر ١٩٢٨ .

٦٧- المجيلدى : (أحمد بن سعيد) (ت ١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م) «التيسير فى أحكام التسعير» تحقيق موسى لقبال . الجزائر ١٩٧٠م.

٦٨- المراكشى : (عبد الواحد بن علمى) (ت فى القرن السابع الهجرى) «المعجب فى تلخيص أخبار المغرب» تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربى العلمى الناصرة ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩ م.

٦٩- المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسن بن على) (ت ٣٤٦هـ/ ٩٥٧م) «مروج الذهب ومعادن الجوهر» مصر ١٣٠٦هـ . «التنبيه والإشراف» ليدن ١٩٦٧ .

٧٠- المقدسى : (شمس الدين أبو عبدالله) (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م) «أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم» ليدن ١٩٠٦ م.

٧١- المقريزى : (تقى الدين أحمد بن على) (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م) «اتعاظ الحنفا بأخبار

الأئمة الفاطميين الخلفا» نشر جمال الدين الشيال . طبعة ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م.

٧٢- المقرى : (شهاب الدين أحمد بن محمد المقرى التلمسانى) (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٨م) «أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض» تحقيق مصطفى السقا وآخرون القاهرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب» تحقيق إحسان عباس ٧ أجزاء بيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م . وتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد القاهرة ١٣٦٩هـ/ ١٩٤٩م.

٧٣- ابن منظور : (جمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى) (ت ٧١١هـ/ ١٣١١م) «لسان العرب» طبعة مصورة عن طبعة بولاق ٢٠ مجلدا المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر- سلسة تراثنا .

٧٤- مؤلف مجهول : (أخبار مجموعة فى فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بينهم) تحقيق ونشر E. Lafuecnte مجريط ١٩٦٧ .

٧٥- مؤلف مجهول : (نبذة تاريخية فى أخبار البربر فى القرون الوسطى) (ألف ٧١٢هـ/ ١٣١٢م) تحقيق ليفى بروفنسال . الرباط ١٩٣٤ م .

٧٦- مؤلف مجهول : (وصف جديد لقرطبة الإسلامية) تحقيق حسين مؤنس . صحيفة معهد الدراسات الإسلامية المجلد الثالث عشر . مدريد ١٩٦٥م.

٧٧- مؤلف مجهول : (الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية) عنى بتصحيحه البشير الفورتى. الطبعة الأولى- تونس .وأحمد علوش . الرباط ١٩٣٦ م.

٧٨- مؤلف مجهول : (الاستبصار فى عجائب الأمصار) نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد) مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٥٨م .

٧٩- مؤلف مجهول : «العيون والحدائق فى أخبار الحقائق» الجزء الرابع / القسم الأول تحقيق نبيلة عبد المنعم داود ساعدت جامعة بغداد على طبعة عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

٨٠- مؤلف مجهول : مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدني الله نشرها وقام

بدراستها وترجمتها إلى الأسبانية الاستاذان ليفي بروفنسال وغريه غوس بعنوان :

Una Cronica anonima de Abd al Rahman III al - Nasit, Madrid , Granada, 1950 .

٨١- النباهي : (أبو الحسن عبدالله بن الحسن) (ت ٧١٣هـ/ ١٣٦٣م) «تاريخ قضاة الأندلس، المسمى، المرقبة العليا فيمن يستحق القضا والفتيا . تحقيق ليفي بروفنسال ١٩٣٧ .

٨٢- النعمان : (أبو حنيفة بن أبي عبدالله بن محمد بن حيون المغربي) (٣٦٣هـ/ ٩٧٣). «كتاب افتتاح الدعوة» تحقيق فرحات الدشرداوي . تونس .

٨٣- ابن هانيء : (أبو الحسن محمد) (ت ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م) «ديوان ابن هانيء» بيروت ١٣٢٦هـ.

٨٤- ابن الوردي: (سراج الدين بن حفص عمر أبو الفوارس) (ت ٨٦١ هـ/ ١٤٥٧م) «كتاب خريدة العجائب» نشر ليدن ١٨٢٣م .

٨٥- ياقوت الحموي : (شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت عبد الله الحمويي الرومي البغدادي) (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م) «كتاب معجم البلدان » طبع ونشر. دار صادر بيروت .

٨٦- اليعقوبي : (أحمد بن يعقوب بن واضح) ت ٢٩٢هـ/ ٩٠٤م) «كتاب البلدان» نشر دي غوية . المجموعة الجغرافية العربية ليدن ١٨٩١ / ١٨٩٢م .

ثالثا : الكتب العربية الحديثة :

١- ابراهيم أحمد العدوي: «الأساطيل العربية في البحر المتوسط» القاهرة ١٩٥٧ .

٢- إحسان عباس : «تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة» الطبعة الثانية .

٣- أحمد أمين : «ظهر الإسلام» جـ١ . القاهرة ١٩٤٥ .

٤- أحمد فكري : «المسجد الجامع في القيروان» القاهرة ١٩٣٦ .

٥- آدم ميتز : «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري» طبعة بيروت .

٦- **أرشيبالد لويس** : «القوى البحرية والتجارية فى حوض البحر المتوسط» ترجمة أحمد عيسى، القاهرة ١٩٦٠ .

٧- **انخل جنثالث بالنثيا** : «تاريخ الفكر الأندلسى» ترجمة حسين مؤنس- القاهرة ١٩٥٥

٨- **أحمد مختار العبادى** : «الصقالبة فى أسبانيا» المعهد المصرى للدراسات الإسلامية مدريد ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٣م . «تاريخ البحرية الإسلامية فى مصر والشام» بالاشتراك مع عبد العزيز سالم جامعة بيروت العربية ١٩٧٢ . «دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس» الاسكندرية ١٩٦٨م.

٩- **حسن إبراهيم حسن** : «المعز لدين الله الفاطمى» بالاشتراك مع طه شرف ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٨ . «عبيدالله المهدى» بالاشتراك مع طه شر ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٧ . «تاريخ الدولة الفاطمية» الطبعة الثانية. مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ . «تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى جـ٣ الطبعة الثالثة ١٩٥٥، الطبعة السابعة ١٩٥٦ .

١٠- **حسن أحمد محمود** : «قيام دولة المرابطين» مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧ . «الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية» ج١ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨ .

١١- **حسن حسنى عبد الوهاب**: «ورقات من الحضارة الغربية بأفريقية» قسم٢ . تونس ١٩٦٦ .

١٢- **حسن السائح** : «الحضارة المغربية عبر التاريخ» ١٩٧٥ .

١٣- **حسين مؤنس** : فجر الأندلس» القاهرة ١٩٥٩ «رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود» القاهرة ١٩٦٤ . «الجغرافية والجغرافيون فى الأندلس» مدريد ١٩٦٧ .

١٤- **خير الدين الزركلى** : «فهرس الأعلام» القاهرة ١٩٥٤-١٩٥٩ .

١٥- **ديمومبين** : «النظم الإسلامية» .

١٦- **زكى محمد حسن** : «فنون الإسلام» .

١٧- **ستانلى لين بول** : «تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة» ترجمة أحمد السعيد سليمان. القاهرة ١٩٦٩ .

١٨- **سعاد ماهر** : «البحرية فى مصر الإسلامية» القاهرة ١٩٦٧م .

١٩- **سعيد عبد الفتاح عاشور** : «أوربا العصور الوسطى» جـ١ ١٩٥٨ .

٢٠- **سليمان مصطفى زبيس** : «بين الآثار الإسلامية فى تونس» تونس ١٩٦٣ .

٢١- **شكيب أرسلان** : «الحلل السندسية فى الأثار والأخبار الأندلسية» القاهرة ١٩٣٦ .

٢٢- **الشيخ الأمين** : «العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربى فى عهد السلطنتين مالى وسنغى. بيروت ١٩٧٠ .

٢٣- **صلاح خالص** : «أشبيلية فى القرن الخامس الهجرى» المكتبة الأندلسية - بيروت ١٩٦٥ .

٢٤- **صابر محمد دياب** : «سياسة الدول الإسلامية فى حوض البحر المتوسيط» ١٩٧٣ .

٢٥- **عبد الرحمن على الحجى** : «التاريخ الأندلسى من الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة «٩٢هـ- ٨٩٧م، ٧١١هـ/ ١٤٩٢م». «الكتب والمكتبات فى الأندلس» فصلة من مجلة كلية الدراسات الإسلامية بغداد العدد الرابع ١٣٩٢هـ- ١٩٧٢ م.

٢٦- **عبد الرحمن فهمى**: «موسوعة النقود الإسلامية وعلم النميات» دار الكتب ١٩٦٥ .

٢٧- **عبد العزيز سالم** (السيد) «تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس» بيروت ١٩٦٢م . «المغرب الكبير» (العصر الإسلامى) الاسكندرية ١٩٦٦ . «تاريخ مدينة الاسكندرية فى العصر الإسلامى» ١٩٦١ - ١٩٦٩م . «تاريخ البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس» بيروت ١٩٦٩ . «المرية قاعدة الأسطول الأندلسى» بيروت ١٩٦٩ .

٢٨- **عبد المنعم ماجد** : «تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى» «الأطلس التاريخى للعالم الإسلامى فى العصور الوسطى» بالاشتراك مع على البنا. دار الفكر العربى ١٩٦٠م.

٢٩- عثمان الكعاك : «الحضارة العربية فى البحر المتوسط» .

٣٠- عطية مشرفة : «القضاء فى الإسلام» الطبعة الأولى مصر ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩ م.

٣١- لطفى عبد البديع : «الإسلام فى أسبانيا» المكتبة التاريخية ١٩٥٨ .

٣٢- ليفى بروفنسال : «الإسلام فى المغرب والأندلس» ترجمة عبد العزيز سالم ، صلاح الدين حلمى. القاهرة ١٩٥٨ .

٣٣- محمد جمال الدين سرور : «سياسة الفاطميين الخارجية » القاهرة ١٣٨٦ / ١٩٦٧م. «الدولة الفاطمية فى مصر» القاهرة ١٩٦٥ / ١٩٦٦م .
«تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق» (من عهد نفوذ الأتراك إلى منتصف القرن الخامس الهجرى) القاهرة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧ك .

٣٤- محمد عبد الله عنان : «الآثار الأندلسية الباقية» الطبعة الثانية . «دولة الإسلام فى الأندلس» الجزء الأول- العصر الأول ، الجزء الأول - العصر الثانى.

٣٥- محمد على دبوز : «تاريخ المغرب الكبير» القاهرة ١٩٦٣ .

٣٦- مورنيو : «الفن الإسلامى فى أسبانيا» ترجمة لطفى عبد البديع - عبد العزيز سالم القاهرة ١٩٦٨م.

٣٧- ميشيل أمارى : «المكتبة العربية الصقلية» طبعة معادة بالأوفست عن مطبعة ليبسك ١٨٥٧م.

رابعا : الرسائل الجامعية :

١- رجب محمد عبد الحليم : «دولة بنى حمود فى مالقة» رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٧٦ جامعة القاهرة .

٢- عبد الحميد محمود الشرقاوى : «الحياة الاقتصادية فى الأندلس الإسلامية» «فى القرن الرابع الهجرى» رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٥٠ . جامعة القاهر.

٣- عفيفى محمود ابراهيم : «أحوال بلاد المغرب الاقتصادية فى ظل السيادة الفاطمية» رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٧٦م جامعة القاهرة .

٤- محمد على حيدر : «الأوضاع الاقتصادية فى العراق والمشرق» رسالة ماجستير غير منشور ، جامعة القاهرة .

٥- مصطفى عبدالله الهمشرى : «الأعمال المصرفية فى الإسلام» رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة القاهرة .

خامسا : الدوريات :

١- أحمد مختار العبادى : «سياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس» صحيفة معهد الدراسات الإسلامية . مدريد ١٩٥٧ .

٢- حسين مؤنس : «المسلمون فى حوض البحر المتوسط» المجلة التاريخية مجلد١ - مايو ١٩٥٤ .

٣- سعد زغلول عبد الحميد : «الآثار الإسلامية بالمغرب» المؤتمر الثالث للبلاد العربية المنعقد فى فاس نوفمبر ١٩٥٩م.

٥- محمد محمد زيتون : «العلاقات الثقافية بين القيروان وبين المراكز الفكرية فى المغرب فى منتصف القرن الرابع الهجرى» مجلة كلية الآداب العلوم الاجتماعية - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الثالث ١٣٩١هـ/ ١٩٧٩م .

٦- محمد بن تاويت الطنجى : «بين أمويى الأندلس والأدارسة» بحث فى مجلة تطوان المغربية الأندلسية العدد الثامن ١٩٦٣م .

٧- محمد المنونى : «العلوم والآداب والفنون على عهد الموحدين» تطوان ١٩٥٠ .

٨- محمود على مكى : «التشيع فى الأندلس » صحيفة معهد الدراسات الإسلامية مدريد ١٩٥٤ .

دائرة المعارف الإسلامية :

REFERENGCESA

Ayman Fouad Sayed :

Lumieres nouvelles sur quelques sources de l'historicislamique en Egypt. Annales islamiques, T. XIII, 1977 p. 3 .

Bovill, E.A :

The golden trade of the moors London 1950 .

Carlos - Sarthou Carreras: Castillos d'Espena , Madrid , 1952 .

Conde :

History of the Dominion of the Arabs in Spain . London 1898 .

Derek Hill ,

Islamic architecture in North Africa.

Dozy, R. P.A.

Histoire des Musulmanes d'Espagne (Paris) .

__________ : Spanish Islam .

__________ : Dictionaire De Tailloa, des Nims des vetments Chez les Arabes, Amesterdam, 1845 .

Coitein :

Studies in Islamic History Leyden (1966) .

Heyd (W) :

Histoire du commerce du levant au Moyen Age (Leipzig 1923) .

Fulien (A) :

History of North Africa London (1950) .

La fuente (M) :

Histoire General d'Espana Tom I Barcelona 1877 .

Lane Pool (S) :

The Moors in Spain , London , 1897 , Catalogue of the collections of Oriental coins, London 1897 .

Laviox (H) :

Catalogues des monnais musulmanes Paris (1891) .

Levi Provencal (E) :

Inscriptions Arabes d'Espagne Paris (1931) .

__________ :

Histoire de L'Espagne Musulmane La Califat Umayyade de Cordone I II paris (1950) .

__________ :

L'Espagne Musulmane au Xieme siecle paris (1951) .

Marcais (G) :

La Berberie Orientale Paris (1946) .

________ :

L'architecture musulmane d'occident Paris (1954) .

Miles (G.C.) :

The coin age of the Umayyades of Spain 2 vols Nw York 1950 .

Murphy :

History of the Mohammadan Empire .

Rabis (F.G):

Malga Musulmane (1880) .

Scott :

History of the Moorish Empire, PhiladelfiA (1904) .

Serjeant R.R :

Islamic textiles material for a history up to the Mongol Conquest.

Simponet F.J .:

Historia de los Mosarslies d'Espana Madrid (1903) .

Terrasse H :

Histoire de Maroc 2 Volumes Casablanca (1949) .

Van Berchem M.V.:

Titres Colifiens d'occident Journal Asiatique, T IX , Mars - Avril 1976 .

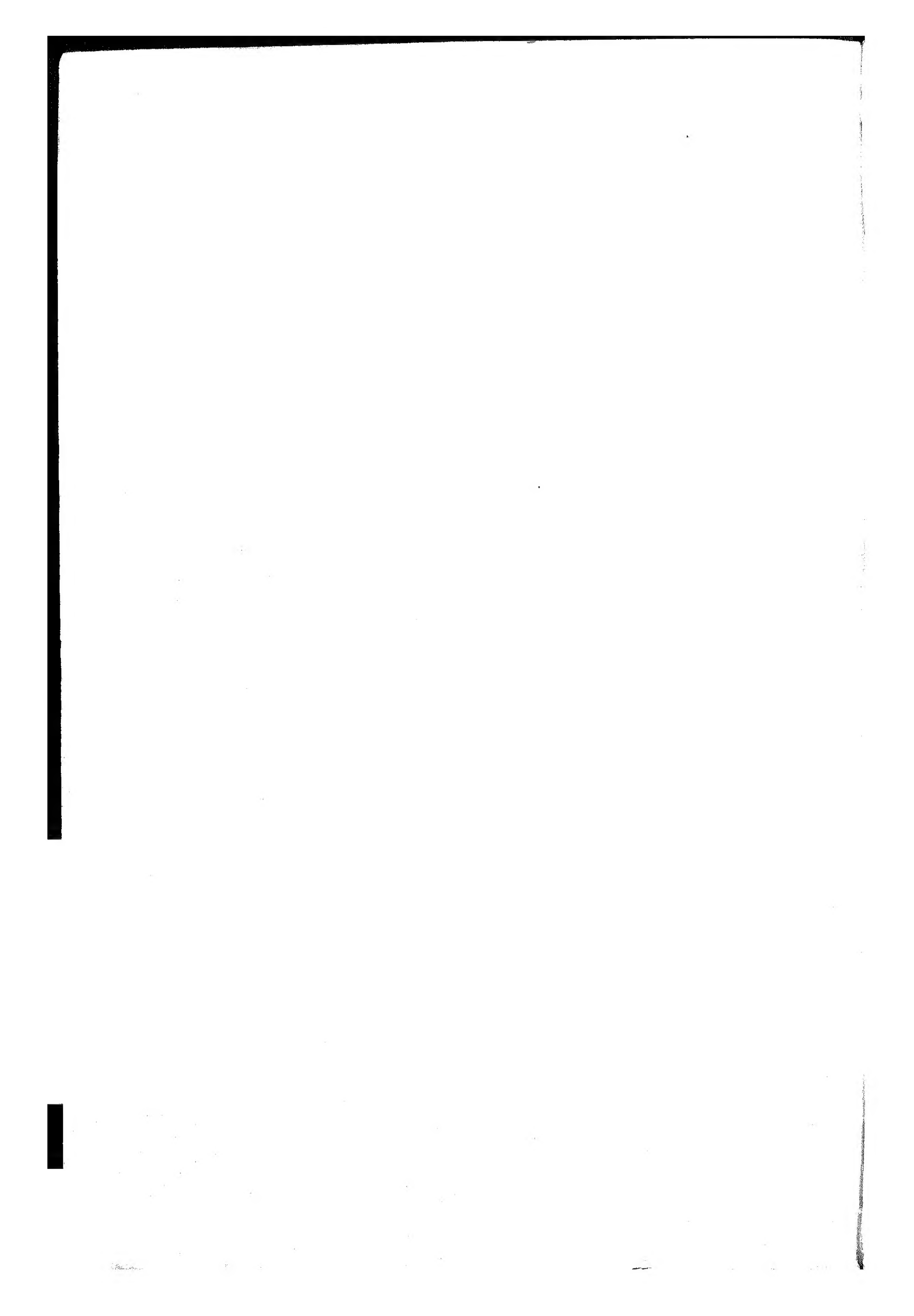


رقم الإيداع ٩٩/١٤٦٤٥

الترقيم الدولى 4 - 018 - 322 - 977

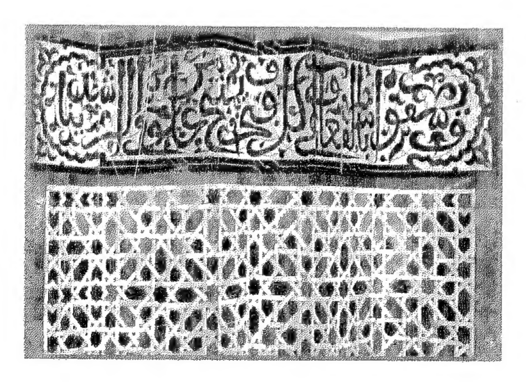
دار روتابرينت للطباعة ت: ٣٥٥٢٣٦٢ - ٣٥٥٠٦٩٤

٥٣ شارع نوبار - باب اللوق





د. سامية مصطفى مسعد



العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية





للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES